

# الدين خرافة أم علم؟

سمير إبراهيم خليل حسن



سمير إبراهيم خليل حسن

# الدين خرافة أم علم؟ الاستنساخ الكلمة

ثلاثة كتب في كتاب واحد



بيروت - لندن

© دار الساقى  
جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى ٢٠١١

ISBN 978-1-85516-717-9

دار الساقى  
بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان  
الرمز البريدي: ٦١١٤ - ٢٠٣٣

هاتف: ٨٦٦٤٤٢ ١ ٠٩٦١، فاكس: ٨٦٦٤٤٣ ١ ٠٩٦١

e-mail: info@daralsaqi.com

## محتويات الكتاب

٧	تعريف بالكتاب
٩	الدين خرافة أم علم؟
١١	مدخل إلى البحث
٢٥	اللسان العربي المبين
٤٢	الإيمان والمؤمن
٥١	زواج المؤمنين
٦٧	سورة الفلق
٧٠	سورة الناس
٧٢	سورة العصر
٧٣	الاستنساخ
٧٥	الإهداء
٧٦	كلمة أولى
٧٧	مدخل إلى البحث
٨٧	الاستنساخ
١٠٣	كسب المعلومات
١١٠	يوسف وإخوته

١١٨	الإنشاء الأولى .....
١٤٤	العدد ١٩ يستحق أهتمام! .....
١٦٣	كلمة أخيرة .....
١٦٥	الكلمة .....
١٦٧	الإهداء .....
١٦٩	مدخل إلى البحث .....
١٧٣	الكلمة الشامية .....
١٧٧	الكلمة الحق .....
١٧٩	الكلمة الحية «البيولوجية» .....
١٩٠	أبلاغ عن الكلمة الكينونة (الحق) .....
١٩٦	الكتاب الممين .....
٢٠٥	الكتب الأولى .....
٢١٥	الدليل .....
٢١٧	فيزيولوجيا كلمة أبلاغ .....
٢٣٠	تأثير الدليل .....
٢٤١	الموقف .....

## تعريف بالكتاب

فى كتيبى الثلاثة الأولى باكورة تفكيرى وفهمى للقول فى كتاب الله القراءان . وفى هذا الكتاب جمع للكتب الثلاثة وتصويب لأخطاء مختلفة جاءت فى نسختها الأولى التى لم تنتشر فى سوق الكتاب لأسباب مختلفة كان الناشر السبب الرئيس من بينها . وبعد أن تعرّفت على ناشر تعهد بتقديم ما يحتاج كتابى من حقّ العرض له . رأيت نشر كتيبى الأولى مرّة أخرى ليكون ما فيها معرّفاً على تطوّر فهمى للقول فى كتاب الله فيما جاء من بعدها فى كتاب ومقال تبين ما وصل إليه التطوّر بفهمى للكلمة فى كتاب الله .

لقد جعلت الخطّ فى هذا الكتاب بالخط الذى أتبعته من بعد علمى بالفرق بين خطّ اللغة الفصحى وخطّ القراءان . أما فهمى فقد تركته كما هو فى الكتب الثلاثة وزدت فيه ما رأيته من حاجة للبيان .

لن أعرض هنا للتطوّر الذى حدث على فهمى وتفكيرى الدينى . فذلك سيأتى فى الكتب الأخرى التى سأنشرها لاحقاً . ومنها ما نُشر ولم يأخذ حظّه فى العرض والتوزيع ومنها ما هو جديد .

كان كتاب «الدين خرافة أم علم؟» أوّل أعمالى فى الدين . وقد دفعنى إلى العمل عليه مفهوم «الزواج المدني» الذى أثير فى لبنان عام ١٩٩٨ وما كان من مواقف رفض له من جميع رؤساء الطوائف الدينية . فكتبت مقال «زواج المؤمنين» وأرسلته مع صديق لنشره فى صحيفة «النهار» . وبعد حين أبلغنى ذلك الصديق أنّ

المقال لن ينشر بعد أن كان نشره قد تقرر وأرسل إلى المطبعة . ولأنى رأيت فى مواقف الطوائف من الزواج المدنى ما يخالف دين الحق ويجعل فى مفاهيمه العسر ويغلق كل سبيل ليسر إليها . عملت على المسألة فى كتاب صغير وبه بدأت سلسلة كتب حتى عام ٢٠٠٥ حيث توقفت عن كتابة الكتاب وتوجهت إلى كتابة المقال على الأنترنت .

كان وراء عودتى إلى الكتاب مرة أخرى محرّض لن أفصح عنه الآن . لكن سيأتى يوم أبينه .

فى هذا الكتاب توثيق محسن لتفكيرى فى كتب ثلاثة . سيعقبها تحسين لجميع كتبى المطبوعة تليها أعمال تبين ما وصل إليه تفكيرى الدينى المسئول الذى لا صلة له بالتاريخ ولا بما لدى جميع الطوائف على اختلاف منابعها . فالدين عند الله كما تعرّفت عليه وعلمت به من كتاب الله القرآن هو منهاج علوم الحق ذاته وهداية للناس فيها جميعها . وليس لمن لا صلة له بعلوم الحق صلة علم بالدين وبهدياته .

حاجتى من هذه العودة كانت قائمة فى نفسى التى خذلها الناشرون وناصرها المتابعون على الأنترنت . والمأرب من العودة هو تعريف من يريد متابعة أعمالى الأخرى بما أتبعته من منهاج ولسان ووسيلة فى أعمالى الأولى . وتعريفه على تطور وسائلها فيها وعلى مسئوليتى الشخصية عن مفاهيم تشابهت لى بما أملك من علم . فقد تعلمت من كتاب الدين كيف أفكر بعلم . وهذا ليس من وسائل من يظن أنه من رجال الدين وهو كاهن وكلّ ما يقوله فى الدين تكهن مجنون . فالدين هو دين الحق والعلم فى الحق له وسائله .

الأذقية ١٠ / آذار ٢٠١٠

سمير إبراهيم حسن



أَلَدِين خرافة أم علم؟



## مدخل إلى البحث

تبيّن كلمة «رسالة» مرسلًا ومرسلاً إليه . كما تبيّن أمرًا مخطوطًا على ألواح أو قرطاس أو بوسيلة الهاتف والبرق أو البريد الإلكتروني .

ورسالة الله (القرءان) أنزلت على قلب الرسول محمد بما يشبه البريد الإلكتروني . وأخرجت من قلبه ونُشرت في صحف على قرطاس لتبليغ الناس جميعهم :

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ١٥٨ الأعراف .

وتصدر الرسالة عن مرسل يوجهها إلى مرسل إليه . فلا يجوز تبديلها ولا تلخيصها ولا شرحها من أحدٍ لآخر .

وتسلّم الرسالة للمرسل إليه مغلقة محفوظة وهو وحده الذي يزيل غلافها . وهو وحده الذي يتعامل معها وعلى مسئوليته .

وقد جعل الله رسالته يسيرة سهلة لا خفاء فيها . ولا حجة للمرسل إليه بالقول عن صعوبتها أو عسرها أو حاجته لمن يبينها له :

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ١٧ القمر .

ويؤكد الله على مسألة بيّنة في رسالته . فهي رسالة لجميع الناس وأن على الرسول ألبلاغ . أى نشر الرسالة بحيث يستطيع كل إنسان أن يحصل عليها .

وجاء في الرسالة ما يبين منع التدخل بين المرسل والمرسل إليه :

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ ٥٤ النور.  
 ﴿فَإِنَّمَا عَلَى رُسُلِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ ١٢ التغابن.  
 ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ٥٦ القصص.  
 ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ ٨٠ النساء.  
 ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ١٢ هود.  
 ﴿اللَّهُ حَفِظُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ٦ الشورى.  
 ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ٣٧ النحل.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ ٨١ النمل.  
 ﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِصْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨٤ النساء.  
 وبهذا القول يبين المرسل أنه لم يترك للرسول ولا لغيره من الناس حق  
 الادعاء بالتفويض أو الوكالة أو الحفظ على الناس. وأن المرسل إليه أن يتخذ  
 من الرسالة الموقف الذي يريده وعلى مسؤوليته.

وفي الرسالة ما يبين للمرسل إليه مسؤوليته وأنه لن يجد شفيعاً إلا الله:  
 ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٤٤ الزمر.  
 ويؤكد الله في رسالته على المسؤولية الفردية للمرسل إليه:  
 ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا  
 نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا  
 كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ٩٤ الأنعام.

ويؤكد وبين فردية الحساب يوم القيامة:  
 ﴿وَكُلُّهُمْ عِندَ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ٩٥ مريم.  
 فالمسؤولية فردية. والله يخلق الناس أفراداً ويحاسبهم أفراداً. لا مذاهب ولا

مدارس ولا أحزاب. والرسول يدعو إلى سبيل الله. والمؤمنون حقاً كل يدعو إلى سبيل الله حتى قيام الساعة لا تتوقف الدعوة. والمسألة في الدعوة هو الرسالة ذاتها. وتقوم الدعوة بتحريض الناس من دون إكراه ولا قتال: ﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨٤ النساء.

الدعوة هي في تحريض الناس للأخذ بالرسالة والنظر فيها والمطابقة بين أنبيائها وأنباء العلم عن أشياء الوجود. ما يظهر منها وما يغيب. والعمل على وضع النظريات الموجهة للبحوث هداية بها وبمنهاجها المبين.

لقد بين الله أنه وحده الذي يهدي للحق لا غيره: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ٣٥ يونس.

فمن يشاء أن يهتدى يبدأ بالنظر في رسالة الله إليه ويبدأ بالعمل على إدراك ما فيها معتمداً على توجيه الله له: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ ٤ المزمل.

فيرتل عمله وفق الكلمات ودليل كل منها. وهذا يحتاج للوقت والصبر للعلم في أي مسألة في الوجود. وله أن يستعين بعلوم زمانه. وأن يكون نصب عينيه أن النظر في رسالة الله لا يتوقف لأنها تحمل صفة مرسلها العلمية. فالله عليم وعلمه مطلق. أما علم الإنسان فهو علم نسبي. وكلما ازداد علمه أنكشفت له جوانب من الرسالة لم يكن يملك العلم لبيانها في زمان محدد. وفي كتاب الله ما يبين هذه الحركة في البيان:

﴿سَتَرْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٥٣ فصلت.

في الأفاق الكثير من الآيات. الكون الواسع بشموسه ونجومه ومجراته وألوانها ومساراتها الفلكية. وأشياء غيبية من الشهور والطاقة الأولية (الليبتونات

Liptons والكواركات Quarks). ومعه ما يكتشفه علم الناس من ألوان الحياة وأزمانها.

أما الآيات في أنفسنا فهي شبيهة بالآيات في الأفاق. كثيرة الألوان والأفعال. منها الأقسام الظاهرة في الجسم. والأقسام الخفية كالقلب والكلى والمعى والمعدة الخ.. وقد وصل علم الناس إلى آيات غيبية في أجسامهم. وهنا يبدأ العجب. هناك الخلية وألوانها ونوبها وأفعالها. صنع البروتين وفق ساعة توقيت.. استقبال.. إرسال.. صناعة منهاج (برمجة) لعمليات النمو والانقسام.. الخ.

وعلم الناس في كتاب الله يوعظهم ويهديهم في النظر والبحث في الأفاق وفي النفس. واكتشافاتهم العلمية تساعدهم في العقل والمطابقة بينها وبين كتاب الله. وبالعقل والمطابقة يتوصلون إلى الهداية في النظر والبحث من دون ضياع في الوقت وفي المال.

لكن إن لم يحدث العقل والمطابقة فستكون تلك المكتشفات وسيلة لاستنباط النظريات التي توجه البحث العلمي كنظريات التكوين من دون تلك الهداية. فقد بقى الظن بوجود سبعة كواكب حول الشمس حتى بداية النصف الثاني من القرن العشرين حيث اكتشف علماء الفلك كوكبين آخرين. وما يزال البحث يجري عن كواكب أخرى.

ومن مسائل الهداية في هذا الأمر ما يبينه النظر في البلاغ التالي:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ٤ يوسف.

وفيه ما يدل على أمرين اثنين:

الأول أن الرؤيا ترمز عن إخوة يوسف ووالديه بالكواكب والشمس والقمر. وأن يوسف سيكون صاحب شأن على إخوته ووالديه. وهذا يظهر فيما بعد بخضوع الجميع له بسبب ما يملك من سلطة وعلم.

الثاني إعلاننا عن حق في الوجود. وهو أن في مجموعتنا الشمسية اثنا عشر كوكبًا (يوسف وإخوته). ويوسف هو من لون إخوته الكواكب. كما يبين مسألة علمية هامة. وهي أن واحدًا من كواكب المجموعة الشمسية له سلطة على إخوته الكواكب وعلى والديه الشمس والقمر. ويوسف هو ابن الأرض. وأسم يوسف يرمز إلى الإنسان العالم المجدد فيها.

بهذا الفهم أستنبط من بلاغ القراء أن عدد الكواكب اثنا عشر. وأنه ما زال هناك ثلاثة منها لم تُكتشف.

والى جانب هذا الاستنباط أرى أن دليل أسماء الكوكب المعروفة يساعد في فهم ومعرفة مسألة التكوين في مجموعتنا الشمسية. فقد أطلق الشاميون (جميع أهل بلاد الشام) أسماء على ستة كواكب منها. أما اليونان والرومان فقد جاء عندهم تسعة أسماء.

وفيما يلي اسم الكوكب ودليله:

## ١ - عطارد.

أسم عطارد هو أسم للعدة والعتاد في لسان الشام. ويقابله في لسان اليونان الاسم Mercury الذي يدل على الفلز السائل أو الزئبق.

وأرى أن الاكتساب العلمي يقوى قدرة النظر في الدليل ويرفع في مفهومه. فدليل أسم عطارد يشير إلى عدة وعتاد التحولات اللاحقة على الفلز السائل.

أما دليله في لسان اليونان فيشير إلى أمرين:

الأول أن المادة الدخانية (الغازية) تنحل إلى سائل وتأخذ هيئة كروية.

والثاني أن عدة كوكب عطارد فلز سائل.

وبما رأيته في الدليل والاكتساب العلمي والهداية ببلاغ القراء ان يجعلني أمام نظرية للتكوين داخل المجموعة الشمسية تتوافق مع النظريات المستنبطة في النظر العلمي من دون هداية وهي:

آ - نظرية الانفجار الأعظم (the big bang).

ب- نظرية التوسع والانكماش.

ج - نظرية الكون السكوني.

د - نظرية الكون غير المتجانس.

وتخالفها في طريقة التكوين.

هذه النظريات تُجمع على أن جميع الكواكب في مجموعتنا الشمسية تكوّنت في زمن ما يقارب خمسة بلايين من السنين دفعة واحدة. ومن كتلة دخانية (غازية) كبيرة منتشرة في الفضاء إلى حدود المجموعة الشمسية.

وأقول بالاستناد إلى الهداية وإلى دليل أسماء الكواكب أن كلا من هذه الكواكب ولد عن الكتلة الدخانية حول الشمس بمفرده كما ولد يوسف وإخوته.

## ٢- الزهرة.

أسم يدل في لسان الشام على الفاعلين لألاً وأنار. وهذا لا يحدث إلا من فعل إنكسار ضوء في غلاف دخاني (غازي).

والأسم اللاتيني للكوكب هو Venus ودليله يطابق الدليل في لسان الشام. وهذا يشير إلى أن كوكب الزهرة هو طور جديد للمولود عطارد الفلزي. وقد تحول إلى كوكب جديد له غلاف دخاني ينكسر الضوء فيه ويجعل الكوكب منيراً.

وأرى أن تكوين الغلاف الدخاني يحدث بفعل الانحلال والترابط الجاريين في المادة الفلزية في كوكب عطارد. حيث تنتقل الحرارة الكبيرة إلى المركز بفعل قوة الشدّ (الجاذبية). وبفعل تمايز المادة السائلة المتكونة تتزاح الجزيئات الأثقل كالحديد لتكوّن نوى الكوكب. وتطفو على سطحه المادة الأخف وزناً وذات المسامات الكبيرة التي سرعان ما تتخلّى عن حرارتها إلى الخارج على هيئة دخان.



يلزم لهذه الأفعال ٢-٣ مليار سنة على تكوين كوكب عطارد حسب معطيات علم الفيزياء. حيث يكتمل حوله غلاف دخاني كثيف. وتبدأ فيه عمليات انحلال وترباط في أشراط جوية جديدة للكوكب.

أما ضوء الشمس الذي كان ينصب على سطح الكوكب من دون عوق ويزيد في حرارته. فصار لا يوصل إلى سطحه إلا بعد أن ينفذ من الغلاف الدخاني المحيط به.

هذا النفاذ لضوء الشمس وانتشاره داخل الغلاف الدخاني يبعث النور في أرجائه محولاً الكوكب من عطارد إلى الزهرة. وهنا تبدأ أفعال جيوفيزيائية جديدة في الكوكب.

تتم أفعال تكوين كوكب عطارد مرة كل فترة تقارب ٢ / مليار سنة حسب الفترة المقدرة لعمر الكون من قبل علماء. وهذه الفترة ظنية. ويمكن الوصول إلى حسابها بما يوافق الحق الجارى بمتابعة النظر والبحث في كتاب الحق (الكون) والعقل مع كتاب الله القراءان وفيه البلاغ عن جميع الحق.

لكلمة الله في الوجود هيئة أو ظاهرة مادية. والمادة تتفكك من لون مادي إلى آخر من دون فقدان. كما تعود وترباط بعد الفلك لتكوّن لوناً مادياً آخر. فالكواريكات الأكثر خفة (فوقى وتحتى) تتكوّن منها البروتونات والنيوترونات والكترونات. ومن هذه يتكوّن الجدول الدورى بأكمله.<sup>(١)</sup>

وتتفكك المادة إلى طاقة ثم تعود بالارتباط لتكوين الأشياء الصغيرة والأجزاء. ثم التكوينات السماوية بكل ألوانها. وهو ما أفهمه من الأنباء التالية:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٢٧ الروم.

(١) اكتشاف كوارك القمة (مجلة العلوم الأمريكية - المجلد ١٤ - العدد ٥ أيار ١٩٩٨).

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ١٠٤ الأنبياء.

ويسبب فعل ألفك انطلاق المادة التي تتوزع إلى لونين أصليين فيرميونات Fermions وهي المكونات الطاقية الأساس للمادة. وبوزونات Bosons وهي الطاقات الوسيطة في تفاعلات القوى التي تربط بين الطاقات الأساس المكونة للمادة. وهي الكوراكات Qarks والليبتونات Liptons.

ويعزّر قولي النظر في البلاغات التالية من سورة الفجر:

﴿وَالْفَجْرِ / ١ / وَلَيَالٍ عَشْرٍ / ٢ / وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ / ٣ / ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ / ٤ /﴾.

فإلى ماذا تدل هذه البلاغات؟

وإذا وجهنا نظرنا إلى دليل الكلمات فإلى ماذا يدلنا الواو في القول «وَالْفَجْرِ»؟

ما رأيته أن الواو هو واو التتابع أو العطف المرحلي أو الطُّور. فهو ليس للقسم كما يظن أصحاب اللغة. ولا يوجد أي مسيغ (مبرر) للقسم هنا. وهو ما يوكدّه النُّبأ:

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ ١٠٤ الأنبياء.

العودة تبينها سورة الفجر على أنها تبدأ بالفجر الذي يحدث بفعل تسلسل سبقه وليس بداية من لا شيء. وبالتالي لا مسيغ للقول بالقسم. ومع الفجر تبدأ المادة بالانطلاق من ينبوع تحت تأثير القوى الضعيفة كما تقول الفيزياء. وهو تفكك طاقى يحرر الطاقة في موقع الفجر لتندفع منطلقة بعيداً عنه. ومثله ما يحدث في الشمس.

كذلك القول «ولَيَالٍ عَشْرٍ» الواو هي واو العطف المرحلي أو الطُّور.

الهداية تبين لي أنه بالفجر تبدأ عمليات التفكك وانتشار الطاقات المكونة للمادة والطاقات الوسيطة لتفاعل القوى.

كما تبين أنه في هذه المرحلة يكون كل شيء غارقاً في الظلام. وأنّ الظلام

يستمر عبر مراحل عشر من عمليات ارتباط الطاقات في مواقع الانتشار .  
وعندما يوصل التفاعل والارتباط بين الطاقات المنتشرة (الليبتونات  
والكواركات) لتكوين (بفعل القوى الكهرطيسية) أول السور (الذرات) وهى سورة  
«الهيدروجين» Hydrogen تكون قد مرت المراحل العشر المظلمة منذ زمن  
الفجر .

والى العشر هى مراحل فى الظلام تبقى فيها المادة غير ظاهرة .  
ومثله القول «والشفع والوتر» . الواو واو العطف المرحلى أو الطور .  
ويبين القول أن المادة قد وصلت فى ترابطها إلى بناء أول سورة (ذرة) يمثل  
سورها (إلكترونها) وترًا ونولها شفعا وهى ما يعرفها علم الفيزياء بذرة  
«الهيدروجين» .

كذلك هو الأمر مع القول «والليل إذا يسر» . الواو واو العطف المرحلى أو  
الطور . حيث أن وجود سورة «الهيدروجين» يكون السبب فى بداية انتشار النور  
ويبدأ الظلام بالانحسار شيئًا فشيئًا .

وبفعل القوى المغناطيسية المتبقية ترتبط سور (ذرات) «الهيدروجين» ببعضها  
لتبدأ عمليات تكوين الأجزاء (الجزيئات) .

وتتابع المادة ترابطها حتى يظهر أول حزب (تجمع مادى) فى السماء . وهو  
فى مجموعة الشمس الكوكب الأول . ثم يليه تجمع جديد حتى يكتمل عدد  
الكواكب فى المجموعة الشمسية اثنا عشر كوكبًا . ولكل منها زمنه الذى ولد فيه  
كما هو يوسف وإخوته .

وبالتالى لا تتساوى الكواكب فى أعمارها . وجميعها تمر فى مرحلة عطار  
ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ . . . إلى أن تصل إلى الكوكب الثانى عشر . ومن  
بعده تبدأ عملية الانكماش التى تبدأ بالتكوير كما جاء فى النبأ :

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ١ التكوير .

هذا النبأ يبين أن الشمس ستوصل إلى طور التكوير بعد حالها التى نزلها عليه

الآن. وهو فراغها من الطاقة وتوقف شمسها وتحولها إلى كور جوفه فارغ يسحب الطاقة إليه.

وإذا نظرنا في النبأ التالي:

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ٢ تكوير.

يبين أمرا يخرج عن حدود المجموعة الشمسية التي نحيا فيها. فهي تشير إلى انكدار النجوم وهو ذهاب نورها. والنجوم لا توجد في مجموعتنا الشمسية.

وكان النبأ يبلغنا أن توقيت انكماش الطاقة في النجوم والشموس توقيت واحد في الكون. وهو ما بينه البلاغ:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضُ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٨٧ الأعراف.

### ٣- الأرض.

أسم أرض عربى ودليله يشير إلى صلاح الكوكب للموت وللحياة.

إن كوكب الزهرة بعد مرحلة طويلة للفعاليات الجوية والسطحية والجوفية تحول إلى الصلاح للحياة وأتخذ موقعا أبعد عن الشمس وتحول من أسم الزهرة إلى أسم الأرض وفيها الموت والحياة «كفاتا»<sup>(١)</sup>.

العلم بما حدث للأرض في الأزمنة الجيولوجية يمكن مراقبته اليوم على سطح كوكب الزهرة. حيث أن الحياة مرت بمراحل متعددة قبل أن يصبح الزهرة أرضا صالحة لحياتنا. وإن وجود حياة على سطح الزهرة لا يدل أن حياتنا ممكنة فيه الآن قبل الصلاح. وهذا يدفعني للقول أن حياة الديناصورات كانت في طور للحياة على كوكب الزهرة قبل تحوله إلى أرض صالحة. وإن هذا التحول هو

(١) منه قول الناس «كففة» للحم المخلوط بالدهن.

الذى سبب موت الحياة الدينامورية الذى يعتبر بالنسبة لحياتها فسادًا (تلوثًا بيئيًا) يسبغ موتها جميعًا.

إن اسم Earth فى لسان الأنكليز يدل على تراب صالح للزراعة وعلى ما يبقى من جثمان ميت. كما يدل على الصلصال والفخار. وهو اسم شامى ودليله فيه كما هو فى لسان الأنكليز. ويزيد فى الطور العربى اللسان البيان فى الدليل عما يتركه الميت ليكون ميراثًا.

وما تقوم به حياتنا هو أفعال تحويل المادة فى الأرض بألوان متعددة. الأمر الذى يوصل الأرض إلى مرحلة الموت المريخى ما لم نهتد.

#### ٤- المريخ.

فى لسان الشام من دليل الفعل «مَرَّخ» اسم لشجر «المَرخ» الذى يكثر فيه الدهن.

وفى لسان اليونان Mars يشير صوت نطقه إلى أصله الشامى. ويدل فيه على السبخة والملح.

وأفهم من هذا الدليل أن كوكب المريخ لا يصلح للحياة. وأرى فى علمنا بما جرى على كوكب المريخ يعطينا تصورًا واقعيًا عن مستقبلنا مع كوكبنا الصالح.

#### ٥- المشترى.

يدل فى لسان الشام على التمدد والفرقة. وهو المعدوم الفقير الذى لا يملك شروى نقير.

يفتقر الكوكب إلى التماسك وتظهر عليه بثور تدل على وجود مسامات كبيرة فى سطحه. وهذا بفعل تمدد الكوكب وانتفاخه فيبدو ذو هيئة كبيرة. والاسم فى لسان الروم Jupiter. أى الكبير الهيئة.

وبفعل تفككه ينتشر حوله عدة أقمار أظن أنها انفصلت عنه.

## ٦- زحل .

أسم يدل على الأزاخه وألتنحى . وأسمه فى لسان الروم Saturn الذى يدل على الإفراط والتوزع .

فى نوى زحل وحلقاته شبه مع هيئة الكون مع بدء الفجر (الانفجار الأعظم) . فالكوكب الذى بدأ بأسم عطارده وصل فى طور زحل إلى طور الإفراط فى الانحلال والتجزأة الذى تبينه حلقات الكوكب .

أنتهيت من دليل أسماء الكواكب فى لسان الشام . وأتابع مع اللسان اليونانى وفيه أسماء لتسع كواكب حول الشمس :

## ٧- أورانوس Uranus .

هذا الاسم اختاره علماء الفيزياء ليذل على أسم معدن مشع هو اليورانيوم . وإذا كان هذا الاسم يحمل هذا الدليل فهذا الكوكب هو الطور الذى يجعل من أفرات انحلال زحل سببا لتحوله إلى مادة تنطلق على هيئة ضوئية وقد بدأ يفقد حلقاته .

## ٨- نبتون Neptun .

هذا الاسم سمى به فلز إشعاعى شديد السطوع هو النبتونيوم . وهو أورانوس سابقا .

## ٩- بلوتو Pluto .

هو عند اليونان الجحيم . وهذا ما يدل عليه أسم البلوتونيوم الفلز القوى الإشعاع . فهو يمثل جحيما بسبب تحوله إلى طاقة منطلقة .

فى لسان الشام أسماء لسته كواكب من المجموعة الشمسية . وفى لسان

اليونان تسعة أسماء لتسعة كواكب. وقد صار عدد الكوكب حول الشمس إلى  
اليوم عشرة. وما يزال العاشر من دون تسمية.  
أما عدة الكواكب في بلاغ القراءان فهي اثنا عشر كوكبًا.

بعد هذا العرض للدليل لى سؤال:  
هل أعلمنا البلاغ في القراءان عن عدتها كما هي الآن ويلزمنا متابعة البحث  
عن الكوكبين الآخرين؟  
أم أن عدتها لم تكتمل بعد وعلينا انتظار ولادة عطارد مرتين؟  
وإذا توجهنا وجهة الشمس بين الشمس وعطارد هل نجد كوكبًا لم تصل  
نشأته إلى مستوى الفلز السائل؟

\*\*\*

ما قدمته لا أريد منه استعراضًا لمعرفة فلكية أو فيزيائية. لكن أريد استدلالاً  
وأستنباطاً يستندان على أسماء كواكب من المجموعة الشمسية كان قد استخدمه  
كل من الشاميين واليونان القدماء.  
وما رأيته أن هذه الأسماء كانت وما زالت تدل على تسلسل في ولادة هذه  
الكواكب وصيرورتها وموتها.  
وأن هذه الأسماء كانت قد جاءت من أحد أمرين:  
الأول هو الوحي الإلهي.  
والثاني غزو الأولين للفضاء.  
وأرى أن الأمرين محتملين معًا. وأن حضارتنا العلمية القائمة ليست هي  
الأولى على كوكبنا. كما أنها قد لا تكون الأخيرة.

وأعود إلى الرسالة والمرسل إليه لأذكر بأمر الله:  
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ  
مَسْئُولًا﴾ ٣٦ الإسراء.

وهو أمر بالعلم يقوم على اشتراك وسائل الأشعار الأساس مع ألفؤاد لإكمال عملية الإدراك اللازمة للبدء بالعلم والفقه والحكم.

وعليناً ألا نغفل ونحن ننظر ونعمل حتى لا نكون من الذين جاء وصفهم فى البلاغ:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ١٧٩ الأعراف.

فألعلم يعتمد على أفعال تشعر بها الأذن والعين وتنقل إلى ألفؤاد ليتعرف عليها. وقد خلقها الله مع كل فرد من الناس.



## اللسان العربي المبين

تتكون مفردات اللسان من الكلمة والكلمة الزوج. أو حسب قول ألفيزياء من الكلمة والكلمة المضادة. وبهذه الزوجية يكون اللسان جدلية يبلغ بها عن الحق بطرفيه.

وفي لسان القراءان بيان لهذه الزوجية:

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩ الذاريات.

ويتكون لسان القراءان وفق هذا الأساس من كلمات أزواج:

كلمة ذكر الزوج نسي

كلمة تكبر الزوج ركع

كلمة سبح الزوج قر

كلمة عجم الزوج عرب

.. الخ.

ومن الزوجين تقوم جدلية فعل الحلّ وفعل الربط في الوجود المادى وتنعكس في اللسان الذى يصنع البلاغ عنه. فكلمة سورة (ذرة) لها ضدها وكلاهما تتفكك إلى كلمتين إلكترون ونوى. وكذلك النوى تتفكك إلى بروتون ونيوترون. كما أن البروتون يتفكك إلى كوارك وكوارك مضاد الخ.

هذه الكلمات في الوجود هي كلمات في الحق. وأنّ البلاغ عنها هو صورة في الخطّ وفي الصوت معا.

كذلك هي مسألة الارتباط بين كلمات الحق. إلكترون ونوى يكونان سورة تستمد أسمها من السور الذي يحدثه الإلكترون حول النوى. وبأرتباط الأوكسجين والهيدروجين تتكون كلمة جزء. وبأرتباط الكبريت والهيدروجين تتكون كلمة جزء تدل على حمض. الخ. ولكل منها زوج مضاد.

فكلمات الله أزواج وهى ألوان الوجود من دون استثناء. من الذرة وأكبر منها وأصغر. وما جاء فى البلاغ يبين هذا الفرق بين الكبير والصغير:

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٦١ يونس.

ويبين بلاغ القرآن أن قول الله يتطابق مع كلامه:

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ ٧٣ الأنعام.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٨٢ يس.

قوله الحق هو عين كلماته. وهو عين الشيء الموجود. أما قوله الموجه للناس فهو كلامه فى رسالة منه ترشدكم وتهديهم إلى كلماته فى الوجود (فى الأفاق وفى أنفسهم).

وعندما يوصل كلام الله الموجه للناس إلى الإدراك يُعرف ويعقل ويفقه يصبح قولاً لله فى صدور الناس. وهو عين البلاغة والبيان عن الوجود الحق:

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾ ١٠٦ الأنبياء.

كلمة «عبد» زوجها «فسق». وفى عبد دليل الطاعة من بعد علم. وفى فسق دليل التمرد والعصيان.

وفى رسالة الله بلاغ لقوم عابدين. وهم الذين أدركوا وفقهوا البلاغ والتزموا طاعته.

إن الدارسين للسان القرآن العربى منذ بداية السلطة الأموية ومن بعدها العباسية وقعوا تحت تأثير الدراسات الفارسية لهذا اللسان. وتأثروا بأساليب

ووسائل تفكير الدارسين الفرس . وكان هذا التأثير في المظهر الاسمي للمصدر وجعل الفعل تابعاً له . فالاسم وفق التفكير الفارسي هو أصل جميع الكلمات في اللسان .

أما لسان القرآن فيتبع منهاجاً يبين أن الفعل الوجودي وإن يكن يتبع أسماء الله الحسنى فإنه في الأشياء هو المصدر لأسمائها في جميع التكوين الزوجي . وقد جاء في النبأ بيان ذلك :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ٨٢ يس .

كن هو الفعل وبجريانه ينشأ الشيء واسمه .

لم يقتصر تأثير الدارسين الفرس على هذا المظهر وحده . بل أمتد إلى أساليب التفكير والبحث في الوجود . فجاء الفهم للقول في القرآن بوسائل فارسية . وجاء قول المفكرين بلسان فارسي .

لقد بين الله في كتابه أن الشيء (الكينونة) هو ما ينجم عن جريان الفعل «كن» . وبذلك وضع أساس البدء في التعامل مع الأشياء على أنها مفعولة الأفعال . والشيء له اسم يأخذه من فعله وهو سمته التي تميزه عن شيء آخر .

في حين أن جميع دارسي اللسان منذ بداية سلطة العباسيين وحتى يومنا هذا يقولون بعكس الوجهة . الاسم «الشيء» أولاً ومصدرًا والفعل يتبع الاسم . وهذا قلب للحق الجاري . فهم يظنون أن أسماء الأشياء مثل أسماء الله ويظنون أن وجودها يسبق فعلها . كما يظنون أن وجود الله يسبق فعله . أما ما يبينه البلاغ فإن الله ليس كمثله شيء .

هذا المنهاج المقلوب جاء من التأثير الفارسي فلم ننظر فيه ولم نقبل أن ننظر فيه بحجة التقديس لعمل القدماء .

المنهاج الفارسي يستند على الظن بأسبقية الاسم للفعل . وهذا الظن أساسه عقائدي . إذ أن الفرس يعتقدون بالحلول والتجسيد والتقمص والتناسخ . وكل ذلك مفاهيم ظنية عن الحركة في الوجود تلبس صفة التعددية للشيء الواحد . أي

أن الشيء هو هو مهما اختلف البعد والزمان والهيئة. وهذا يتولد عنه مفهوم بقاء الشيء مع اختلاف ألوان تجليه.

وهذا يسوق إلى مفهوم مماثلة الله للأشياء وهو عين الشرك بالله. وهو عين المولد للجهل والتخلف سواء كان في العلوم أم في وسيلة التعريب عن العلوم - لسان.



## العربي

إطلاق اسم عربي على الإنسان الذي ينتمي إلى مجموعة شعوب الشرق الأوسط لا تؤيده الدراسات الجدية لتاريخ شعوب هذه المنطقة. <sup>(١)</sup> فهناك تجمعات بشرية سكنت البلاد التي تقع في غرب آسيا. وقد حملت هذه التجمعات أسماء مختلفة. ولم يكن بين هذه التجمعات أي تجمع يحمل اسم عربي.

هناك الآكادي والبابلي والكلداني والآشوري والآرامي والكنعاني والسبأي والمصري والإسرائيلي والتدمري والمعيني والقتباني والحبشي. . الخ. ولدى الجميع أعراب بادون لا يستقرون في مكان. وكل هؤلاء يشتركون بأساس لسانی واحد هو ما اتفق الدارسون على تسميته بعائلة الألسن السامية نسبة إلى سام بن نوح. <sup>(٢)</sup>

وكان لكل تجمع من شعوب الشرق الأوسط ألقديم لسان يتميز عن الألسن السامية الأخرى بما اكتسبه من علم ومعرفة. سواء كان ذلك من سعيه أم من أعمال ألوحى والرسالات الدينية.

---

(١) أنظر «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» د. جواد علي.

(٢) أرى تقسيم لسان هذه الشعوب إلى لسانين «شام» وهو لجميع المذكورين من دون واحد منهم هو العبري الذي حمل لسانه اسم «سام» من بعد موسى بسبب زيادة «السين» في أبجدية لسانه من دون تلك الشعوب.

وكان لعامل التنافس والسلطة والتوسع التي تناوبت على المنطقة بين أكاد وبابل وأشور وإسرائيل وسبأ والفرس والروم وتدمير تأثيره في إلغاء الكثير من ألوان التميز.

ثم جاء الدور الكبير لحملة لسان القراءان. فتوسع لسان حامله. وهو لسان بشر ظن أصحابه أنه ولسان القراءان لسانا واحداً. وكان انتشار هذا اللسان سريعاً بفعل السلطة الامبراطورية التي أسست المدارس لتعليم لسانها وقد ألبسته ثوبا دينيا.

وبفعل قرابته الشامية مع السن شعوب بلاد غرب آسيا. فقد ساد على جميع طرائق تعليم اللسان السابقة عليه. وهيمن على جميع الألسن الشامية. وما يزال حتى يومنا هذا يفعل ذلك رغم اختلاطه بتلك الألسن وتأثره بها كما أثر فيها. ويرى الدارسون أن لسان القراءان من أقدم السن الشعوب الشامية. وأرى أن البداية كانت مع تعليم آدم الأسماء كلها. وبلاغ القراءان هو بلسان القوم الساميين (الساميين):

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنُهُ لِسَانُكَ﴾ ٩٧ مريم.

ويتميز لسان القراءان عن لسان القوم بأسلوب تطابق القول مع الحق ومع الفعل. وهو أسلوب بلاغ البحث العلمي المؤكد.

في حين يتميز لسان القوم بالظن والعجمة:

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيْهُ وَهَذَا لِسَانٌ عَكْرِيْتُ مِّثْلُ﴾ ١٠٣ النحل.

لسان الذي يلحدون إليه بلاغه أعجمي لأنه بلاغ بشر لا يبين الحق كله. أما لسان الوحي فهو عربي مبين لكل شيء. وبلاغه عنه ظاهر الدليل فصيح لا لبس ولا عجمة ولا صعوبة ولا عسر ولا جهل فيه. وسبب ذلك أن مرسل البلاغ هو الله الذي يعلم كل شيء ولا يعجم في البلاغ عن أي شيء.

أما بلاغ لسان البشر فإن سبب عجمته هو جهله في الحق جميعه.

وللفكر البشري خاصتان جدليتان:

الأولى موافقته مع الحق بسبب علم فيه.

والثانية ظن وتخريف (تخريف) بسبب نقص العلم.

واللسان الذى يوافق قولُ بلاغِهِ الحقَّ جميعه هو اللسان العربى الذى وصل إلينا وحيًا وسجل فى صحف منشورة (القرءان). وهذا البلاغ حمله لسان شامت هو لسان الرسول.

لقد تفاعلت وتداخلت التجمعات البشرية فى الشرق الأوسط القديم عبر مراحل عديدة من تاريخ المنطقة التى حملت من البداية أسم بلاد الشام. وهى التى تشمل سوريا ولبنان والعراق وفلسطين والأردن والحجاز ونجد واليمن. وأرى أنها تتوغل فى أفريقيا إلى الحبشة.

وهذا الاسم هو أسم الأب الأكبر لهذه التجمعات وهو شام ابن نوح. وقد تبدل هذا الاسم فى مرحلة سيادة إسرائيل على تلك البلاد فصار الاسم ساما بدلا من شام وأبدل الآشينيون بالسين. وبقي المكان متمسكا بأسم الحق حتى يومنا هذا. وحق شعوب المنطقة أن تدعى بأسمها الأصل. وهو الشعوب الشامية/ الآشامية.

هذه الشعوب بتفرعاتها وهجراتها وتفاعلها مع شعوب تداخلت معها جعلها تشرك فى أساليب لسانها من هنا ومن هناك. وتجمعت لديها خبرات علمية مع ظنية ساقط لسانها إلى طور لسان قريش منها جميعا حمل الوحي الإلهى بلسان عربى مبين.

وقد سبق لهذه الشعوب أن تلقت وحيًا إلهيًا بأطوار من لسانها مثل الطور البابلى (هاروت وماروت) والطور الآرامى (إبراهيم وأسحق ويعقوب) والطور العبرى (موسى وهارون وعيسى).

وجاء الوحي لهذه الشعوب عبر أطوار من صيرورتها الاجتماعية والسانية. ولعب المتخصصون من رجال فكر وعلم وشعر وكهنوت الدور الرئيس فى حمل

اللسان في وحدات كتابية مخطوطة. وقد أنتشرت أعمال هؤلاء في جميع مناطق انتشار الشعوب الشامية. وكان للكهنوت الغلبة في هذا الانتشار وفي وضع مفاهيم عن الدين ما زالت مصيطرة إلى اليوم.

الفعل في جميع الألسن الشامية هو مصدر الاسم وسابق عليه. وكذلك هو الأمر في بلاغ القراءان الموحى بلسان قريش<sup>(١)</sup> شامي الأصل. في حين تخالف دراسة الدارسين لمتناهي لسان القراءان هذا الأساس وتسير وفق أساس فارسي. فالعربي وصف لما هو ظاهر فصيح بين لا خفاء فيه يسير من دون عوق. والقول عن لسان أنه عربي يدل على صفة بلاغ فصيح ظاهر مبين لا خفاء ولا عجمة ولا جهل فيه ولا صعوبة في إدراكه. وكلمة عربي هي صفة للسان كتاب الله. كما أنها صفة لأي لسان يبين.

عرب الزوج عجم.  
في عرب الفصح والصفاء والبيان واليسر.  
وفي عجم الخفاء والإغلاق والاستعصاء والسد.

وإذا نظرت في كتاب الله متابعا كلمة عربي:  
﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٣ الزخرف.  
أرى أن الفعل جعل يبين تغيرا في صيرورة الشيء<sup>(٢)</sup>. فما هو ذلك الشيء الذي جعله قرءانا عربيا؟

إنه التكوين وسننه الجارية فيه. وهذا أمر أعجمت على الناس حتى ينظروا فيه ويتبين لهم ما يعلمون منه. والقراءان هو جعل هذا الأعجمت بيانا في قول يظهره ويفصح به ويهدي فيه.

(١) القريش للقوم هو جمع مختلفين لا يزيل هوية الواحد منهم. والقريش للسان هو لسان يتكون من ألسن مختلفة. ومنه أسم القريش للون من اللبن.

(٢) «الكتاب والقرآن» د. محمد شحرور.

والبيان في الأشياء لا يكون للناس من دون سؤال ونظر فيها. وظهور ما في الأشياء لهم يحدث من بعد سعيهم ونظرهم في كل شيء. وهم إن لم يسعوا وينظروا سيقى كل شيء أعجمى عليهم.

هذا العلم هو ما جعله الله لهم عربياً مبيناً قبل أن يسيروا وينظروا. وقد جعله يسيراً يدركه ويفهمه ويفقهه من ينظر ويعلم ويعقل:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٢ يوسف.

في سورة الزخرف جرى الجعل القابل للعقل خارج إدراك الناس. أما في سورة يوسف فقد صار الإدراك والعقل ممكنين من بعد الإنزال الذي أوصل القرءان للناس.

وفيه الحكم عربى هو الآخر:

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ ٣٧ الرعد.

النزول يدل على الورد والدخول في المكان. <sup>(١)</sup> فالذى جعله قرءاناً عربياً نُزِّلَ على قلب البشر الرسول ومنه يُقرأ ويُشر للناس. وعليهم مسئولية تنزيله بأنفسهم على قلوبهم.

أما الحكم العربى فهو العلم بالشىء من دون نقص والقضاء فيه بيينة لا ريب فيها.

وفي مقابلة بين الأعجمى والعربى يظهر مفهوم الكلمة وضدها:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ٤٤ فصلت.

فما يقوله الله عن القرءان أنه لو جعله أعجمياً لا يدركه ولا يعلمه الناس.

(١) مفهوم النزول لدى الدكتور محمد شحرور- الكتاب والقرآن.



ولولا الفصل بين الآيات كالشجر والشمس والظل والنور لكان البيان مبهمًا مغلقًا قوله عليهم . ولقالوا عن الكتاب فيه ما هو أعجمي لا يستطيعون العلم به وفيه ما هو عريي يعلمون به .

وفي هذا القول أن القراءان بيان يسير يهدي الناس فيما لا يعلمون من الحق وما زال عليهم أعجمي . ولم يترك من آيات الحق ما هو مبهم ومغلق على النظر والعلم والعقل والحكم . فهو بيان يهدي ويشفي الذين ءامنوا ويبقى غيرهم من الناس من دون هداية ولا شفاء .

وفي ألبلاغ بيان للمأرب من جعل القراءان عرييًا:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ٨٩ النحل .

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٨ ءال عمران .

وعن وسيلة ألبیان اللسانية وهي الوسيلة الوسيط الناقل للبيان:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ ٩٧ مريم .

ولسانه هو لسان الأميين من قومه الشاميين:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٢ الجمعة .

والأميون يجهلون ولا يعلمون الحق ولم يأتيهم بيان عنه ولم يسمعوا منه قولاً ولا يتلون كتاباً ولا يخطون .

وبين ذلك الأمر العربي:

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ ٢٠ ءال عمران .

وبين أن الأميين هم الذين لا يعلمون الكتاب:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ٧٨ البقرة .

لم يذكر الله قوم الرسول بأسمهم . ولكن ذكر صفتهم العلمية . فالذين أوتوا

الكتاب هم الذين ينظرون ويعلمون ولا حجة لديهم بالأمية. والأميون صار منهم رسول يعلمهم الكتاب بلسان فطرتهم فلا حجة لهم بعد ذلك بالأمية.

وقوم الرسول هم قريش ولسانهم قريش شامي سامي. وجاء الوحي بلسان الأميين من قوم الرسول وهو لسان فطرة لا تأثير للتعليم فيه ولا للشعر والكهانة. ولسان الأمي حمل القرآن العربي المبين.

ولو كان لسان الرسول لاتينياً أو فارسياً لجاء الوصف للسان القرآن على أنه عربي مبين. والبلاغ يبين ذلك:

﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)﴾ الشعراء.

فعرية اللسان هي صفة ما حملة لسان الرسول. وأفهم أن حمل لسان الرسول فصيح مبين. وفصاحة اللسان غير مقتصرة على لسان واحد. واللسان الفصيح هو لسان عربي سواء كان اللسان شامي أم لاتيني أم فارسي أو غيره.

فأقول لسان عربي هو للتعريب بلسان ما عن حق يبين لا خفاء فيه. واللسان العربي هو كل لسان يعرب عن أشياء وصفات الحق. وفيه القدرة على توليد كلمات جديدة لكل مولود جديد يطابق دليلها هذا المولود. فاللسان الإنكليزي يستعمل اليوم في كل مسائل التعريب عن الأشياء في الوجود ويوصفها. وهو ينتشر بين الدارسين للأشياء في كل بقاع الأرض ويحتل الصدارة في التعريب عن الوجود الحق للأشياء. وهو يحمل في ذلك صفة اللسان العربي المبين الذي يمكن من العقل والفقه والعلم والحكم.

فالأمي يتعلم بلسانه الكتاب والحكمة. أما بلسان الشاعر والكاهن فيتعلم كيف يمرض ويجن.

لسان القرآن هو أعلا طور في التعريب بواسطة لسان الأميين الشاميين عن حقوق الوجود جميعها. وقد احتفظ بقدرته على البيان بين دفتي المصحف.

أما الشاميون فقد أنحرفوا عن عربية لسان القرآن وهو لسان فطرتهم بتأثير قول الشاعر وقول الكاهن وبأسس وأبجدية لسان أجنبي هو لسان الفرس . وبذلك أبدعوا لساناً أعجمياً على طول السنين بعد الوحي وحتى يومنا هذا .  
لقد جاء في البلاغ :

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩)﴾ الشعراء .

بعض الأعجمين<sup>(١)</sup> بهائم . والبهيم مغلق على تعريف فؤادى لا يستطيع استعماله ليعرب عن أمر . وما يفعله البهيم هو موسوم فيه بمنهاج تعريف مغلق سبيل العلم عليه . ولو نُزل القرآن على بهيم وقرأه صوتاً وخطاً أمام الكافرين ما كانوا به مؤمنين . وهؤلاء خُتم على سمعهم وعلى قلوبهم وعلى أبصارهم غشاوة .

وبهذا أرى أن من الناس من هو أعجمى أغلق منافذ المعرفة والعلم وهو لا يريد أن يعلم شيئاً . وهو لا يكتفى بهذا الموقف السلبي فى اكتساب العلم . بل يقاوم العلم ويعاديه حتى يصبح مجرمًا قاطعًا صلته مع الله :

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكَنتُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١)﴾ الشعراء .

ومن الناس من لا يستطيع الإيمان بسبب بعده فى عيشه عن أسباب النظر والعلم كالأعراب وهم أهل بادية فيدعون الإيمان :

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ الْحَجَرَات .

فيظنون وفى القول رد على ما يظنون . ووعد لهم إن ألزموا وأطاعوا ولم يفسقوا سيكون لهم مغفرة .

(١) يقول الشاعر الجاهلي الملقب بذي الخرق الطهوى :

يقول الخنى وأبغض العجم ناطقاً إلى ربنا صوت الحمار الجذع .

وفى كتاب الله قول يبين أن من الأعراب صادقون:

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٩٩ التوبة.

وفيه قول عن الذين يدعون الإيمان نفاقاً وإخفاء لما يبطنونه:

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٩٨ التوبة.

ولكنهم يدعون الإيمان وحالهم هو النفاق جاء عنهم:

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٩٧ التوبة.

وجاء بيان موقفهم من الالتزام:

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٩٠ التوبة.

كما بين نفاقهم:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا يَتْلَمَعُونَ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَردُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ ١٠١ التوبة.

فالمدعون للإيمان ينتشرون حول الرسول وفى صفوف المؤمنين. وهم

لونان:

مدع الإيمان وهو مسلم يحب الله ورسوله.

ومدع الإيمان وهو منافق ويخفى أمراً مخالفاً لما يدعى به.

كما يوجد مثلهم من أهل المدينة الذين لم يدعوا للإيمان ولكنهم ادعوا

النصر للرسول والمؤمنين. وهؤلاء منهم منافقون ومنهم صادقون.

وزيادة فى بيان دليل الاسم عربى أورد البلاغ الذى وصف أزواج الممتقين فى

الحياة الآخرة:

﴿عُرْبًا أَرَبًا﴾ ٣٧ الواقعة.

كلمة «عُرْبًا» تبين أنَّ ما في نفوسهن ظاهر فصيح لا خفاء فيه ولا باطن يخالفه.

أما ما جاء في البلاغ:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يِقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ ١٠٣ النحل.

فالذي يلحدون إليه القس ورقة بن نوفل واحد منهم. ولسانه هو لسان كاهن من قوم النبی ولسانه لسانهم. وهذا البلاغ يظهر بجلاء أن العربي ليس أسماً لجماعة بشرية. فالذي يلحدون إليه هو من قوم الرسول ولسانه موصوف بكلمة أعجمي.

القس ورقة بن نوفل كاهن. ولسانه هو لسان قوم النبی وتربطه به قرابة من وجهة زوجه خديجة. ولسان الكاهن أعجمي لأنه يكهن ولا يعلم فيعجم وفي لسانه خفاء وظنون وأبتعاد عن الحق.

وهكذا يتبين دليل القول «لسان عربي» وكذلك دليل القول «لسان أعجمي». وأنتهى إلى القول أن أسم عربي ليس أسماً لجماعة من الناس بل صفة للسان كتاب الله. وبالتالي لسان كتاب الله عربي مبين. وهو ميسر للدارس الذي جاء عنه في البلاغ:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ ٧٣ الفرقان.

والدارس الذي يذكر آيات الله يتلقاها بسمعه وبصره ويبدأ النظر فيها حتى يوصل إلى اليقين الذي يدفعه للخضوع طوعاً. وهذا هو سلوك العلماء الذين جاء في البلاغ عنهم:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ٢٨ فاطر.

ولن يترك الله الذين يقولون آمناً من دون اختبار:

﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ٢ العنكبوت.

كتاب الله فيه كلامه الحامل لقوله المبين للحق وقد جعله بلاغاً عربياً مبيناً. وأنزله على قلب رسوله محمد ليقوم الرسول ببلاغ الناس كافة.

لقد ظنّ الدارسون أن أسم أعجمي هو علم على الفرس. وهذا ينطبق عليهم لوجهة عقائدهم الكهنوتية. ولكنه لا ينطبق عليهم كاسم قوم بدليل الاسم أجنبي. وأسم أجنبي من جنب ويدل على المجاورة في الإقامة. أما العجمي فهو البهيم الذي لا يفصح ولا يبين.

إنّ وجود الألف في كلمة أعجمي تبين توجه الفاعل في قوله. فهو يتوجه ويتخذ موقف العجمة. وتقابلها في لسان عامة الشام كلمة «تحيون».

والكلام عندما يكون غير قابل للفصح عن قول بليغ بين لا خفاء فيه. سواء كان مخطوطاً أم كلاماً منظوقاً. يسمى أعجمياً. وهو من فعل إنسان. ونقول عن صاحب الكلام أن أفكاره مشوشة أو يلقها الضباب. أي أن ما يريد قوله غير ظاهر وغير قابل للفهم. وهذا ينطبق على كل المكتوبات الكهنوتية.

أما عن دراسة القرآن فقد جاء الأمر التالي:

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ١١٤ طه.

فدراسة كلمات الوجود يلزمها النظر والبحث والصبر على العلم فيها والامتناع عن العجلة في الحكم من قبل الكشف المبين عن نوايس (قوانين) أفعال الصيرورة للأشياء. وهذا يدفع لزيادة العلم. والعالم هو الذي يطلب الزيادة في النظر والعلم. وكلما زاد علمه زاد إدراكه للنقص. وهنا يتجلى الله وعلمه وعظمته «الملك الحق».

لقد علم الله الإنسان من علمه. وطلب إليه أن يسمع ويبصر ويفكر ويعقل

ويفقه ويعلم ويحكم . والإنسان الذى يعبد الله يتبع الطلب . وهذا يدفع إلى تطور  
فى العلم يصعد ويزيد باستمرار .

أما التفكير الفارسى الذى ينطلق من أن الاسم هو مصدر للفعل فى أشياء  
الوجود فيسير إلى خلف . وفى السير إلى خلف التخلّف والمتاهة والضياغ  
والظنون . وهذا عين واقع جميع الشعوب الإسلامية التى تتبع المفاهيم الفارسية  
فى فهم القرآن وفى دراسة لسانه العربى . وتتخذ موقف الأعجميين فى محاربة  
العلم والقول .

ويسبب ذلك الموقف الأعجمى تحوّل لسان الشام إلى لسان أعجمى صعب  
ثقيل يدور فى حلقة الماضى السحيق بحثاً عن السبب من دون جدوى .  
ليس هذا فحسب بل إن دراسة لسان القرآن أصبحت وفق هذه المناهج غير  
ممكنة لقوم الرسول إلا بالاستعانة بقواميس لسان . كما يحدث لدارسى الألسن  
الأجنبية الجدد .

إن هيمنة وسائل التفكير الفارسية ومنهجها فى دراسة لسان القرآن وأأسسه  
وشرحه جعل أبناء لسان الشام غرباء عن لسان القرآن العربى ويتهربون من  
دراسته بزعم الصعوبة والمتاهة والإبهام فى كثير من كلماته وأقواله .  
فى حين نرى على الجانب الآخر تطور مستمر فى لسان الأميين (العامة)  
وسهولة فى الاستعمال والتعريب .

لقد رأى الدارسون صعوبات فى لسان القرآن . ومنهم من قال عن الترادف  
أنه سبب لتلك الصعوبة . وآخر رأى فى قاعدة المثنى تلك الصعوبة . وغيرهما  
تحدث عن صعوبة فى مطابقة الفعل للفاعل . وكل هؤلاء لم يروا أن الصعوبة  
ليست من أسلوب ومنهاج القرآن بل من أسلوب ومنهاج الدراسات اللسانية  
والتقعيدية .

فالترادف مثلاً سببه مفهوم التقمص والتناسخ . وجاء مفهوم الأضداد للكلمة  
الواحدة من خلال مفهوم التجلى والحلول .

وهكذا طغى الأسلوب الأعجمي في مناهج الدراسات اللسانية وضاع البيان وحلّ محله الضياع والمتهاة.

فحلت كلمة ضرب محل وكز. وكلمة قرأ محل تلو. وكلمة كتب محل نسخ. وكلمة نسخ محل محى. وكلمة حنف محل استقام. وكلمة طعم محل أكل. وكلمة جهد محل قتل. وكلمة لزم محل فرض. وكلمة سبح محل عام. الخ.

وأصبح دارس هذا اللسان كأنه يغوص في بحر من الرمال المتحركة أو في متهاة لا علامة فيها تهدى إلى نجاة. ولقد وضعت قواعد لهذا اللسان المتهاة ومؤسسات تحرس هذه القواعد وتلزم الناس بإتباعها وتحارب من يوقف وقفة عربية ويحاول الأخذ بمنهاج الله المنشور في كتابه.

لقد حلّ الصعب محل اليسر. والإبهام محل البيان. وظهر المتكلم بهذا اللسان لا يعرف بما يتكلم. والسامع لا يفهم ما هو المراد بهذا الكلام. فطال الخطاب الأعجمي وضاعت المادة وتغلّفت الأشياء بغمام فأختفت العلوم وضاع التقدم وساد التخلف والجهل.

ولساننا اليوم لا يعرب عن حقوق الوجود. لا كيمياء ولا فيزياء ولا علم أحياء ولا جيولوجيا ولا فلك ولا مقدار (رياضيات) ولا علم وراثية ولا علم استنساخ ولا برمجة إلكترونية ولا برمجة حيوية. الخ.

لا يوجد أى تعريب عن الوجود وألوانه فى لساننا اليوم. وهو لسان أعجمي مبهم يعجز عن التعريب حتى عن حاجات الطعام واللباس والمسكن. وكل ذلك ليس من صفة لسان القراء العربى المبين.

إن التصور السائد أن شعباً أسمه عربى كان يسكن البقعة الجنوبية من بلاد الشام قد اكتسح البلاد جنوباً وشمالاً وأزال أسماء تلك الشعوب وحولها إلى العربية تصور فاعله الظن وهو لا يطابق الحق.



فلقد بقى العثمانيون الأتراك أربعمائة عام. ومن وقبلهم المماليك من كرد وترك وترکمان ومغول وصليبيين أوربيين مثلهم. وما ضاع لسان شعوب تلك البقعة.

فى حين أن حكم أبناء شبه الجزيرة لم يبق إلا / ١٣٢ / سنة حتى جاء الممد الفارسى مع أول السلطة العباسية. فلو كان لسان هذه الشعوب يخالف لسان القراء ما كان بقى من لسان القراء إلا ما يتلونه فيما يزعمون من صلوة كما فى تركيا وإيران وباكستان وأفغانستان وغيرها من البلدان التى أنتشرت فيها السلطة التى زعمت وأشتهرت بزعمها أسم الإسلام ودامت قرونا عديدة.

لقد ضمّ لسان القراءان ميزات وخصائص جميع ألسن فطرة الشاميين وأفضل وسائل القول والتعريب الذى تظهر فيه مطابقة القول للحق. والألسن الشامية مثل السومرية والبابلية والأشورية والكنعانية والآرامية والعبرية والمصرية والحبشية وغيرها فهى جميعها ألسن تحتية لبناء أعلى. وهى مراحل وأطوار لنمو لسان الشام ووصوله إلى طور لسان القراءان العربى المبین.

وأؤكد على قولى بعربية لسان القراءان لا عربية لسان الناس بقول الله:  
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ ٧ الشورى.  
أى لا عجمة فى بلاغه.

## الإيمان والمؤمن

فى كتاب الله لوان من المؤمنين :

أكرية تشرك بالله .

وأقلية لا تشرك به .

ويظهر كتاب الله أن الأكرية تبقى أكرية وأن الأقلية تبقى أقلية فى كل زمان

ومكان :

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾  
١٧٩ الأعراف .

ويتبين من القول أن السبب هو فى إلغاء أفعال العين والأذن والقلب وهى  
وسائل الحس والفقه لدى الإنسان .

كما يبين قول الله وسيلة الإيمان :

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا  
يَعْقِلُونَ﴾ ١٠٠ يونس .

إذن الله فى الوجود هو سنة أو ناموس (قوانين) الوجود التى تحكم علاقات  
وحركة وصيرورة الوجود وظواهره . فالنفس التى تعمل نظرها فى أذن الله فى  
الوجود تعلم بها وتفقه الوجود الحق وظواهره وتؤمن بالله يقينا .

أمّا الرّجس فهو الاختلاط والتشوش والضياع. وهذا هو حال الذين لا يعقلون كالشاعر والكاهن. وهم الذين لا ينظرون في أذن الله في الوجود ولا يعلمون. وهؤلاء تختلط عليهم الحقوق بالظنون ويصبح عملهم وقولهم ظنّياً تخمينياً.

ولما كانت الأكثرية لا تعمل نظرها في أذن الله في الوجود وظواهره قال الله عنهم وعن إيمانهم:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ١٠٦ يوسف.

فأكثر المؤمنين بالله مشركون. والسبب هو منهاج الظن الذي يجعلهم يشركون آخرين فيما يقولون عن إيمانهم وفيما يعملون. وقد بين ألباغ أنّ طاعة هؤلاء تضل عن السبيل:

﴿وَإِنْ تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١١٦ الأنعام.

كلمة خرص تدل على قول خرف يخمن ويحزر. وإن طاعة وإتباع الأكثرية يسوق إلى ضلال. لأن الأكثرية لا تعلم ولكنها تظن فتشرك قول كاهن في مسئوليتها عن إيمانها. وبذلك منهاجها ظني لا يقين فيه ولا مسئولية.

وبيّن ألباغ العربي أن الإيمان لا يحصل بالإدعاء والظن:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ١٤ الحجرات.

وقد سبق قولنا عن الإدعاء.

هذا عن الأكثرية المؤمنة.

فماذا عن الأقلية المؤمنة؟

جاء في ألباغ العربي الأمر التالي:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ ٢٠ العنكبوت.

النظر فى الشىء هو البحث فيه ودرسه والعلم بما فيه . والأمر الإلهى يطلب النظر فى بداية الخلق . وإن الذى يتبع هذا الأمر هو الذى ينظر فى الوجود وظواهره . يستقرأ ويكشف عن سنّة ودين (قوانين) الأشياء ويبينهما ويتخذ فى نظره من الأمر العربى التالى منهاجا له :

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ٣٦ الإسراء .

فأساس العلم بالشىء حسيته وإدراكه . ومن الإحساس بالشىء وإدراكه تنطلق عملية النظر فى الوجود وظواهره لتوصل إلى العلم والحكم فيه على بينة . ومثل هذا المؤمن يوضع أمامه دائما النبأ التالى :

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ٨٨ القصص .

ويصدق أنّه نبأ محكم يشمل كل شىء بما فى ذلك الأفكار والمفاهيم . فكل شىء عنده صائر إلى تغير من ولادة إلى موت . وأنّ الله وحده الباقي الذى لا يشملهم حكم هذا النبأ . وإنّ الأخذ بسنّة هلاك الأشياء يجعل المؤمن من «ملة إبراهيم حنيفاً» التى بين الله أنّ الذى يتبعها يتبع الدين الحسن :

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ١٢٥ النساء .

«ملة إبراهيم حنيفاً» هى الفئة المؤمنة من الناس التى توصف بالحركة والميل عن الموقف إلى آخر من بعد طول بحث وطول نظر بفعل سنّة الهلاك للأشياء .

دليل كلمة ملة من دليل الفعل ملّ . وملّ الشىء قلبه حتى ضجر منه . وذلك من كثرة التقلب والنظر فيه حتى أصبح هذا الشىء مكشوفاً بكليته له فلا جديد فيه يلاحقه .

ودليل أسم إبراهيم من دليل الفعل برهم . أى أدام النظر مع سكون الطرف . وهى صفة أباحث الناظر فى الشىء حتى الملل منه .

أما الاسم «حنيفاً» فدلّله من دليل الفعل حنف وهو فعل الميل عن الشيء أو السبيل.

وهكذا يدل القول «ملة إبراهيم حنيفاً» على المنهاج الذى يقوم على البحث والنظر فى الوجود وظواهره استناداً إلى سنة «كل شيء هالك إلا وجهه».

فالإنسان المؤمن الذى يبحث فى الوجود وظواهره ويكشف عن سنته ودينه (قوانينه) سيجد دائماً عند كل كشف جديد أن ما استقر لديه من علم غير كامل وقد يكون خطأ. وبالتالي فإن تصديقه لا يكون ثابتاً بل يكون نسبياً. وهو قادر على الميل عن موقفه السابق إلى الكشف الجديد الذى سيكون عنده محل شك هو الآخر ومتابعة فى البحث مع كشف جديد وميل جديد. وهذا لا يتوقف حتى قيام الساعة.

هذا هو المؤمن حقاً. العالم الذى يصدق ويثق ويطمئن لإيمانه بالله الحى الباقي. وإيمانه بالمقابل أن الوجود وظواهره فى حالة حركة وتغير دائمين. وهو الذى يعلم أن الشرك بالله يتكون من الخلط بين ما هو باق وبين ما هو هالك.

لقد جاء الأمر الإلهى للناس:

﴿أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ١٥١ الأنعام.

الله هو الباقي والأشياء هالكة. وأن الذى يخلط بين هذا وذاك هو مشرك بالله. وهذا هو حال الأكثرية التى جاء عنها فى البلاغ:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ١٠٦ يوسف.

فى الكتاب أن المؤمن حقاً وهو العالم بسنة الأشياء يسقط هو الآخر فى الظن ويظلم نفسه ويظلم الناس:

﴿أَفَلَمْ يَأْتِئِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ٣١ الرعد.

فإن هداية الناس من قبل المؤمن حقاً غير ممكنة. ولو جرت المحاولة فهى محاولة فاشلة. وأساس هذه المحاولة هو الظن.

وسبب ذلك أن الإيمان الحق لا يقوم إلا بالجهد الفردى ولا يحصل إلا بالعمل فى مجال أذن الله فى الوجود وظواهره. وهو مجال العلم فى الحق حصراً.

وعن هذه المحاولة الفاشلة جاء فى البلاغ بيان حال صاحبها:  
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ٣٥ الأنعام.  
أتى أن المحاولة هى مؤشر على جهل. فحتى يتحقق حصول العلم لدى الفرد يلزمه جهد منه ومتابعة فى النظر والبحث حتى الملال.  
فإذا كان هذا غير محقق عند إنسان فلا يمكن أن يهتدى. وإن ءامن يكون إيمانه ظنياً.

فى سورة المزمل عرض لطريقة وزمن بحث المؤمن وبيانه:  
﴿يَتَأْتِيَ الْمُزْمَلُ / ١ / فَرَّ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا / ٢ / يَضَعُ أَوْ انْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا / ٣ / أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا / ٤ / إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا / ٥ / إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا / ٦ / إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا / ٧ /﴾.  
دليل أسم المزمل من دليل الفعل زمل. وهو فعل يبين أموراً من الشئ ويبقى الكثير منه مغفلاً. ومنه أسم الزميل للذى لم تبلغ العلاقة معه حدّ الصديق.

وأسم المزمل فى السورة ليس أسماً للذى غطى جسمه كما يظن. بل هو أسم للذى يغطى بصره وسمعه وقلبه. ويبين لنا ذلك طلب قيام آيل من أجل ترتيل القرآن وتلقى القول الثقيل. الخ.

الإنسان هو المسئول عن تغطية سمعه وبصره وقلبه وهو المزمل. ومن غطى هذه الوسائل صار كالأنعام كما تبين الآية ١٧٩ الأعراف.

وأرى أن الخطاب فى السورة عام وفيه توجيه للإنسان إلى العلم وبيان له أنه غافل. وفيه توجيه إلى وسيلة إسقاط الغفل لديه. وذلك بقيام أقسام هامة من آيل وترتيل القرآن.

وترتيل القرآن هو عمل دراسي وبحث في أحد أشياء الوجود وظواهره. ومثل هذا العمل يحتاج لتفريغ وأنقطاع عن الناس وضجيجهم. وأليل بسكونه يحقق ذلك الانقطاع. وتكون حصيلة هذا التفريغ والانقطاع عن الناس من أجل النظر والبحث والاستقراء هامة وعظيمة. وينشأ عنها قولاً قيماً. ويسقط الغفل من القول الناشئ من أحد جوانب الوجود.

لقد بين القول في سورة المزمل أن هذا البحث لا يمكن فعله في النهار. وبين أن السبب هو الحركة في طلب المعاش وفي ضجيج الناس. وكل ذلك يمنع الدراسة والبحث والعلم.

وأتابع مع أسم مؤمن في البلاغ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ﴾ ١٥ الحجرات.

جاء هذا القول بعد بيان حال الأعراب الذين يدعون الإيمان. ويظهر منه حال المؤمن الحق الذي صدق ووثق وأطمأن لله ولرسوله من بعد التحقق والبيان الذي يوصل بالإنسان إلى طور اليقين. وهو العلم الذي لا ريب فيه الذي تطمأن له النفس في حكمها مستندة إلى بيته.

مثل هذا المؤمن لا يوقع في الريب الذي أساسه الظن والشك والأتهم. والريب لا يزول إلا من يقين. واليقين لا يحدث إلا من علم في الحق.

والمؤمن الذي لا يرتاب يجاهد في سبيل الله تطوعاً وتلقائياً. وينفق في سبيل الله وهو سبيل نور العلم والمعرفة وبه تكون كلمة الله هي العليا. ويبعد نفسه عن أفعال الإكراه والظلم للغير. وهو الذي يجيب على السؤال:

هل الإيمان ملزم للناس؟

ويترك لقول الكتاب بيان ذلك:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٥٦ البقرة.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ٩٩ يونس.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ ٢٩ الكهف.

فيظهر أن كلاً من الإيمان والكفر موقف يتخذه الإنسان كفرد وعلى مسئوليته من دون إكراه له من أحد.

ويقابل موقف الإنسان في هذه الحياة الدنيا حساب رب العالمين له يوم يقوم الحساب:

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ / ٧٤ / وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ / ٧٥ /﴾ طه.

ويظهر لنا الله أنه لا يوجد فرق بين مؤمن يتبع القرآن ومؤمن يتبع أحد الكتب السابقة شرط تقديم البينة على إيمانه بالعمل الصالح. وقد جاء بيان ذلك في البلاغ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ مِنَ ءَٰمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٢ البقرة.

ويظهر القول أن أجر الفرد من المعدودين قائم إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحاً. ولم يُستثنَ أحد منهم شرط البرهان على صدق إيمانه بالعمل الصالح.

وهكذا يتبين أن الأجر من عند الله. وأن العقاب من عند الله. وأن الناس أحرار لا سلطة عليهم من أحد بما في ذلك الرسول ذاته:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ١٠٧ الأنعام.

قولى أن المؤمن عالم لا يجعل من كل عالم مؤمناً. فتحصيل العالم لعلمه



جرى ويجرى من خلال النظر والبحث والاستقراء فى مسائل الوجود وظواهره .  
ومن خلال النظر والبحث والاستدلال يتوصل إلى يقين فى المسألة التى يتناولها  
وتتكون لديه النظرية والقول والإيمان بما علم .

أما الأفكار المتعلقة بالله والدين التى حملها معه من نشأته المنزلية أو ما  
تعلمه من المدرسة أو من المجتمع فإذا لم يطبق عليها أساليب ووسائل النظر  
والبحث التى يتبعها فى مسائل الوجود فهو عندما يفكر فيها سيكون أمامه أحد  
المواقف التالية :

الأول قبولها من دون نظر أو بحث . وبذلك يكون إيمانه ظنيا . ويخالف فيه  
أسلوب تفكيره وعمله فى مسائل الوجود . وتمثل نفسه حالة مرضية بينها عليها  
علماء النفس بكلمة «أنفصام» .

الثانى رفضها من دون نظر ولا بحث . ويكون بذلك قد قطع صلته بها  
مستندا إلى الشك والريب . ويخالف بموقفه هذا أسلوب تفكيره وعمله فى مسائل  
الوجود .

مثل هذا العالم فى قلبه نقص ونفسه لا استقرار فيها وهو يخاف الموت  
ويشعر بالاعتراب والحنوط .

هذا فى الحياة الدنيا . أما فى الحياة الآخرة فإنه مجرم «له جهنم لا يموت  
فيها ولا يحيى» .

الثالث هو الذى ينتقل من النظر والعلم إلى كتاب الله لينظر فيه وفق التوجيه  
«ورتل القرآن ترتيلاً» ليعقل ما علم به مع قوله . وبالعقل يوصل إلى الحكم  
والإيمان والتصديق أن الله هو خالق الوجود . وهو العليم بما فيه لا يغيب عنه  
أمر منه .

كتاب الله مرسل للناس ويجب أن يعلمهم بحقوق الوجود جميعها ويهديهم  
فى كيف يعلمون . وإلا فإنه ليس من عند خالق للوجود أبداً . وهذا ما جاء فى  
الكتاب البلاغ عنه :

﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ٨٩  
النحل .

التبيان لكل شيء هو حركة في بيانه من دون استثناء ولا توقف . والتبيان هو  
إظهار لجميع الحق في جميع أطواره .

## زواج المؤمنين

أمر الله الإنسان المؤمن أن يتزوج من مؤمنة محصنة. وهى التى تعمل ولديها ما يحصنها من الحاجة فى عيشها.

وهى المحصنة لفرجها الممتنعة أمتناعاً ذاتياً عن متعة النكاح والقرب. وضرب الله مثلاً على مثل هذه المحصن فى البلاغ:

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظِّلْمُ﴾ ١٢ التحريم.

مثل هذه المؤمنة لا يحقق وجودها بالإيمان الظنى. لأن العفة تنجم عن علم ويقين. فهذه المؤمنة المحصنة هى مؤمنة عالمة. والمؤمن المخاطب فى القرآن هو العالم الذى لا يستسلم للشك والريب. وهو الذى يُخاطب بالتوجيه:

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَنْ فَتِنَتْكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٢٥ النساء.

إذا تعذر على المؤمن العالم اللقاء والزواج من مؤمنة عالمة وكان يخشى العنت<sup>(١)</sup> (صعوبة كبح النفس) فله أن يلتقى ويتزوج من مؤمنة ظناً من العاملات لديه (ما ملكت يمينه).

(١) عنت يدل على العسر والصعوبة ومنه القول: تعنت فى رأيه.

وأشترط عليه التوجيه أن يكون الزواج برضى الأهل ومدفوع الأجر وعلنى .  
 وفى التوجيه نصيحة للمؤمن بالصبر حتى يلتقى مؤمنة عالمة .  
 وبين التوجيه أن المؤمنة ظنا ليست محصنة لفرجها بذاتها . وهذه إن أتت  
 بالفاحشة من بعد الزواج تعاقب بنصف العقوبة التى توقع على مؤمنة محصنة  
 لفرجها بذاتها أتت بالفاحشة من بعد الزواج .  
 وسبب ذلك أن المؤمنة المحصنة لفرجها بذاتها التى تأتى بالفاحشة من بعد  
 حصن عفة وحصن زواج تستحق عقابا أشد بسبب علمها .  
 وتخفف العقوبة عن الأخرى بسبب جهلها وعدم عفتها فى الأصل .  
 الفائدة من هذا التوجيه هى فى الحفاظ على خط ارتقاء الإنسانية التى تعقل  
 وتذكر وتتقى من خلال علمها والتزامها بالأوامر الإلهية . لأن زواج المؤمن العالم  
 من مؤمنة عالمة يهى لأولادهما بيئة عالمة مؤمنة تعمل دائما على إزالة غفلها عن  
 أشياء الوجود . ويأخذ الأولاد عن الوالدين منهاج التقدم والارتقاء الإنسانى  
 المطلوب المتمثل فى «ملة إبراهيم حنيفا» .  
 أما الزواج من مؤمنة غير محصنة . مؤمنة ظنا . فيجعل نشأة الأولاد غير  
 صالحة . حيث تختلط الحقوق<sup>(١)</sup> بالظنون ويتخلف الأولاد بعضهم أو جميعهم  
 عن والدهم العالم . وهذا يدفع بالإنسانية إلى ورأ .  
 هذا فى مجال اختيار الزوجة ومستواها العلمى .

هناك أوامر إلهية تتعلق بالزواج فى أماكن متعددة من كتاب الله . فالذين  
 يريدون الهداية من كتاب الله يستندون إلى النبأ التالى :  
 ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ٩ الإسراء .  
 وجاء التوجيه الإلهى المتعلق بالزواج على أساس حرام/ حلال كما يبين  
 البلاغ :

(١) حقوق جمع حق . وفى اللغة الفصحى حقيقة .

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ يَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ٢٣ النساء.

هذا هو حرام النكاح.

ونسأل لماذا حرّم الله ذلك؟

فى مجلة العلوم الأمريكية المجلد/١٣/ العدد/١٢/ كانون ثانى ١٩٩٧. وتحت عنوان «البحث عن الجينات المقاومة للإيدز»<sup>(١)</sup> ورد القول التالى:

(كما أثبتت بعض التجارب على الحيوان وجود دور للجينات فى الأمراض المعدية، إذ تبدو الفئران والجرذان والدواجن والمواشى الناتجة عن تزاوج الأقارب (التهجين الداخلى) Inbred حساسة بشكل واضح للأمراض السارية. ولعل ذلك يعود بشكل رئيسى إلى أن تزاوج الأقارب لا يترك لها سوى ذخيرة محدودة من الألائل المقاومة للمرض. أما المجموعات الناتجة عن تزاوج الأبعاد (التهجين الخارجى) Outbred، فمن المحتمل أن يوجد فى بعضها أليل يحصنها تجاه عامل مُمرض ما، ويمكن لمن يحمل مثل هذا الأليل، الصمود والبقاء فى مواجهة الوباء وتأمين الاستمرارية للمجموعة. ولما كان البشر مختلفين جينياً (وراثياً)، فقد افترضنا أنهم - مثل الأنواع الأخرى الناتجة من تزاوج الأبعاد - لديهم كثير من الألائل القوية المقاومة للمرض، وربما يكون من بين هذه الألائل مقاومات للفيروس HIV، تنتظر بكل بساطة من يكتشفها).

وفى مكان آخر من المقال ورد القول التالى:

(فالفرد يرث نسختين من كل جين، ما عدا الصبغيين الجنسيين (نسخة من الأم ونسخة من الأب)، ويتشكل النمط الجينى من زوج من الألائل فى موضع محدد من

(١) J.S أوبرين و M دين.

الصبغى، أو العنوان الجينى. فمن يرث أليلين متماثلين لجين ما، يطلق عليه متماثل الزيجوت Honozygote، ومن يرث أليلين مختلفين لجين ما، يطلق عليه متغاير الزيجوت (Heterozygote).

وأصبح اليوم من وجهة نظر علم الوراثة عموماً أن زواج الأقارب يزيد من احتمالات ظهور الانحرافات والأمراض الوراثية.

فما هو الحلال فى النكاح؟

لقد جاء البيان من بعد بلاغ التحريم:

﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ ٢٤ النساء.

أتى أن كل النساء حلال بعد إخراج المعدودات فى البلاغ / ٢٣ / النساء. وهذا بالنسبة للمسألة الوراثية ومتعلقاتها الممرضة. وهو أمر عام يتعلق بصالح البشر من دون النظر إلى مسألة الإيمان.

أما المؤمن فعليه مسئولية الالتزام بالحلال مع الاقتران بالإيمان والحصن الذى بينه له الله فى البلاغ / ٢٥ / النساء. والذى يأتى ترتيبه فى سورة النساء من بعد بلاغ التحريم وبلاغ الحلال العام مباشرة.

أما البلاغ التالى:

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ٥ المائدة.

فأهميته خاصة بالنسبة للمؤمنين حقاً (علماء الحق) سواء كانوا من أتباع القرآن أم من أتباع كتب الله السابقة. وتوجيهه للمؤمنين (من كل الوجهات) لإقامة علاقات اجتماعية ودية فيما بينهم (الطعام) وأن يتصاهروا. وقرن ذلك بالحلال فى مطلع البلاغ.

وحذر الذين يكفرون بهذا الحلال حيث تسوء علاقاتهم ببعض في الحياة الدنيا وتزرع بينهم الفقرة والضعف ونقص الثقة. وهم في الآخرة من الخاسرين.

وقد وكّد الله للمؤمنين من أتباع القرآن أن توجيهاته لهم المتعلقة بالنكاح هي ذاتها عند المؤمنين من الذين أوتوا الكتاب من قبلهم وذلك بالبلاغ التالي:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٦ النساء.

فيه تأكيد على ما جاء في البلاغ / ٢٥ / النساء. وبيان أن سنة الله في زواج المؤمنين واحدة. وأنه لا يوجد ما يمنع إقامة العلاقات الاجتماعية الودية فيما بينهم وتقويتها بالنكاح. وبها تبنى وحدة المؤمنين بالله واليوم الآخر يقينا.

أما الحلال الذي جاء في البلاغ / ٥٠ / الأحزاب:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّاتِ أَتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِنْ أَمَّا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ النَّبِيِّاتِ هَاجِرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

فهو حلال نكاح حصري بالنبي من دون المؤمنين. وفيه بيان وتوجيه في مسألة حلال وحرام المؤمنين من بعد النبي إلى قيام الساعة.

لقد بين البلاغ أن حلال النبي مختلف عن حلال المؤمنين. كما بين أن الله غفور رحيم للنبي في هذا الأمر. وبين السبب لهذا الحلال بقوله «لكيلا يكون عليك حرج».

فما هو الحرج الذي أراد الله رفعه عن النبي أمام المؤمنين؟

النبي هو رسول الله وعليه بلاغ رسالته للناس. ومن مسائل البلاغ حرام النكاح / ٢٣ / النساء.

ولما كان زواج النبی یخالف حکم هذا البلاغ وقع الحرج علیه أمام المؤمنین .

ولما كان لا یتستطیع بیان سبب مخالفته لما یبلغه للناس جاء ألبیان من الله مباشرة .

فما هی المخالفات الّتی حلّ لها الله للنبی لإزالة الحرج عنه؟

لقد ضمّ حلال نکاح النبی ما یلی :

١- أزواجه الّتی ءاتاهن أجورهن مهما كانت درجة القربی بینہ و بینهن . و بین إحداهن والأخری . وأشترط علیه دفع أجر من لم یدفع لها أجرها .  
أی لم یعف النبی من دفع الأجر .

٢- جمیع المؤمنات ظنا الّتی فی دائرة سلطته (ملك الیمین) .

٣- بنات الّعم وبنات الّعمة وبنات الخال وبنات الخالة الّتی هاجرن معه .  
أما أمثالهن من غیر المهاجرات فلسن حلالاً له .

٤- مؤمنة إن وهبت نفسها للنبی (من دون أجر) إن أراد هو ذلك .

وللتوکید علی خصوصية نکاح النبی وعلی رفع الحرج عنه جاء فی البلاغ :  
﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ ٣٨ الأحزاب .

جاءت هداية الله للمؤمنين فی حلال وحرام النکاح وفق «سنن الذين من قبلکم» . وهی سنن «الذين أوتوا الکتاب من قبل» .

أما حلال النبی فهو وفق «سنة الله فی الذين خلوا من قبل» . والذين خلوا مضوا وذهبوا من دون عودة . أى أنقضوا .

أما الذين من قبل فهم السابقون علیکم وأنتم معکم من ذریتهم . وهم الذين أوتوا الکتاب من قبل .



فسنن المؤمنين هي سنن الذين من قبلهم. وهذا ما أظهره البلاغ / ٥ /  
المائدة. وورد فيه توجيه إلى العلاقة الودية والمصاهرة فيما بينهم. كذلك في  
البلاغ / ٢٦ / النساء.

وإذا عدنا إلى حياة النبي نجد أن جميع أولاده من جميع أزواجه قد شملتهم  
سنة الذين خلوا. أي أنقضوا. لقد ماتوا وجميعهم ذكور. ولم يسلم منهم أحد.  
لأنهم تهجين داخلي. باستثناء زوجه خديجة بنت خويلد التي لم يكن بينها وبينه  
قربة وبناته منها تهجين خارجي.

لقد بين البلاغ أن النسب يتبع الذكر:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ٥٤  
الفرقان.

الذي بقى من أولاد النبي هو الصهر من زوجه خديجة. ولا أدري إذا كان  
حلال النبي أراد ذلك. أي قطع النسب.

وإذا نظرنا في توجيه الله للمؤمن العالم للزواج من مؤمنة عالمة. وقد نصحه  
بالصبر فلا يتزوج من مؤمنة ظنية حتى يلتقى مؤمنة عالمة. وعلاقة ذلك بتربية  
الأولاد والارتقاء بالإنسانية. فما نجده أن الله لم يخص النبي بهذه النصيحة التي  
غايتها الأولاد.

فهل كان قطع نسب النبي إرادة إلهية؟

من بعد عرض حلال نكاح النبي أستنبط منه أن كلمة «أخت» المحرمة في  
البلاغ / ٢٣ / النساء تدخل فيه بنت أعم وبنت أعمة وبنت أخال وبنت أخاله  
مثل الأخت من الوالدين.

وبين علم الوراثة أن الأولاد من مثل هذا الزواج هو من التهجين الداخلي  
Inbred الذي يورث الأمراض والانحرافات الخلقية والتشوهات والبلاهة.  
وجميع الدراسات المتعلقة بالسرطانات والإيدز وتصلب الشرايين والسكري تذكر

عامل الوراثة كسبب مشترك فى جميع هذه الأعراض مع عوامل مسببة أخرى .  
وأرى فى عامل الوراثة السبب الأول بين جميع تلك العوامل أستنادا إلى بلاغ  
التحريم / ٢٣ / النساء وفيه التوجه إلى هذه المسألة حصراً .

وأرى أن أورد الأمر التالى :

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٣ النمل .

آيات الله لا حصر لها فى الوجود ومنها الجنوم والذكر والأنثى .

فلماذا خلق الله ذكر وأنثى؟

فى الحياة الأولى لا يوجد ذكر وأنثى . وكان لفعل التكاثر وسيلته فى انقسام  
النفس الواحدة (وحيدة الخلية) إلى نفسين متماثلتين فى جميع الكائنات الحية .  
وهذا التكاثر هو نسخ للأصل من دون تغيير . ومن أجل البدء بفعل سنة الاصطفاء  
فى اللون الحى أتى الله بفصل النفس الواحدة (وحيدة الخلية) وجعلها ذكراً  
وأنثى . وهو ما فهمته من البلاغ :

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ٦ الزمر .

وحتى لا يوقع الناس (المؤمنون العلماء منهم) فى النسخ الوراثى . بما فى  
ذلك نسخ الأمراض . أمر الله بالزواج بعيداً عن القربى . لأن الولد من زواج  
القربى هو هجين داخلى Inbred يتركز فيه النسخ الوراثى ومنه عوامل الانقراض .  
أما إذا أبعد الوالدين عن بعضهما وراثياً فيأتى الولد من هجين خارجى  
Outbred . وبهذا الزواج فإن الولد يرى النور وفق خلق (تصميم) جينى جديد .  
وإذا ما كان ذلك الخلق جيداً فإن كل ما فيه من جديد وقيم سينتشر ويحسن  
اللون .

كما نصح بالنكاح من مؤنات محصنات (عالمات) للمحافظة على سوية  
تربوية عالية .

وأحل النكاح بين المؤمنين أتباع القراءان والمؤمنين من الذين أوتوا الكتاب

من قبل لكى تتوسع دائرة نكاح المؤمن العالم من مؤمنة عالمة . حيث قد لا تتوفر فى دائرة حياته مؤمنة عالمة تتبع ما يتبع سواء كان هذا المؤمن العالم من الذين أوتوا الكتاب أم من الذين يتبعون القرآن .

وأرى أنَّ الأمتناع عن تبادل الزواج وفق ما جاء فى البلاغ / ٥ / المائدة يدفع المؤمن العالم من أى دائرة كانت لأن ينكح مؤمنة ظنا . ويكون بذلك قد وقع فى الإحباط الذى حذر منه فى البلاغ . والإحباط هو فى مستوى الأولاد العلمى .

وطاعة أوامر الله ومنها أوامره المتعلقة بالنكاح هى مسئولية المؤمن وحده ومن دون إكراه عليه .

\*\*\*

عرضت حتى الآن حلال وحرام نكاح المؤمنين . وبقى أن أعرض أسلوب وشروط مباشرة أفعال النكاح .

فما هى شروط مباشرة تلك الأفعال؟

ننظر فى التوجيه التالى :

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ ٢٣٥ البقرة .

كذلك ننظر فى التوجيه التالى :

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا / ٢٠ / وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا / ٢١ /﴾ النساء .

البلاغات / ٥ / مائدة و / ٢٥ / نساء و / ٥٠ / الأحزاب التى حددت حلال وحرام النكاح أوردت جميعها شرط الأجر . وبعضها شرط موافقة الأهل وعلنية النكاح .

أما ألبلاغ / ٢٣٥ / البقرة فبين أموراً أخرى كالأخطبة والامتناع عن اللقاء سرّاً قبل بلوغ الكتاب أجله.

أما ألبلاغان / ٢٠ / و / ٢١ / النساء فقد بينا أن الأجر مهما كان كبيراً لا يرد. وبين ألبلاغ / ٢١ / وجود ميثاق شديد قوى بين الزوجين.

ومن هذه البلاغات أستطيع تحديد أشرط المباشرة بأفعال النكاح فيما يلي:

١- الأخطبة وهى الخطاب الموجه بطلب النكاح من مؤمنة محصنة أو مؤمنة ظناً غير حرام نكاحها على المخاطب.

٢- الأجواب على الأخطبة بالقبول المقترن بموافقة الأهل حتى لا تتفكك الرابطة الاجتماعية.

٣- الاتفاق على الأجر وطريقة دفعه وفق الأعراف الاجتماعية السائدة والقبالة للحنف.

٤- قبول العهد بين الزوجين الذى يبين أشرط الثقة بينهما. ويجرى التوافق بالله على الالتزام بجميع أشرطه من قبل الطرفين وفى وسط علنى لا يقل عن اثنين.

وعندما يتحقق الشرط الرابع (العهد العلنى) يكون الكتاب قد بلغ أجله ويستطيع الزوجين مباشرة أفعال النكاح كالرفث والقرب والممس.

ولما كان الميثاق هو المسألة التى بقيت من دون بينة حتى الآن. رأيت أستنباطه من بعد عرض البلاغات التالية:

﴿قُلْ نَعَالُوا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ / ١٥١ / وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ

فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ / ١٥٢ / وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ / ١٥٣ / ﴿الأنعام﴾

﴿يَبْنِي أَقْرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ / ١٧ / وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ / ١٨ / وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ / ١٩ /﴾ لقمان.

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّيْوَ﴾ ٢٧٥ البقرة.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ١٨٠ البقرة.

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ / ٩ / وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ / ١٠ / وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ / ١١ /﴾ الضحى.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ ٢٢٤ البقرة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ ٢٨٢ البقرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ٥٨ النساء.

﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ ١٥ النساء.

﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ﴾ ١٦ النساء.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا / ٣٦ / الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ الَّتِي آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ

عَذَابًا مُهِينًا / ٣٧ / وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقًا لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا  
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا / ٣٨ / ﴿النساء .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَزْوَاجًا بِالْعُقُودِ﴾ ١ المائدة .

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَأَمْوَالُكُمْ  
وَأَمْوَالُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ  
بِالْأَزْوَاجِ﴾ ٣ المائدة .

﴿وَيَقَوْمُ أَزْوَاجًا أَلَيْسَ إِنَّكُمْ بِعِندَ اللَّهِ بِشَيْءٍ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا  
تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ٨٥ هود .

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾  
٢٩ الإسراء .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ  
أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ / ٢٧ / فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا  
حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَنْجِعُوا فَأَنْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ  
/ ٢٨ /﴾ النور .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا  
قِيلَ انْشَرُوزْ فَانْشَرُوزْ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ  
خَبِيرٌ﴾ ١١ المجادلة .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَخْرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ  
نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْقِسُوفُ  
بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ / ١١ / يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِنْ  
الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا / ١٢ /﴾ الحجرات .

من هذه البلاغات التي تخاطب جميعها المؤمنين أجتهد وأستنبط عهدا وميثاقا  
لزواج المؤمنين وأعدده فيما يلي :

- ١- يتعهد الزوجان بتبادل الحب وقول الصدق والإمتناع عن الكذب أبيضه وأسوده.
- ٢- يتعهد الزوجان بالعمل بإحسان مع الوالدين والأولاد والأقرباء وألتيامى والمساكين وألجار وألصاحب وأبن السبيل ومن يعمل تحت أمرتهما وألسآثلين.
- ٣- يتعهد الزوجان بالامتناع عن قتل الولد ألمخلق فى الرحم ولا الولد الذى خرج إلى ألنور مهما كانت معيشتهم ضيقة.
- ٤- يتعهد الزوجان بالامتناع عن ألزنى فلا يشتهى ألزوج زوجة رجل آخر ولا تشتهى ألزوجة رجلا آخر ولا يسمحان لنفسيهما بألفاحشة بين رجل ورجل وأمرأة وأمرأة.
- ٥- يتعهد الزوجان بالامتناع عن قتل أحد ولا يظاهران على قتله إلا دفاعاً عن ألنفس.
- ٦- لا يقربان مال يتيم ويحرسانه له ويحسّون فيه حتى يشتد ويأخذ ماله.
- ٧- لا يخسران كيلاً ولا ميزاناً ويتقيدان بالمواصفة ألقياسية ألمعلومة فى مجتمعهم.
- ٨- لا يقولان إلا ألحق مهما كانت درجة ألقرى.
- ٩- لا يبطلان عهداً بالله.
- ١٠- يُقيمان أَلصلوة ويأتیان أَلزكوة ويصومان كما أمرهما الله ويعودان نفسيهما على الصبر عند ألمصائب.
- ١١- يرحبان بالأناس ويتواضعان فى علاقتهما معهم ولا يختالان ولا يتفاخران.
- ١٢- لا يحلفان بالله إلا على عهد.
- ١٣- يلتزمان بوصية أَلميت لأنها حق على أَلمتقين. ولا يقتسمان بقرعة.
- ١٤- لا يقترضان ولا يقرضان برىا ويكتبان أَلدين لدى كاتب أَلعدل.

- ١٥- يردّان الأمانة لصاحبها عند طلبه ويحكمان بين الناس بالعدل.
- ١٦- لا يبخلان ولا يشجعان على بخل ولا ينكران ما رزقهما الله من زرق ولا يبدران.
- ١٧- ينفقان في سبيل الله. وسبيل الله هو سبيل العلم ووسائله. ولا ينفقان ليربهما الناس.
- ١٨- إذا تعاقدا مع جماعة أو أحد يلتزمان الوفاء بالعقد.
- ١٩- لا يتناولان طعاماً خبيثاً إلا مضطرين ولا يطعمان منه.
- ٢٠- لا يفسدان في الحرث ولا في النسل ولا في المنشآت الخاصة والعامة. ويعملان جاهدين لوقف الفساد الجارى في الأرض.
- ٢١- لا يدخلان بيتاً إلا بدعوة وترحيب من أهله.
- ٢٢- يفسحان في المجالس للشيخ والمرضى. وإذا كان المكان لا يتسع بالإفراح يقومون ويقدمان مكانهما للآخرين.
- ٢٣- لا يسخران من أحد ولا يتغامزان عليه ولا يعابرانه. ولا يظنّان. ولا يتجسسان. ولا يغتابان.
- ٢٤- يتعهد الزوجان بالمحافظة على حياة بعضهما ومالهما وسمعتهما والصبر في السراء والضراء والصحة والمرض.
- ٢٥- يتعهد الزوجان برعاية أنفسهما والعمل على تطور أفكارهما ومفاهيمهما وخاصة الدينية والعلمية منها. ورعاية أولادهما رعاية أمّ وأب ويفتحاً أمامهم سبيل التطور والحصول على العلم الحسى دون إكراه.
- ٢٦- يتعهد الزوجان باحترام آراء وأفكار بعضهما حتى ولو كانت مختلفة ولا يلما بعضهما ولا يكره أحدهما الآخر فيما يؤمن به من دين أو فكر.
- ٢٧- يتعهد الزوجان باحترام الحياة الشخصية لبعضهما والحفاظ على أسرارهما وعدم الثرثرة بها أمام الآخرين.



٢٨- يتعهد الزوجان بالحوار فى مشاكلهما فلا يرفعان صوتيهما فى الحديث مع بعضهما .

٢٩- يتعهد الزوجان بالامتناع عن أعمال النهب والسرقة .

وبعد تلاوة أشرط العهد أمام الحاضرين من الأهل والأصدقاء . وبعد إعلانهما توثيقه بقبولهما لأشرطه يبلغ الكتاب أجله .

وببلوغ الكتاب أجله يعلن أمام الحضور أنهما زوجان أمام الله والناس . ويبقى لهما أن يبارك الله فى زواجهما ويهديهما إلى الحياة الصالحة الصادقة .

﴿وَمَنْ ءَايَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢١ الرُّوم .

هذا ما رأيته من بعض بلاغات كتاب الله لأن يكون عهد وميثاق زواج للمؤمنين .

مثل هذا العهد يعطى للزوجين لتلاوته وفهمه ومعرفة كل منهما قدرته على الالتزام به قبل التوافق عليه أمام الله وفى وسط علنى .

ثم يحضران أمام هيئة عامة برفقة حضور لا يقل عن اثنين ليتعهد بالله كل منهما عليه . وبعد تعاذهما عليه يصير العهد ميثاقا بينهما فيبلغ الكتاب أجله وتبدأ حياتهما الزوجية .

وفى البلاغ تحذير للذين ينقضون عهد الله :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَآيَمَنَ بِهِمْ ثُمَّ قَلِيلًا أُؤْتُوا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٧٧ ءال عمران .

إن الدعوة إلى سبيل الله تستند إلى الأمر التالي:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ ١٢٥ النحل.

فلا إكراه في الدين ولا إكراه في الدعوة. وسبيل الرب مبين في البلاغ:

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ٢٩ الإنسان.

الناس أحرار. لهم أن يتزوجوا كما أمر الله. كما لهم أن يتزوجوا كما يشاؤون.

## سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ / ١ / مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ / ٢ / وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ / ٣ / وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ / ٤ / وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ / ٥ /﴾.

غَيَّبَ ظَنُّ الْكَاهِنِ أَهْمِيَةَ هَذِهِ السُّورَةِ. وَسَاحَاوَلُ أَنْ أَقْدِمَ فَهْمِي لَهَا وَكَلَنْتِي أَمَلُ أَنْ يَعُودَ مَنْ يَتْلُو كِتَابِي إِلَى النَّظَرِ فِيهِ مَرَاتٍ وَمَرَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَصْدُرَ حُكْمُهُ عَلَى هَذَا الْفَهْمِ.

وحتى يكون عملي أظهر أرتل معها النبأ التالي:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ / ٩٥ / فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ / ٩٦ /﴾ الْأَنْعَامِ.

فِي الْنبَأِ / ٩٥ وَ ٩٦ / الْأَنْعَامِ يَبَيِّنُ لَنَا اللَّهُ أَنَّ سِتَّةَ الْفَلَقِ (الفصل والانقسام) تحكّم الوجود الحي (الحب) والوجود الميت (النوى) على السواء. كما يبين لنا ظواهر الوجودين (الإصباح). ويؤكد لنا أن هذه الستة هي من فعل الله.

رَبُّ الْفَلَقِ فِي سُورَةِ الْفَلَقِ هُوَ اللَّهُ بِدَلِيلِ الْنبَأِ / ٩٥ وَ ٩٦ / الْأَنْعَامِ.

والأمر المبين في سورة الفلق هو تقدُّمنا العلمي واكتشافنا لسنة الفلق في الوجودين الحي والमित وظواهرهما.

ويبين أن تسخيرنا للقوة الكامنة لا يكفي لوحده. والذي تبيَّنه لنا السورة أن العلم بسنة الفلق يلزمه اللجوء من دون انقطاع إلى رب هذه السنة الذي هو الله فنعلم بما وعظ وهدى حتى لا نقع في شرور أعمالنا.

الشَّرُّ فِي الْوُجُودِ ظَاهِرَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ يَبِينُهَا الْبَلَاغُ:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا / ٧ / فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا / ٨ / قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا / ٩ / وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا / ١٠ /﴾ الشمس.

فالنفس البشرية تحكمها سنة الفلق في مجال الظواهر (الأصباح). وهي تفصل بين الفجور والتقوى.

وينبثق عن فعل هذه السنة فعل إنساني يقوم على جدلية (الفجور - التقوى) بدليل النبأ التالي:

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ٥٤ الكهف.

وأن التحكم في سير هذه الجدلية يأتي من وجهتين:

١- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا﴾. ويتم ذلك بتذكرها لأوامر الله ووصاياهِ وموعظته وعدم نسيانها والطاعة.

٢- ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾. وهو لنفس أهملت أوامر ووصايا وموعظة الله فلا تذكرها وهي خفية عليها. فلا تستطيع السيطرة على هذه الجدلية وتغلب عليها أفعال الفجور وتصبح هي الأقوى بسبب فقدان عامل التحكم والسيطرة الذي أرسله لنا الله في رسالته.

ويستطيع الإنسان أن يعمل بسنة الفلق في وجهتين. إما وجهة الخير وإما وجهة الشر. مثل الانقسام النووي فيه خير وفيه شر. والإنسان مخير ومسئول عن اختياره.

فى مقال لـ (F.W أندرسون)<sup>(١)</sup> ألقول ألتالى :

«لقد دخل مجتمعنا عهد الطاقة النووية معصوب العينين، كما أننا سرنا فى عصر الـ دي دي ني DDT والمبيدات الحشرية الأخرى على نحو أعمى. إلا أننا لن نستطيع دفع ثمن الانغماس الأعمى فى عصر الهندسة الجينية (الوراثية) Genetic engineering. ولهذا يجب أن ندخل هذه المرحلة المثيرة ونحن على وعي تام بأن المعالجة الجينية قد تستخدم للشّر كما قد تستخدم للخير. وعندما نجني ثمار هذه التقنية، علينا أن نذكر أخطارها الكامنة، وأن نبقي متيقظين دوماً».

فيه إشارة بيّنة إلى وجهتين فى علم المعالجة الجينية (شرّ - خير). وهى إمكانية كامنة وتنتظر توجيهها.

وألعود برب أَلْفَلَق أى أَلْجُوء إلى أَللّهِ وأوامره ووصاياه أَلْظَاهِرَة أَلْبَيِّنَة هو أَلْمُنْقَذ أَلْوَحِيد لَنَا مِنْ أَلشَّرُورِ سِوَاءِ ءَكَانَ ذَلِكَ فى أَلْانْقِسَامِ أَلنُّوَى أَمْ فى أَلْهِنْدَسَةِ أَلْجِينِيَةِ أَمْ فى أَلْأَسْتِنْسَاخِ الخ. .

لقد بين لنا أَللّهُ فى أَلتَّوْجِيهِ / ٢ / أَلْفَلَقُ أَنَّ أَلشَّرَّ مِنْ خَلْقِهِ. وذلك من خلال خَلْقِ أَلنَّفْسِ أَلْإِنْسَانِيَةِ ذَاتِ أَلْجَدَلِيَةِ (خير - شرّ).

كما بيّن فى أَلتَّوْجِيهِ / ٣ / أَنَّ أَلْعَمَلَ وَفْقَ سُنَّةِ أَلْفَلَقِ فى وَجْهَةِ أَلشَّرِّ يَسَبِّبُ أُنْتِشَارَ أَلظَّلَامِ سِوَاءِ ءَكَانَ فى حَيَاةِ أَلنَّاسِ أَمْ فى أَلْأَرْضِ (أَلْبَيِّنَة). ولهذا أَلْوَجْهَةِ أَثَارُهَا أَلشَّرِيرَةُ فى أَلْحَيَاةِ أَلْإِجْتِمَاعِيَةِ.

كما بيّن فى أَلتَّوْجِيهِ / ٤ / أَنَّ أَلشَّرَّ بِفَعْلِ أَلنَّفْثِ فى أَلْأَزْمَاتِ أَلْإِجْتِمَاعِيَةِ أَوْ أَلْعَائِلِيَةِ أَوْ أَلْمَذْهَبِيَةِ أَوْ أَلدُّوْلِيَةِ يَزِيدُ فى تَعْقِيدِهَا وَتَأْزِيمِهَا وَيَجْعَلُهَا غَيْرَ قَابِلَةٍ لِلْحَلِّ.

وبين فى أَلتَّوْجِيهِ / ٥ / أَنَّ فَعْلَ أَلشَّرِّ يَسْتَمِرُّ فى تَوْلِيدِ أَلشَّرُورِ. فبعد تَأْجِيجِ أَلْأَزْمَاتِ تَقْوَى أَلنَّفُوسِ أَلْحَاسِدَةُ أَلطَّامِعَةِ بِأَلْكُسْبِ مِنْ خِلَالِ تِلْكَ أَلْأَزْمَاتِ كَتَجَارِ أَلْحُرُوبِ عَلَى أَخْتِلَافِ بَضَاعَتِهِمْ. ويزداد إقدامها على فعل ما يحقق أطماعها من دون أهتمام بما ينجم عنها فى حياة أَلنَّاسِ.

(١) «المعالجة الجينية». مجلة العلوم الأمريكية - المجلد ١٤ - العدد ٤ - نيسان ١٩٩٨.

## سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ / ١ / مَلِكِ النَّاسِ / ٢ / إِلَهِ النَّاسِ / ٣ / مِنْ شَرِّ  
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ / ٤ / الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ / ٥ / مِنَ الْجِنَّةِ  
وَالنَّاسِ / ٦ /﴾.

في هذه السورة وفي نور ما جاء من فهم لسورة الفلق أنظر إلى قولها الذي  
يبدأ باللجوء (أعوذ) إلى الله بثلاث حالات:

الأولى لجوء إلى رب سة الوجود والناس من الوجود.

الثانية لجوء إلى ملك الناس وهو الله المالك لكل شيء والناس أشياء.

الثالثة لجوء إلى إله الناس وهو لمن يعلم ويقر بالألوهة ويحصرها بالله.

وأفهم من هذا العوذ أن المؤمن العالم يلجأ إلى رب الفلق حتى لا يعمل  
بسنة الفلق في وجهة الشرور. ويلجأ إلى الله وهو نور السموات والأرض والعليم  
بكل شيء في الحالات الثلاث عند تطبيق سورة الناس في الحياة الاجتماعية التي  
تحتاج إلى مؤسسات وإدارات تشرف على حياة المجتمع.

وأرى أن العوذ في هذه السورة ينحصر في مسألة على قدر كبير من الأهمية  
وقد بينها الله بقوله: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾.

الوسواس مرض فى النفس ينشأ عن اختلاط الأحلام والظنون مع الحقّ .  
وبهذا المرض يفقد المصاب القدرة على التفريق بين أحلامه وظنونه وبين الحقّ .  
الخناس اسم يستمدّ دليله من دليل الفعل خَنَسَ . وهو فعل فى دليله دليل  
الأفعال (أخّر وخلف ووارى) .

فاللجوء إلى الله هنا هو لجوء إلى العلم بما فى نفس المرشح إلى منصب  
فى صدر المجتمع حتى لا يوقع المجتمع فى الشرور التى يسببها وصول مرضى  
بالوسواس الخناس إلى مواقع الصدر فيه . ومن أجل إعفاء من أصيب بهذا  
المرض وهو فى موقع من مواقع الصدر من منصبه .

والنفع المطلوب فى هذه السورة ينحصر فى توجيه اهتمام الناس إلى العلم  
بحال نفس كلّ فرد يتقدم لموقع من مواقع الصدر والتأكد من خلوها من  
الأمراض النفسية . ووضع الأسس التى تتبع للكشف عنها .

## سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ / ١ / إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ / ٢ / إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ / ٣ /﴾ .

في هذه السورة تصوير تمثيلي لستة الرب في الوجود «كل شيء هالك . . .»  
«والعصر» الواو هو واو الطور . وعَصَرَ الشيء أخرج ما فيه من ماء .  
فالإنسان من بعد قوة وشدة يُعصر فيخسر جسمه الماء . ويمثل عليه بصورة عصر  
فاكهة يخرج ما فيها من عصير ولا يُترك فيها إلا الألياف الجافة . وعَصَرَ الشيء  
يؤول به إلى جفاف وتفتت وهلاك .

الإنسان المولود في جسمه ٨٠٪ من وزنه ماء . وتبقى هذه النسبة في جسمه  
إلى أن يبلغ الثلاثين من العمر . فيبدأ طور يخسر فيه الماء من جسمه إلى أن  
توصل خسارته إلى حد لا يتركه حيًا من بعده . وهذا هو عصره وخسره .  
وفي النبا / ٢ / يبين الشبه بين عملية العصر وحياة الإنسان ويؤكد . فهو في  
حال خسر مستمر يشبه عملية العصر حتى هلاكه .  
هذا في الحياة الدنيا . أما في الحياة الآخرة فإن خسارة الذين لا يعلمون بهذا  
الحق كاملة .

أما الذين ءامنوا وقدموا البيئة على إيمانهم بأعمالهم الصالحة في الحياة الدنيا  
فتعود خسارتهم إليهم في الحياة الآخرة .



الاستنساخ



## الْإِهْدَاءُ

إلى زوجتي إيمان. الإنسانية التي تفيض بالصدق والإحسان والأمل والمحبة.  
والتي تدفع إلى القيام والعزم والانطلاق إلى الأمام بحثًا عن الحق في الحياة  
الخير المتجددة دائمًا.

وإلى أولادي زياد وزاريا وعماد وزين وجاد. أسأل الله الهداية لكم إلى  
سبيل الإيمان الحق المتطهر من الوهم. وأن تكونوا نسبًا وصهرًا صالحين.

## كلمة أولى

إن المأرب من أبحث هو الدعوة إلى سبيل الله . وهو ممرّ يخلو من العسرات والتضييق يبينه لنا البلاغ بالقول ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ . فالناس أحرار في موافقهم لهم أن يؤمنوا بالله ولهم أن يكفروا من دون عدوان . وحرية الناس مسئولية فردية عليهم كما يرى «جان بول سارتر» . وفي الحرية تجد النفس طهارتها من أفعال الوحش .

الدعوة إلى سبيل الله هي دعوة إلى حرية الناس فلا إكراه في الدين . وليس في الدعوة إلا تحريض كما يبين الأمر الإلهي :

﴿فَقِيلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ ٨٤ النساء .

والمؤمن الحق يكلف نفسه ولا يكلف غيره . وهو يعلم أن في تكليف الغير إكراه .

## مدخل إلى البحث

يتقاسم اليوم الاستنساخ البشري والهندسة الجينية الصدارة في بحوث العلم. وكل منهما من أعمق وأصعب البحوث العلمية التي توصل إليها وعمل عليها الإنسان في مسيرته المعلوماتية التي بدأت مع الإنسان الأول وما زالت تتطور وتزداد حتى يومنا هذا.

لقد ثار جدل كبير حول الاستنساخ البشري. ونُشرت بيانات تستنكر مثل هذا التوجه في العلم وتطالب بمنعه. ومن المستنكرين رجال دين وسياسيون ومنهم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية «وليم جفرسون كليتون».

وفي أواخر عام ١٩٩٨ قام علماء من كوريا الجنوبية بإجراء تجربة على استنساخ بشر. وبعد أنقسام النسخة إلى أربعة خلايا أوقفوا التجربة. بانتظار الموافقات الدينية والتشريعية (القانونية).

لقد قال رجال الدين كلمتهم وطالبوا بمنع هذا العلم. وتأسست في بريطانيا جمعية طبية إسلامية لمكافحة الاستنساخ. وأزهرهم رئيس أكبر دولة علمية في الأرض. فمن أين ستكون الموافقات الدينية والقانونية التي ينتظرها علماء الاستنساخ؟

ولخطورة هذه المسألة وجدت نفسي أنظر في كتاب الله (القرآن). ومأربي هو في معرفة حدود العلم بالنسبة للإنسان. ورأيت فيه الأمر:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٠ العنكبوت.

وفيه مسألتان:

الأولى أمر بالبحث العلمي. نوصل به إلى العلم بكيف بدأ الخلق. وفيه بلاغ يبين حتمية علمنا بكيف نشأ:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ الواقعة.

وفى البلاغ أن علمنا بالمسألة محتوم «لقد علمتم» وهو قول يظهر توكيد أنتهاء علمنا بها بدليل فعل مضى.

والمسألة الثانية هي إعلاننا أن النشأة الأخيرة لا يدخل العلم بنشأتها في دائرة قوتنا العلمية. وأن العلم بالنشأة الأخيرة هو من علم الله وحده.

الاستنساخ البشري هو علم في وسيلة للتناسل من موقع تطور محدد من دون اعتماد على الاتصال بين ذكر وأنثى. وهذا العلم يدخل في دائرة الأمر «فانظروا كيف بدأ الخلق» ولا يخرج عنه. وهذا العلم لا يزال بعيداً عن كمال الطلب السائل «كيف بدأ الخلق».

فإذا كان الأمر الإلهي للإنسان يطلب منه السير والنظر والوصول إلى العلم بكيف بدأ الخلق. وأن في استنساخ البشر وغيره من الكائنات الحية سبيله إلى هذا العلم. فلماذا يعارض رجال الدين هذا الأمر كلما وصل الإنسان إلى منعطف علمي جديد يسوق إلى تحقيق هذا الطلب؟ ١١

وما هو سندهم في المعارضة والاستنكار؟

في كتاب الله ألقراءان مسألتان رئيستان:

الأولى بلاغه عن بداية ونهاية الكون وعن خلقنا وخلق كل ألوان الحي والमित وتسويتها.

والثانية مواعظه وأوامره ومنها الأمر بالسير والنظر والعلم كيف بدأ الخلق.

وبيّن كتاب الله أننا أحرار في طاعة الأوامر وفي الفسق عليها «لا إكراه في الدين». وإن طاعتنا تمثل ركوعاً وعبادة لله. كما أنّ إهمالنا وتركنا لها هو فسق وعبادة لأهوائنا. ولكل من الموقفين ما يقابله من مكافأة أو عقاب عند الله يوم الحساب.

إذا اقترن فهمنا للمسألة الأولى بتصديق النبي بفعل العقل بينه وبين أعمالنا العلمية يسوقنا إلى الالتزام بالمسألة الثانية. حيث أن أوامر الله يطيعها الناس في نور فهمهم الأنبياء التي تثيرها المسألة الأولى.

لماذا ربط الله أوامره بالأنبياء؟

في النبي الدليل والإرشاد إلى الحسى في الوجود وفي أنفسنا. والإنسان من بعد زيادة علومه الحسية عن الوجود وعن النفس الحية يستطيع إدراك الأنبياء وتصديقه بوسيلة العقل بينهما.

والنبي في القرآن هو عن الوجود والنفس معاً. وعلم الإنسان إمّا أن يكون مصدقاً للنبي أو أن يكون مكذباً له. فإذا صدّق علم الإنسان النبي دفعه تصديقه إلى الالتزام بالأمر الإلهي. وإذا كذبه طرح أوامر الله جانباً ولا يعود إليها. هذا التصديق والتكذيب لا يخرج أيّ منهما عن سنة الله في الخلق التي بينها البلاغ:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا / ٧ / فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا / ٨ /﴾ الشمس.

فتوجه النفس وجهة الفجور أو وجهة التقوى لا يبدل سنة الله في الخلق. ولا يدعوا أحداً للمعارضة والاستنكار لأن توجه النفس يحتمل الوجهتين بالخلق.

وهنا أجد نفسي أسأل: هل يوجد علم إنساني يكذب النبي في القرآن؟

وأرتل القول المتعلق بالجواب:

﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمِدةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ٨٨ النمل.

ما يقوله لنا علم الإنسان أن الأرض تتحرك حول نفسها وكذلك تجري في فلك حول الشمس . وفي حركتها وجريها هل تبقى الجبال جامدة؟ وهل تمر مر السحاب؟

وفي الآتية التالية بيان لزوجية الأشياء:

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩ الذاريات .  
﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٦ يس .

وتقول الفيزياء الجزئية أن هذه الزوجية سمة أساس في الوجود (كوارك وكوارك مضاد) له الهيئة (الكتلة) ذاتها وخواص كهربائية معاكسة .

ويقول علماء الحياة أن الماء أساس الحياة . وقد جاء في النبأ:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ٣٠ الأنبياء .

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ ٤٥ النور .

وتجمع نظريات التطور على أن جميع الكائنات الحية نشأت من التراب (عناصر الطبيعة) بما في ذلك الإنسان . وأن الحياة بدأت من النفس الواحدة (وحيدات الخلية) ثم تشعبت عبر مراحل تطور إلى أن وصلت إلى متعددة الخلايا ثم إلى الذكر والأنثى . وقد جاء في النبأ:

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ١٧ نوح .

والتبت هو نشوء المادة الحية الأولى ومصدرها الأرض وليس مكاناً آخر . وبين المادة الحية النابتة والكائن البشري أزمنة متعددة وأطوار متعددة يؤكدنا النبأ في القراءان:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ١٤ نوح .

من هذه الأمثلة وجدت أن العلم الإنساني يصدق النبأ في القراءان ولا يخرج عنه . بل أجد أن النبأ في القراءان أكثر بياناً مما توصلت إليه نظريات النشوء



خصوصًا نشوء الإنسان ذاته. فقد جاء في القرآن أنباء تفصّل في أطوار نشأة الإنسان:

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ ٥ الحج.

وفيه تحديد المكوّن الأساس الذي يدخل في تسوية خلق البشر وهو أساس ميّت (تراب).

وجاء في نبي آخر:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ ٥٤ الفرقان.

يبين أساسًا آخر هو أساس كل شيء حيّ.

وفي النبي التالي:

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ٧ السجدة.

يبين علاقة الماء بالتراب وجعله طينًا. حيث أن أسس تسوية الخلق هي من التراب والماء وأن تسوية خلق الإنسان تبدأ من مكون ترابي مائي هو الطين. وهو تكوين تجرى فيه أفعال الفيزياء وينجم عنها شيء حيّ يبينه النبي التالي:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ ١٢ المؤمنون.

«من سلالة» مصدرها الطين. والسلالة هي ما يُستَلّ ويُنتزع كالنبات الفطري<sup>(١)</sup> الذي أُسْتُلَّ من الطين من دون بذور. وهو ما يمثل منطلق الحياة الأول.

ويزداد النبي القرءاني تحديدًا:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ ٢٦ الحجر.

﴿مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ هو نوع من الطين الأسود الساخن الجارى. فالصلصال لون من التراب. والحمأ لون من الكربون الساخن. وقد اختلط

---

(١) إن الفطور وكما أُلرعد ليست بذورًا. إنها أحماض أمينية وسكر وبورفين (أساس اليخضور). حُرّض ألبرق وأُلرعد على تكوينها من الطين. وما زال هذا أفعّل الفيزيائي يحدث.

الأثنين بفعل الماء الممسنون . وهو الطين الساخن المندفع من جوف الأرض .  
مكوناً التركيب الفيزيائي الشبيه بتكوين «السَّيَّان» .

من هذه الأمثلة للأنباء والبلاغات المرتلة لهذه المسألة نجد أن النبأ القرءانى يُعلمنا عن النشأة الأولى للإنسان وأصلها الأرضى . أما متابعة الخلق بدءاً من وحيدات الخلية إلى متعددات الخلايا ثم إلى الذكر والأنثى فقد جاءنا البلاغ بما يلى :

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ٦ الزمر .

والنفس الواحدة هى كل الكائنات وحيدات الخلية . وتسميتها بالنفس جاء من الفعل الفيزيائي الجارى فيها بتبادل الأجزاء الدخانية (الغازات) مع هواء الجو . هذه النفس الواحدة التى نشأت من سلالة من طين . جرى تغيير فيها يدل عليه أفعال جعل وبه صارت «زوج» نفسان كل منهما زوج الأخرى :

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ١٨٩

الأعراف .

لقد انفلقت النفس الواحدة إلى نفسين وصار لها من بعد الفلق خلق جديد :

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ٤٥ النجم .

وعن المراحل التى مرت فيها حياة الزوجين حتى اكتملت تسوية خلق البشر ثم المراحل التى تحوّل فيها إلى إنسان جاءنا البلاغ ببيانه :

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُونَ﴾ ٢

الأنعام .

وفى هذا البلاغ إعلامنا عن أجلين . الأول يتعلق فى إكمال أفعال تسوية الخلق الفيزيولوجى للبشر . والثانى يتعلق بتحوّله إلى مكتسب للمعلومات وخازن لها فى ذاكرة . وبفعل الذاكرة يتخذ موقف المتر الذى يدل على موقف الامتناع عن الالتزام بالأمر والفسق عليه .

لقد بين علم الإنسان أن أفعال التكوين الفيزيولوجى للإنسان استمرت أزمنة

طويلة جدًا حتى اكتملت وصارت بشرًا. وهو ما نجده في الألباغ ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾.

وحتى لا تعود تسوية الخلق في كل مرة إلى البدء ثم يقضى أجل طويل حتى تكتمل مرة أخرى جرى خلق (تصميم) جديد لا يحتاج إلى عودة إلى البدء من طين. فقد جعل الله جميع أفعال الأجل الأول منهاجًا حيًا مسجلًا في كتاب كما هو التسجيل على ألواح ليزرية. وهو ما يظهره الألباغ التالي:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ / ١٢ / ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَّكِينٍ / ١٣ /﴾ المؤمنون.

الخلق (التصميم) بدأ من طين ثم من سلالة من طين. ولكنه لم ينته عند هذه البداية. بل مرّ في مراحل عديدة ثم تحول الخلق بفعل الجعل (الطفرة) إلى منهاج حيوى فى نطفة سجلت فيه جميع منهاج وأفعال الخلق بدءًا من تراب. وبالتسجيل يتابع الخلق الحى أطواره حتى يوصل إلى طور بشر:

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ١٤ المؤمنون.

النطفة تضمّ كل منهاج وأفعال تسوية الخلق والأطوار التى تسبقها بدءًا من التراب. كما تضمّ منهاج وأفعال تسوية الخلق للأطوار اللاحقة على النطفة.

ويؤكد الله على الربط بين طور التراب وطور النطفة ثم متابعة أفعال تسوية الخلق إلى أطوارها العليا وفيها طور كمال تسوية البشر:

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّكُمْ وَنُنَفِّسُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّ أَجَلَ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ ه الحج.

ويؤكد الله تعدد الخلق (التصميم) وتسلسله وفق منهاج حىّ مسجل:

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ ٦ الزمر.

فى البلاغ / ٥ / الحج تقسيم بين لمناهج وأفعال تسوية الخلق التى يرتبط بعضها ببعض فمّا أن يكتمل طور حتى يبدأ طور تالٍ .

ما تقدم من ترتيب لبلاغات وأنباء من القرآن يبين أنّ علم الإنسان يجعله قادراً على تحريض أفعال تسوية الخلق المميّنة له فى كتاب الله بدءاً من النطفة . سواء كان بوسيلة نكاح ذكر وأنثى . أم بوسيلة توسيط صناعى كما هو فى الأبواب .

كما أنه يستطيع العلم والانتقال فى تحريضه إلى الطور التالى على النطفة وهو طور العلقه (الزيجوت zygote) . وهنا لا يلزمه مسّ ذكر لأنثى وبذلك يكون قد تجاوز طور خلق كامل . ويعمل الإنسان هنا لا يوجد أى خروج عن العلم الذى أحطنا به من قبل الله .

وأستطيع القول أن نظريات النشوء التى وضعها علماء أحياء جميعها تصدّق الأنباء والبلاغات القرآنية التى رتلتها . وهى لا تخرج عنها فى شىء . وكان الله قد أعلمنا فى بلاغه أننا سنتوصل بعلمنا إلى كل ذلك ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَى﴾ .

وأقول إن نظريات النشوء لم تستطع أن تكشف عن الوسيلة التى أنتقل بها البشر إلى إنسان . أما البلاغ فأجد فيه بيان ذلك :

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ﴾ ٧٢ ص .

التسوية هى التنفيذ المساوى للخلق . وتسوية الخلق هى كماله من دون نقص . هذا من الجانب الفيزيولوجى . أما من الجانب المرتبط بالفكر والعلم فقد جاء عنها فى القول ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ وبين المسألة فى بلاغ آخر :

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ٣١ البقرة .

فى القول ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ ما يدلّ على تزويد آدم بالقوة الحركية المتعلقة بالمعلومات . فالروح هو فتح منهاج التعريف الملهم فى النفس (فجور

وتقوى) وبث الحركة فيه لاكتساب العلم بالشيء وإخراج تعريفه إلى ساحة الدراية والعلم. وبأكتساب العلم في الشيء تنشأ الخبرة فيه وتحفظ (ذاكرة). وتأتي الزيادة في العلم والخبرة بأكتساب متواصل. فالنفس قبل نفخ الروح كانت بما فيها من منهاج تعريف ملهم فيها تفجر لتدفع عنها خطرا وتتقيه بالهروب منه. وكان فعلها هذا يحدث بما في المنهاج الملهم من تعريف على جميع الأشياء ومن منسك<sup>(١)</sup> لسلوك الفجور وسلوك التقوى يفعل من دون إرادة. وبنفخ الروح فتح منسكها على العلم والخبرة والإرادة فيما تفعل وتعمل.

في البلاغ بيان عن الروح:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥  
الأسراء.

وفيه أن الروح هو بعض أمر الرب. والأمر معلومات وله منسك. وبهذه المعلومات حدث فتح للنفس على منسك جديد فيه القدرة على أكتساب العلم والخبرة بما هو معرّف في النفس وحفظهما في ذاكرة.

ولبيان الدليل على أن الروح هو بعض علم. أي علم قليل جاء في البلاغ ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وكيل القلة هنا بالنسبة إلى علم الله ذاته الذي جاء عنه في البلاغ أنه:

﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٩٨ طه.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ١٦  
الحجرات.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ١٢ الطلاق.

وجاء في البلاغ عن علمنا القليل:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ ٢٢٥ البقرة.

(١) المنسك هو ما يعرف بالكلمة الأوردية «نظام» وبكلمة سيستم system.

وهكذا أجد أن الروح يفتح النفس على العلم بمقدار المعلومات التي شاء الله أن نحصل عليه بدءاً من ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وحتى قيام الساعة. وبه نعلم أن سلوك الإنسان يتعد عن سلوك البشر كلما ازداد وسع منسك الروح في نفسه وإلى أن يوصل إلى مقدار «بما شاء».

لقد أبلغنا الله أن سنة الخلق بكل ألوانه لا تبديل لها:  
﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ٤٣ فاطر.  
كما أبلغنا عن السبب:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ ١٦ الأنبياء.  
فخلق الله لا يبدل ولا يحول لأنه ليس لعباً. واللعب هو اللهو والسخرية والعبث. وتبديل أى سنة في الوجود يغير مناهج تكوينه. ويغرق كل شيء في العبث والضياع. ولذلك وكّد الله على ثبات وحزم في سنته:  
﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ ٢٧ الكهف.

الأنبياء في كتاب الله كثيرة. وجميعها تدخل في دليل القول ﴿وَمَا أُوتِشِرَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

ويمكن للإنسان أن يعلم بجميع أنباء الكتاب وبيئتها بالنظر والبحث. وهذا لا يكون دفعة واحدة من قبل الناس. بل يخضع لربو علم الإنسان وتطور نظره وبحثه. وعن هذا الأمر جاء النبا:

﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧ الأنعام.  
﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٨٨ ص.

وأنتهى إلى القول أن الأنبياء الموجودة في كتاب الله جميعها والمتعلقة بالكون وتسويته والإنسان وتطوره وعلمه يحتاج فهمها إلى طاعة الأمر ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ وهو أمر بالبحث العلمي يطيعه اليوم علماء البيولوجيا والفيزياء وغيرهم.

## الاستنساخ

لكل علم سنته الخاصة به. والاستنساخ علم في الحق الحق وله سنته وبيئاته الحسية. وبالعلم بسنته يمكن تكثير البشر وغيرهم من الكائنات الحية من دون اللجوء إلى فعل قريب وفعل مس.

ويستند علم الاستنساخ على العلم والمعرفة بأطوار تسوية الخلق الممينة في البلاغ / ٥ / الحج. حيث يبدأ التكاثر من العلقة أو المضغة بدلاً من النطفة.

في كتاب الله أنباء عن تسوية خلق إنسان وفق سنته لا يألفها الناس في حياتهم ولكنها لا تخالف البلاغ ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتَيْهِ﴾. وهناك ثلاث عمليات تسوية خلق خالفت ما يألفه الناس:

الأولى ولادة إسحق من امرأة عقيم.

والثانية ولادة يحيى من امرأة عاقر.

والثالثة ولادة عيسى من امرأة عذراء.

ونبدأ بالأولى ونرتل الآيات التي حملت إلينا النبأ:

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ﴾ ٥٣ الحجر.

﴿فَأَقْبَلَتِ أَمْرَاتُ فِي صَرَقٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ ٢٩ الذاريات.

﴿وَأَمْرَاتُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ٧١ / قَالَتْ

يُنَوِّلَنِي ۚ أَلِدْتُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ٧٢ / هود.

فى هذه الأنبياء امرأة عجوز عقيم . ومن كان عقيماً لا بذور حياة لديه . وفى التعقيم إبادة للكائنات الحية الصغيرة . ومع ذلك هناك بشارة «بغلم عليم» أسمه إسحق .

فى النبا / ٧٢ هود/ تعجب امرأة إبراهيم من البشارة بسبب معرفتها أن العقيم لا تلد وكذلك العجوز . فكيف ستلد من كانت عجوزاً عقيماً؟! هو عجب مشروع بالنسبة لامرأة إبراهيم بسبب علمها أن العقيم والعجوز لا تلد .

فهل يستطيع رجال الدين والسياسيون الذين يعارضون ألاستساخ أن يقولوا لنا كيف يمكن للعقيم والعجوز أن تلد فى يومنا هذا؟

لقد أنبأنا الله عن تسوية الخلق الأول وحدد عدته من التراب ومن الماء . ومنهما يتكون الطين . وهو ليس ماء ولا تراباً . إنه كينونة جديدة تجرى فيها أفعال الفيزياء ويتولد عنها «اللبنات الجزيئية الأولى للحياة العضوية»<sup>(١)</sup> .

وبين لنا أنه «قضى أجلاً» تتابع وتسلسل من بعده فى تسوية الخلق حتى وصل إلى الحال الفيزيولوجى التى عليها البشر .

ثم بين أنه سجل كل الأفعال التى جرت بدءاً من طين إلى البشر فى سجل حى داخل النطفة . وبذلك بين أنه لا حاجة للعودة فى كل مرة إلى البدء من الطين لتسوية الخلق .

ثم بين أن تسوية الخلق من بعد النطفة تنطلق من العلقة (الزيجوت zygote) وهو لقاء نطفة المنى بالبويضة ومسها .

وبين أن تسوية خلقنا بعد ذلك تبدأ من العلقة :

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٢ العلق .

(١) مقال «هندسة معمارية» أنكبر (مجلة العلوم الأمريكية- مجلد ١٤ - أعددان ٧/٦ - ١٩٩٨) .



ما رتل من قول عن البشارة «بغلم عليم» يبين أنه يمكن التوالد في حال «عجوز عقيم». وبذلك يتابع اللون الحي سبيله في الحياة من دون أنقراض بسبب العجز والعقم.

وهذا الأمر يتوقف على طاعتنا للتوجيه ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ والوصول إلى المعرفة والعلم بالسنة المتعلقة بالتوالد من دون مس. وقد جاء الدليل الذي يبين أن العقم لا يكون سبباً لانقراض اللون الحي من بعد العلم بسنة تسوية الخلق من علق ﴿فَبَشِّرْنَهَا يَا إِسْحَاقُ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾. وفيه نبأ عن مواصلة التوالد من دون توقف.

كيف حدث ذلك؟

يقول الله أن ذلك سنعلمه في المستقبل:

﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٨٨ ص.

ونحن اليوم أصبحنا نعلم أن نطفة المني البشري تضم كتاباً كبيراً مكوناً من  $X+22$  سجلاً من لون أنثوي. أو  $Y+22$  سجلاً من لون ذكرى. أما البويضة فتضم لوناً واحداً من السجلات الأنثوية  $X+22$ . وتسمى هذه السجلات كروموسومات. وتبدأ تسوية خلق الإنسان من بعد لقاء النطفة وسجلاتها بالبويضة وسجلاتها ومسها. ويتكون من هذا الممس علق (زيجوت zygote) وعدد السجلات فيه هو ٤٦ سجلاً أو كروموسوماً. ويتكون العلق تبدأ تسوية خلق كل فرد من الناس. الأنثى سجلاتها من لون  $XX+44$  والذكر من لون  $XY+44$ . والإنسان المتكون من هذا الزيجوت تضم كل علق (خلية) من جسمه  $XX+44$  سجلاً أو  $YX+44$  سجلاً (كروموسوماً) وفق لونه ذكر كان أم أنثى. <sup>(١)</sup> ومن جسم الإنسان يؤخذ علق وبتحريضه يسوى ولد من دون إلقاح. فبعد أن علم الإنسان ما في العلق (الخلية) من سجلات لتسوية الخلق صار يستطيع التوالد من دون مس بوسيلة القرب. ويمكنه أن يجرى فعل التسوية من دون أن يكون ذلك

(١) «مبادئ البيولوجيا» أرينا كارونينا / دار مير - ١٩٦٧.

فسقاً على قول الله «لا مبدل لكلمته». بل إنَّ في عمله هذا تأكيد لقول الله تسنده البينة العلمية الحسية التي توصل إلى العلم أنَّ وسيلة تسوية الخلق المبلغة في البلاغ / ٥ / الحج لا مبدل لها. والبينة العلمية هي أقوى أساليب البينة.

هكذا أصدّق أن العجوز العقيم يلد. وحدث ذلك بواسطة علقه (خلية) من جسم الذي بُشّر بالغلام العليم. وهذا ما يفعله علماء الاستنساخ اليوم. وفي فعلهم هذا العلم والتصديق لنبي عن عجوز عقيم ولدت. وهذا العلم والتصديق يحدث اليوم وهو بعد حين ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ﴾.

إذن الاستنساخ هو علم وعمل ينجمان عن طاعة الأمر:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٠ العنكبوت.

وهو عمل يوصل الناس إلى العلم كيف بدأ الخلق. ومن دون هذا العمل لا يعلم الناس كيف بدأ الخلق ويكون كل قول لهم فيه ظنّ ورجم بالغيب.

وعليه أرى أنَّ الاستنساخ عمل يوافق سنة الله المتعلقة بالعلم كيف بدأ الخلق. وهو الوسيلة لتوالد من كان عجوزاً عقيماً والوسيلة لتصديق النبي في كتاب الله.

وقد يسأل سائل من قام بفعل الاستنساخ لكي يولد الغلام العليم إسحق؟

وأجد في النبي أنَّ ملائكة نقلت البشارة إلى إبراهيم وأمراته. وهم الذين قاموا بالفعل بخبرة مسجلة فيهم بأمر من الله. وفعلهم يشبه فعل روبوت.

أنتقل إلى ولادة النبي يحيى وأرتل الآيات التي تبلغ عن ولادته. وقد وجدت أنه ولد بعد إصلاح عطل يمنع ألمسّ (الزيجوت) لدى والدته.

جاء في البلاغ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِيَحْيَىٰ﴾ ٣٩ ءال عمران.

ولما كانت البشارة تخالف علم زكريا وما هو مألوف بين الناس سأل زكريا مستغرباً:

﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ ٤٠ ءال عمران.

وجاءه الجواب:

﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ٤٠ ءال عمران.

ويظهر لنا الله ماذا فعل في البلاغ التالي:

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ ٩٠ الأنبياء.

كانت امرأة زكريا عاقراً. وإصلاح العقر جديد على علم الإنسان اليوم. وما جاء في البلاغ عنه هو نبأ علمنا به بعد حين.

العقر هو الجرح أو القرع الذي يمنع ويحبس فعل الممس (الزيجوت) على الرغم من توفر طرفيه.

وقد تم إصلاح والدة يحيى بأمر من الله فولدت يحيى بمس مألوف من الزوج زكريا. والغلام يحيى هو ولد زكريا بالوسيلة التي يتبعها الناس بفطرتهم.

أما ولادة عيسى فكانت من امرأة عذراء. والعذراء لا تلد بذاتها كما يعرف الناس حتى يومنا هذا. كذلك هي مريم العذراء تعلم مثل الناس أن الولادة لا تحدث إلا بفعل مس. ولذلك أظهرت استنكارها:

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ٢٠ مريم.

ويأتيها الجواب:

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ ٢١ مريم.

ولما كانت مؤمنة محصنة وصديقة صدقت وتوقف استنكارها.

لقد وكّد النبأ في القرآن أنها حملت وولدت من دون مس:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرئيمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

مَرْيَمَ﴾ ٤٥ ءال عمران.

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا / ١٧ / قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا / ١٨ / قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا / ١٩ /﴾  
 مريم .

البشارة بكلمة من الله . وكلمة الله كما بينها كتابه هي شيء حق :  
 ﴿وَبَشِّرِ هَٰذَا النَّحْلَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ﴾ ٨٢ يونس .

هذا الحق هو عيسى ابن العذراء مريم وقد تم تحقيق هذه الكلمة بواسطة الروح الذي تمثل أمامها بشراً كاملاً وقام بإعلامها عن الأمر ﴿لَأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ .

فكيف حدث ذلك؟

ويأتى الجواب فى البلاغ التالى :

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾  
 ٥٩ آل عمران .

وفى هذا البلاغ أن خلق عيسى لا يخالف خلق آدم وهو مثله وخاضع لذات السنة التى لا تبديل لها . من تراب ثم وفق أطوار الخلق المتعدد حتى طور ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ .

ولما كان خلق عيسى لا يرتبط بنطفة فما هى وسيلة هذا الخلق؟

كما وجدنا فى ولادة إسحق من عجوز عقيم فإن العلقه هى الوسيلة لى العذراء مريم . وأى عذراء اليوم يمكن أن تلد انطلاقاً من العلقه من دون مس . وأن فعل علم الاستساخ هو الذى يبين كيف حدثت آية ولادة العذراء مريم ويصدقها .

ولما كان هذا النبأ يصعب تصديقه على كثير من الناس راحوا يرمون العذراء مريم بكل ألوان البهتان . وقد أبلغنا الله عن الأمر فى البلاغ التالى :  
 ﴿وَكُفِّرْهُمْ وَظُلْمَهُمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بِهَتْنًا عَظِيمًا﴾ ١٥٦ النساء .

والكفر هو غطاء للسمع والبصر والقلب وأمتناع عن تصديق الآية التى  
جاءتهم والتى يكشف عنها البلاغ التالى:

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً  
لِّلْعَالَمِينَ﴾ ٩١ الأنبياء.

والآية شىء يحدث وله أشراف لا يمكن معرفتها والعلم بها إلا بالنظر والعلم  
فى مسألة ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ والعمل على التصديق لاستقرار النبىء ﴿لِكُلِّ نَبْرٍ  
مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

وعلم الاستنساخ الذى وفر لنا معلومات كافية لتأويل أية العذراء مريم وأبناها  
يقطع الشك والريب بهذه الولادة ويدفعنا لتصديقها. كما يساعدنا على فهم  
الآيات العظيمة التى تمثلها ولادة كل من إسحق ويحيى وعيسى.

إن آية الاستنساخ بين أيدي الناس منذ وقت بعيد عن يومنا هذا. وهم  
يأخذون خلية نباتية (برعم) ويزرعونها فى لحاء غصن شجرة أو نبتة. وبفعلهم  
هذا يسوّى خلق البرعم وينشأ عنه غصن جديد يحمل مواصفات موروثه من النبتة  
أو الشجرة المنقول منها البرعم. كما أنهم يقومون بعمليات نقل وزرع أجزاء  
(أعضاء) عن طريق زرع قلم يؤخذ من شجرة ويزرع فى شجرة أخرى. فينمو  
القلم وتتكون أغصان جديدة تحمل مورث الشجرة المنقول منها. وأستنساخ  
البشر هو مثل أستنساخ البرعم.



## علوم أخرى

فى البلاغ / ٥٣ الحجر/ جاءت البشارة «بغلام عليم». والغلام هو المراهق  
الهائج القوى الجسم. والمألوف بين الناس من علم إلى يومنا هذا لا يقبل ولا  
يصدق بأجتماع الوصف غلام مع الوصف عليم. لأن صفة عليم لا يحصل عليها

الإنسان إلا من بعد كسب وفير للعلوم وفى سن الرشد. والبشارة تقول أن إسحق عندما يكون فى سن المراهقة سيكون مختلفاً عن أقرانه بسبب علمه. وبه يكبح قوى الغلام ويوجهها كما يفعل العالم الراشد.

وفى البلاغ / ١٢ مريم / ﴿يَخَيَّ خُذِ الْكِتَابَ يَقُوْهُ وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾. فيها بلاغ عن صبي حكيم. والصبي هو الصغير الرضيع. والحكمة يعرفها الناس عند الشيوخ من العلماء وهى غير مألوفة عند الصبيان.

أما آية عيسى فهى مسائل علمية متعددة. حيث جاء عنه فى النبأ:

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٤٦ ءال عمران.

وفيه بلاغ عن طفل يولد ومن وقت ولادته يتكلم. وأول كلامه كان لوالدته:

﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي﴾ ٢٤ مريم.

وأرشدتها بما تفعل وهى حائرة مربكة:

﴿وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ يَجْنَعُ النَّخْلُ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا / ٢٥ / فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا / ٢٦ /﴾ مريم.

وعندما أجمع عليها قومها يستنكرون ما جاءت به أشارت إلى الطفل فقالوا لها متعجبين ومستنكرين:

﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَتْ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ ٢٩ مريم.

فقطع الصبي عجبهم وأستنكارهم:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ٣٠ مريم.

ضمت بشارة العذراء مريم صفة للمولود جاءت بقوله ﴿لَا هَبَ لَكِ غُلَمًا زَكِيًّا﴾. وهذا يبين أن جسمه ونفسه يخلوان من المرض والموروث الجيني. ونفسه فى سن الغلام (المراهقة) لا تدفعه تحت تأثير قوى جسمه ولا يوقع فى الفاحشة ولا فى أذى الناس. بل يكون صالحاً فى أقواله وأعماله ونفسه ممثلة

بالحكمة. وهذا بسبب تأييده بالروح القدس والعلم والحكمة وهو جنين. وهو ما بيّنه لنا البلاغ:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِعَمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ١١٠ المائدة.

الروح القدس<sup>(١)</sup> هو نسخة أصليّة لا باطل فيها ولا لغو ولا تحريف موروث. وفيه نسخة أصلية من الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. وحدث ذلك وخلقهُ يُسَوَّى «خلقاً من بعد خلق» في رحم والدته العذراء. والدليل على وقت هذا الكسب أنه «يكلّم الناس في المهد».

ومن أمثلة العلوم التي تعلّمها ما جاء عنه في البلاغ التالي:

﴿وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ ١١٠ المائدة.

الخلق هو التصميم. والمخلوق هنا «كهية الطير» أي على صورته. وأشار إلى مصدر الخلق وهو «الطين» وهو مصدر للمعادن وخاصة الألمنيوم الذي يدخل في الألوان الصناعية الطائفة. وقد ربط ذلك بالقول «بإذني». وإذن الله في الوجود هو دينه وسنته التي لا تبديل لها ولا تحويل عنها. والإنسان بعلمه وبمعرفته بالدين والسنة والإذن له أن يفعل ذلك. وقد أستطاع الإنسان أن يتوصل إلى تأويل هذه الآية بكل الألوان الطائفة اليوم.

أما قوله ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ فهو يشير إلى تعليمه ستة الطب البشري المتقدم على علمنا حتى يومنا هذا. وإلى اليوم لم يستطع الطب أن يبرئ الأكمه والأبرص. والنبأ في القرآن يبين أن ذلك ممكن من بعد معرفة وعلم بستة وإذن الله المتعلقة بهذين المرضين. ويحثنا إلى السعي في البحث عن هذه

(١) القدس مفهوم عن شيء أو مكان معقّم ومطهر بكامله.

الآذون استنادًا للأمر ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾.

أما القول ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ فأجد فيه نبأ عن وجود إذن يتعلق بالقدرة على إخراج الموتى. وما زال علمنا حتى الآن لم يتوصل إلى هذا الإذن. ومن الناس حتى يومنا هذا لا يصدق هذه الأنبياء ويرى فيها سحرًا كما جاء في البلاغ التالي:

﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ١١٠ المائدة.



بين أيدينا اليوم إذون متعددة نعلم بها وبوسيلتها نسوى الخلق. ومن هذه الآذون هو علم الاستساخ. وعلى علماء هذا الإذن الاستمرار في أعمالهم التي خلقها الله فيهم كما جاء البيان في النبأ:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ الصافات.

لقد خلقنا الله من تراب ثم تابع تسلسل الخلق الذي يضم منهاجًا لعملنا لا يبدأ فعله إلا من بعد كسب للعلم الذي يتراكم من خلال طاعة الأمر ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ وبه تبدأ سلسلة خلق أعمال الإنسان. وكل منها بعد أن يكتمل يكون بداية لخلق عمل جديد أعلى من السابق وصولاً إلى أحسن الأعمال كما في آية عيسى.

وكل الأعمال التي يخلقها الإنسان هي من منهاج ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ وما على الإنسان العالم إلا أن يعوذ «برب الفلق من شر ما خلق» وأن يكون مثله في عمله هو عيسى الذي أعلمنا الله عن صفاته في البلاغ:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا﴾ ٣٢ مريم.

لقد سوى خلق عيسى في رحم عذراء مؤمنة محصنة وصديقة. وصفات هذه الوالدة والأم تبين أهمية العلاقة بين المولود والوالدة وكذلك الأم. وهي التي



تظهر البر عند الولد والابن . والبر هو الوفاء والصدق والإحسان والصلاح والخير .

والإنسان في تقدمه للحصول على ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قد يتوصل إلى صناعة رحم . والطفل الذي يُسوَّى خلقه فيه إذا لم يكن له أم مؤمنة محصنة وصديقة ترعى مسألة البر في نفسه . لن يكون أكثر من إنسان صنعى روبروتى .

والنبا في القرءان موجّه اليوم إلى أولئك العلماء الذين يؤولون آية العذراء وولدها وكذلك آية العقيم للانتباه إلى صفات أم المستنسخ في حال توصلهم إلى إذن تزويده بالمعلومات وهو جنين . حتى تتولى رعايته وتربيته وتعمل على تثبيت وتطوير العلم الذى تزود به .

والمستنسخ المطلوب من الإنسانية الصالحة يجب أن يكون كمثل عيسى ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنَا جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ . والجبار هو الذى يُصلح بخبرة وعلم . فإن كان شقيًا تسلط وتكبر وسعى لتوجيه ما لديه من خبرة وعلم لبسط سلطته وجمع الثروات وتكديسها . فمن يتصف بالجبار الشقى تكون خبرته وعلمه مسخرين للتسلط وجمع الثروات ويلهيه تسلطه عن البر ولا ينتبه إليه حتى تتوقف حياته بالموت . وقد جاء في البلاغ بيان عن لهو هذا الشقى :

﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ / ١ / حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ / ٢ /﴾ التكاثر .

فإذا أرادوا اليوم وقبل وصولهم إلى إذن تزويد المستنسخ بالمعلومات فليكن عملهم محصورًا على حالات العقم كما فى مثل ولادة إسحق بانتظار اكتشاف أذن كسب المعلومات فى الحال الجنينى .

وإذا أخذ علماء الاستنساخ من التوجيه الإلهى هاديًا لهم فى مثل عيسى يمكنهم أن يخلقوا لونا بشريًا عيسويًا راقيا فى تكوينه الجسمى والنفسى . ويكون المستنسخ بعلمه وصلاحه وبره وبعده عن الشقاء قد فتح الباب لخلق إنسان جديد رحمانى عالى التطور . كما يلبي حاجة التوالد من دون فعل المس الذى يمكن التخلي عنه للمرحلة البشرية فى حياة الإنسان . وبه يكون الإنسان الجديد لا

تسوقه الدوافع البهيمية بسبب علمه وطهارته وصلاحه . وبه يتخلص من معظم وأخطر سلوكه ألوحشى الذى يتمثل بالشقاء . ويوجه أهتمامه إلى العلم الأصالح والارتقاء به إلى أقصى ما خوله الله فيه .

أما إذا طرح علماء الاستنساخ التوجيه الإلهى جانباً وسارت أعمالهم فى طريقها فهم قادرون على استنساخ بشر وتزويده بالعلم . ولكن قد يكون معظمه لحاجات الجبار الشقى حيث يتولد الشر والفساد . وإنسان عالى العلم من دون إيمان وصلاح قوته التدميرية كبيرة فى المجتمع البشرى والأرض على السواء .

لقد أعلمنا الله أن كسب العلم يحدث عن طريق السمع والبصر والفؤاد . وهى الوسائط الأساس للإدراك الحسى . وهذا يجرى من بعد الولادة مباشرة . وهو الوسيلة المألوفة عند الناس إلى يومنا هذا . ويؤكد الله ذلك فى النبأ : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٧٨ النحل .

وفى آية عيسى تبين لى أنه يمكن كسب العلم قبل الخروج من رحم الوالدة . وبعد الولادة تتابع وسائط الإدراك الحسى الكسب وتتقوى بالخبرة . إن تقدمنا العلمى يوصلنا اليوم وسنوصل فى المستقبل إلى العلم فى كيف بدأ الخلق ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَى﴾ . كما أن تقدمنا العلمى يجعلنا نتعرف على آية عيسى من خلال تأويلنا لها استناداً للنبأ :

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرْيَكُمُ عَآئِنُهُ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٣ النمل .

يقول ديتفورت :

[«فى هذا العالم لا يضيع أى شيء . ما من شيء حصل فى أى وقت من الأوقات إلا وترك بعد انقضائه آثاراً ما تدل عليه . والمطلوب هو فقط كشف وإيجاد هذه الآثار وتعلم طريقة قراءتها» . لقد «اكتشف العلماء فى السنين الأخيرة الآثار الأولى لتطور الحياة المبكر قبل ثلاثة ونصف مليار سنة . علاوة على ذلك فقد نجحوا فى أن يشتقوا من هذه الآثار المعلومات الأولى التى تبين كيف سارت الأمور فى هذه الخطوة الهامة

من التطور. إن الصدى الأول الذي بدأنا نسمعه بفضل هذه الدراسات الحديثة حول ذلك الماضي البعيد هو جدال عارم لا رحمة فيه. أما التكنيك الذي استخدمه العلماء للتقاط هذا الصدى فإنه مذهل لكن ما يبعث أكثر على الدهول هو المكان الذي اكتشف فيه هذا الأثر إنه الإنسان ذاته. كل منا وكذلك جميع الكائنات الحية الموجودة اليوم بدون استثناء يحمل في داخله آثار ما حصل على الأرض آنذاك قبل حوالي ٤ / مليار سنة»<sup>(١)</sup>.

الذى يوصفه «ديتفورت» جاء ليكشف عن مقدار تقدم العلم الإنساني. ومجال التقدم ما زال مفتوحاً ولا إغلاق له إلا بانهاء حياة الإنسان ذاته. وقد جاء ما وصفه «ديتفورت» فيما يضمه النبا ٩٣ النمل.

وكان «ديتفورت» قد قال قبل هذا الوصف أن:

[«على المتدينين أولاً أن لا ينزعجوا بمقدار شعرة واحدة إذا ما حصل التقدم العلمي ضمن الخليقة وإلا أين سيحصل؟ إذا كان الخالق الذي تتحدث عنه الأديان موجوداً فإن وجوده لا يمكن أن يتأثر بالمستوى الذي بلغته علوم الأحياء على الأرض في هذه اللحظة من التاريخ»]<sup>(٢)</sup>.

وهو محقّ فيما قاله عن موقف المتدينين الذين لا يعلمون أن علماء الأحياء يعبدون أمر الخالق ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾.

ولكن على «ديتفورت» أن يعلم أن البحث في «كيف بدأ الخلق» هو أمر من الخالق ذاته الذى أبلغنا فى النبا ٩٣ النمل عما جاء به العلم فى وصف «ديتفورت». كما أبلغنا أن علمنا بالنشأة الأولى حتمى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ الواقعة.

لقد توصل علماء الفيزياء وعلماء الأحياء إلى مسألة هامة وهى أنه يوجد فى الوجود (الطبيعة) علم وذاكرة (ذكاء) منذ البداية وقبل وجود ألفؤاد (الدماغ)

(١) تاريخ الشوء - ديتفورت/ ص ١٠٠-١٠١.

(٢) المرجع السابق.

الإنسانى. وهذا الأمر هو حق. إذ كيف أتفق للطاقات الأولية (الكواركات) أن تكون البروتونات والنيوترونات والإلكترونات؟!.. ثم كيف أتفق أن تكونت السورة (الدرة) والجزيئات؟

هذا فى عالم المادة المميتة.

ثم كيف أتفق للمادة المميتة أن تتحول إلى حية؟!..

كل هذه الأسئلة تبقى بلا جواب لدى جميع هؤلاء العلماء رغم أن ما توصلوا إليه حق وهو تأويل للنبي:

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ٥٠ طه.

فألله هو الذى أعطى الخلق لكل شيء وزوده بالهداية التى تمثل منهاجاً لفعل وسلوك هذا الشيء من دون أخطاء.

وعلى الرغم من توصل هؤلاء العلماء إلى العلم بهذا الحق فهم ما يزالون على قولهم أن «الطبيعة طوّرت وأنها كوّنت وأنها اصطفت وهكذا..».

وهم يتوقفون عن متابعة القول عن الوسيلة التى جعلت «الطبيعة» بهذه القدرة على التطوير والتكيف والاصطفاء.

وفى ذات الوقت يحيلون كل هذا «الذكاء» إلى «الطبيعة» من دون التصديق بالفعل الإلهى الذى جاء بحوثهم وأقوالهم مصدقة له.

ويقولون أن «الطبيعة» التى تملك كل هذا «الذكاء» لا يلزمها خالق!

وهذا يدل على غفلة يولدها جهل فى الحق. وهذا ليس من علم كامل.

وقد جاء فى البلاغ عن أصحاب هذه الغفلة الجاهلة:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ٧ آل عمران.

أما العلماء الذين يصدقون النبأ فقد جاء عنهم البلاغ التالى:

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

٧ آل عمران.

وعن الذين يتبعون الآية التى جاء بها عيسى بن مريم ومنهم الراسخون فى العلم جاء فى النبيا:

﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ ٥٥ ءال عمران.

والإتباع لا يكون إلا لمنهاج. وهذا المنهاج جاء فى البلاغ التالى:

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ / ٤٩ / وَمَصَدَقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا / ٥٠ /﴾ ءال عمران.

وما أجد فى هذا البلاغ أن منهاج عيسى هو من عند الله. وهو موجه للاهتمام بالخلق (التصميم) والتسوية (التنفيذ الدقيق) وعلوم الطب (بما فى ذلك إخراج الموتى) وعلم التغذية (بما فى ذلك السماح بما كان ممنوعاً من بعد الكشف عن أسباب المنع والتغلب العلمى عليه) وعلوم الاقتصاد.

كما يبين أن تصديق واتباع المنهاج يأتى من الصراط المستقيم الذى بيّنه قول عيسى:

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ ٥١ ءال عمران.

أى وجهوا أتباعكم لهذا المنهاج وفق أوامر الله وحده من دون غيره.

وأجد اليوم شعوباً تقدمت فى مجالات الخلق والتسوية والطب والتغذية والاقتصاد. وهى بتقديمها هذا تتبع منهاج عيسى ولكن من دون تصديق. وهذه الشعوب ما زالت تسير وفق منهاج الذين «فى قلوبهم زيغ».

أما الشعوب التى لم تتبع منهاج عيسى فلا خلق لديها ولا تسوية ولا علوم طب ولا علوم تغذية ولا علوم اقتصاد فهى شعوب كفرت بمنهاج عيسى وقد جاء عنها فى البلاغ:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَعَدْتُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ٥٦ آل عمران.

وعذابهم في الدنيا يأتي بسبب تفوق الذين أتبعوا منهاج عيسى على الذين كفروا ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

وهذا العذاب يستمر إلى يوم القيامة ليبدأ عذاب شديد جديد هو عذاب الآخرة.

## كسب المعلومات

يختلط عملي المتعلق بكسب المعلومات مع بحث الاستنساخ ويقترن بأيات يجرى تأويلها بأعمال الاستنساخ. ولكن يوجد في كتاب الله (القرءان) أنباء أخرى عن الوسائل المختلفة التي كانت متسلسلة في كسب الإنسان للمعلومات. ابتداءً من آدم الذي يمثل الإنسان الأول.

وما وجدته أن كسب المعلومات ابتداءً بعد التسوية مباشرة كما يبين النبأ التالي :

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِیْنٍ / ٧٣ / فَاِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِیْ فَقَعُوْا لَهٗ سٰجِدِیْنَ / ٧٤ /﴾ ص.

«فإذا سويته» أي أكملت تنفيذ الخلق للبشر من دون نقص. و«نفخت فيه من روحي» فصار بالروح قادرًا على كسب المعلومات وحفظها واستخدامها في التأويل. وهو إعادة النظرية إلى أصلها في الوجود وتصديقها.

لقد كان البشر قبل «ونفخت فيه من روحي» يسلك في الحياة وفق هداية ملهمة في نفسه (فجور تقوى) تحكم وتوجه سلوكه تلقائيًا. أمّا من بعدها فصار قلبه يتلقى المعلومات ويقلبها ويعقل بين المفاهيم ويكشف عن التناقض فيها ويجري المطابقة ثم يصدر الحكم الذي يوجه سلوكه.

وهذه العملية لا تحدث وتكتمل عند الإنسان الأول دفعة واحدة بعد «ونفخت فيه من روحي» من دون تعلّم الخوض والخبرة فيه. وهو ما قام به خبراء مهديون (ملائكة). فالإنسان الأول لم يكتشف المحراث ولم يحرث التربة

ولا زرع الحبوب ولا قام بحصادها ولا قام بتأهيل الدواب والطيور ولا بصنع الطين والفخار ولا باستخراج المعادن وصهرها ولا بغزل الخيوط ولا بنسجها ولا باستنساخ النبات بمفرده. وكل ذلك جرى بمرافقة خبراء ملائكة. ومثله حدث مع نطق الكلام وخطه حيث أقترن مع كل كلمة صوت وخط.

لقد استمر هذا العمل التعليمي منذ «ونفخت فيه من روحي» وحتى الرسول والأنبياء نوح. الذي كان أول إنسان يُسند إليه عمل المعلم للبشر.

لم يستطع قوم نوح التصديق أن نوح رسول الله إليهم بسبب تعودهم على رسل من الملائكة. وقد جاء موقفهم من الرسول نوح في قولهم:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ ٢٤ المؤمنون.

كان نوح أول متلق للمعلومات النظرية عن طريق الوحي كما يبين البلاغ:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ١٦٣ النساء.

فكسب المعلومات عن طريق الوحي بدأ مع نوح.

أما من قبله فكان كسب المعلومات يحدث بتعليم مباشر تقوم به الملائكة التي تشبه الروبوت.

لقد وصل الإنسان في أيام نوح إلى كسب المعلومات بالخوض المباشر المتكرر والخبرة فيه. وصار مخزونه المكتسب يكفيه للتزود بالمعلومات ويعينه في الخوض والخبرة من دون معلم. وقلت حاجة الإنسان إلى ملائكة تدريبه. وصار الوحي (وهو إدخال معلومة إلى القلب بأمر من الله من دون المرور بالسمع والبصر) هو السبيل الجديد لكسب العلم في الخوض والخبرة إلى جانب مراقبة من قبل ملائكة وتقديم العون عند الحاجة. ومثل ذلك نجده في النبأ التالي:

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾ ٢٧ المؤمنون.

صنع الفلك لم يكن من المعلومات التي اكتسبها الإنسان عن طريق الملائكة من قبل نوح. وهذا يستدعي العمل تحت رقابة بيتها النبأ «بأعيننا ووحينا».



أَيَّ أَنَّ الْمَعْلُومَاتِ النَّظَرِيَّةِ الْمَتَعَلِّقَةِ بِخُطَّةِ بِنَاءِ الْفَلَكِ وَرَدَتْ إِلَى قَلْبِ نُوحٍ بِفَعْلِ الْوَحْيِ وَهُوَ يَقُومُ بِصَنْعِهِ بِإِشْرَافِ خَبْرَاءَ مَلَائِكَةِ رَافِقُوهُ فِي صَنْعِهِ .

ثُمَّ نَجِدُ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ أَسْلُوبًا جَدِيدًا لِكَسْبِ الْمَعْلُومَاتِ وَهُوَ الْوَحْيُ عَلَى هَيْئَةِ رُؤْيَا أَثْنَاءِ النَّوْمِ (رُؤْيَا إِبْرَاهِيمَ وَرُؤْيَا يُوسُفَ) وَهِيَ وَسِيلَةٌ لِتَوْرِيدِ مَعْلُومَةٍ إِلَى قَلْبِ الْإِنْسَانِ تَجْعَلُهُ يَسْتَنْبِطُ مَعْلُومَاتٍ وَيَتَنَبَّأُ بِأَحْدَاثٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ثُمَّ يَأْتِي الْوَحْدُ لَاحِقًا لِيَصْدُقَ الرُّؤْيَا وَيُؤَوَّلَهَا .

وَحْدُثٌ مَعَ مُوسَى تَقْدِمُ كَبِيرٌ فِي «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» فَقَدْ تَطَوَّرَتْ قُدْرَةُ الْإِنْسَانِ عَلَى أَكْتِسَابِ الْمَعْلُومَاتِ عَنْ طَرِيقِ السَّمْعِ بِوَسِيلَةِ الْخُطَابِ الْمُبَاشَرِ كَمَا فِي الْمَحَاضِرَةِ أَوْ الْمَعْلُومَةِ الْوَارِدَةِ عَنِ الرَّادِيُو . ثُمَّ يَتَعَوَّدُ عَلَى حِفْظِ الْمَعْلُومَةِ فِي ذَاكِرَتِهِ وَيَتَدَرَّبُ عَلَى إِعَادَتِهَا . وَقَدْ جَاءَ فِي الْبَلَاغِ مَا يَبِينُ ذَلِكَ :

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ١٦٤ النِّسَاءُ .

وَتَابِعَ الْإِنْسَانُ أَكْتِسَابَهُ الْمَعْلُومَاتِ بِالْوَحْيِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى آيَةِ عِيسَى فَوَجَدَ أَنَّ الْمَعْلُومَاتِ الْإِبْدَاعِيَّةِ فِي الْخَلْقِ وَتَسْوِيَّتِهِ وَالطَّبِّ وَعِلْمِ التَّغْذِيَةِ وَعِلْمِ الْاِقْتِصَادِ قَدْ تَمَّ إِدْخَالُهَا إِلَى قَلْبِهِ وَهُوَ جَنِينٌ . مَعَ اقْتِرَانِ تِلْكَ الْمَعْلُومَاتِ النَّظَرِيَّةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ بِخُبْرَةِ تَسْوِيَةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ .

وَبِالْوَصُولِ إِلَى الْوَحْيِ الْأَخِيرِ وَالْمَكْمَلِ الَّذِي جَاءَ فِي الْقُرْآنِ نَجِدُ أَنْبَاءَ لَا نَعْلَمُهَا إِلَّا بَعْدَ حِينٍ . وَاقْتَرَنَ ذَلِكَ بِأَوَامِرٍ مِنَ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ الَّذِي يَصَدِّقُ وَيَعْمَلُ وَفْقَ الْأَمْرِ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ .

الرَّجُلُ الَّذِي جَاءَهُ هَذَا الْوَحْيُ الْمَكْمَلُ عَلَى هَيْئَةِ أَنْبَاءٍ نَظَرِيَّةٍ وَبِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ هُوَ رَجُلٌ فِي الْأَرْبَعِينَ مِنَ الْعُمُرِ وَلَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ أَكْتَسَبَ عِلْمًا نَظَرِيًّا مِنْ قَبْلِ . وَقَدْ بَيَّنَ الْبَلَاغُ حَالَهُ الْعِلْمِيَّ :

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٥٢ الشُّورَى .

الروح هو المادة العلمية التي دلَّ عليها «أوحينا إليك». وما أوحى هو كتاب الله «القرآن». وهو روح القدس وفيه المنهاج الكامل للعلم وأنباء عن عدّة التكوين وجريّ تسوية الخلق. ومنها ما يمكن للإنسان أن يعلم بها علماً مباشراً. وهي التي تبدأ من الفجر وتنتهي بتكوين الشمس.

ومع الأنبياء المتعلقة بتسوية الخلق لحياتنا الدنيا ومكانها في المجموعة الشمسية أتت أنباء عن الحياة الآخرة. وفي هذه الأنبياء كل العلم الذي يمكن للإنسان أن يحصل عليه ومقداره هو ﴿وَمَا أَوْتِيْتُهُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾.

هذه الأنبياء حملت معها جميع الأقوال النظرية التي يتوصل إليها نظر وبحث الإنسان. وهو لا يقدر على الخروج عنها لأنها جميع الحق الذي يمكن للإنسان أن يمدّ يده إليه.

أما مسألة التصديق لهذه الأنبياء فإنها تسوق الإنسان العالم إلى اليقين. لأن ما جاءه من علم منزل من عند الله تطابق مع ما رأى بنظره وبحثه في الحق. وبالتصديق يسقط الغرور والتكبر والشقاء لديه. ويحلّ البرّ والصلاح مكانها.

وهذا المنهاج قد لُقم به قلب رجل ليس لديه بناء علمي يؤسس معلومات من هذا القبيل. والبلاغ التالي يبين ذلك:

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّوْا يَمِيْنِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾  
٤٨ العنكبوت.

آية الرسول محمد هي في إدخال منهاج كامل للمعلومات إلى قلبه. وهو الذي لا يتلو ولا يخط كتاباً وقد بلغ الأربعين من العمر.

رجل في الأربعين وفي مثل هذه الصفة العلمية لا يمكن جعله يكسب معلومات علمية ويخزنها في ذاكرته إلا بجهود صعبة منه ومن الذي يعلمه حتى في يومنا نحن. أما آيته فيمكن تأويلها بعد الكشف عن الأذون الإلهية التي تمكننا من إدخال المعلومات إلى قلب الإنسان الذي اجتاز سنّ التعلم.

لم يقتصر النبأ في القرآن على حصر كسب المعلومات بالإنسان وحده. بل يبين النبأ وجود أذن لنقل المعلومات إلى كائنات حية أخرى:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىٰهَا النَّاسُ عُلِمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ / ١٦ / وَخَيْرَ لِّسُلَيْمَنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ / ١٧ / حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَىٰهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ / ١٨ / فَلَبَسَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ / ١٩ / وَتَقَفَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفُكَايِينِ / ٢٠ / لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ / ٢١ / فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ حُطِّ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ / ٢٢ / إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ / ٢٣ / وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ / ٢٤ / أَلَّا سَجْدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ / ٢٥ / اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ / ٢٦ / قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ / ٢٧ / أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ / ٢٨ /﴾ النمل.

النبأ في هذه الآيات يبين أن العلم يمكن نقله إلى الكائنات الأخرى. وما أثاره طائر الهدد يبين معرفته بوحداية الله وبقدرته. وقد أظهر بعلمه وبمعرفته شرك ملكة سبأ وقومها. وقد جاء ذلك مع بيان لسبب غيابه. كما أن تكليف سليمان للهدد بحمل كتاب ونقله إلى ملكة سبأ وانتظار الجواب يبين خبرة هذا الطائر وعلمه.

\*\*\*

إن ترتيب البلاغات والأنباء الواردة في مقالنا هذا وفي مقالنا «الاستنساخ» أظهر أنها تصدق علم الاستنساخ وأن علم الاستنساخ هو الآخر يصدقها.

وقد وجدت في علم الاستنساخ تصديقاً لولادة إسحق ولولادة عيسى .  
كما استنبطت من هذا الترتيل ما يبين الأذون الإلهية التي تتعلق بكسب المعلومات بدءاً من التعليم الحسى وحتى آية الرسول محمد . وفيها بيان عن كسب المعلومات النظرية الكاملة بوسيلة التلقين وقرنها بخبرة خوض وتسوية كما جرى مع آية عيسى .

لقد ضمّ كتاب الله القراءان مسألة كسب المعلومات . وبين حرية حاملها لتحويلها إلى خبرة خوض وتسوية تعتمد على تقديس نفسه (تعقيمها وتطهيرها) من كل موروث .

ولقد أظهر الله لنا أن المعلومات الكاملة هي نور نهتدى به . ووعظنا بالحاجة إلى البحث العلمي من دون توقف حتى قيام الساعة ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ . وبدء الخلق لا يقتصر على خلق الإنسان وحده . بل جميع ألوان الخلق وصيرورتها سواء كان في الميّت أم في الحي .

علم الاستنساخ هو بداية لطور جديد من كسب الإنسان للعلم . وعليه أن يتابع حتى يوصل إلى المرحلة التي يبدأ فيها نقل المعلومات إلى قلب الإنسان وهو جنين أو إلى قلب جاهل .

والإنسان العالم الذي يتبع منهاج عيسى إذا اهتدى بكتاب الله (القراءان) يمكنه أن يتقدم في العلم والتعرف على إذون الله في الوجود إلى ما لا نهاية من دون فساد في الأرض كما وعظ الله :

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ٥٦ الأعراف .

﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ٦٠ البقرة ٨٥ هود .

كما أنه يوقف التبذير ويحقق وفورات عظيمة كما يظهر له الألبلاغ :

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَنْفَقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٩٦ الأعراف .

فالذين يكذبون بالإيمان والتقوى لصالح شهواتهم بزيادة أموالهم وأملاكهم وأولادهم يدمرهم تكذيبهم. وهنا تظهر أهمية قول عيسى عن نفسه ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

الإيمان هو تصديق الأنبياء الواردة في كتاب الله (القرآن) والعمل على متابعة تأويلها بالنظر والبحث في آيات الوجود.

أما التقوى فهي في اتباع الموعظة والطاعة لأمر الله من دون غيره. وفي ولادة عيسى آية من الله للناس المثل عن المؤمن المتقى المطلوب من الإنسانية أن تحقق وجوده في حياتها مقترناً وجوده بالتصديق لكتاب الله الكامل (القرآن).

## يوسف وإخوته

تناولت مسألة التكوين في كتاب «الدين خرافة أم علم؟» مستنداً في ذلك إلى  
الْبلاغ في كتاب الله (القرآن) ومنه / ٤ / يوسف وفيه عدد كواكب المجموعة  
الشمسية وأصلها الشمسي. مع بيان سلطة واحد من الكواكب على كامل  
المجموعة. وقد ورد ذلك في رؤيا يوسف:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ إِني رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي  
سَاجِدِينَ﴾ ٤ يوسف.

سجد تدلّ على خضوع من دون تمرد.

هذه الرؤيا حملت تأويلين:

الأول هو فيما أراه في البلاغ التالي:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ  
جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا...﴾ ١٠٠ يوسف.

وفيه بيان سلطته في المجتمع تفسيراً لما رأى في نومه وهو صغير وقد  
تحققت الرؤيا. وعلاقته الحسنة مع والديه.

والتأويل الثاني يتعلق بسلطة يوسف (إنسان الأرض العالم المصطفى الذي  
تعلم تأويل الأحاديث) على جميع المجموعة الشمسية التي نحيا فيها (والديه  
الشمس والقمر وإخوته الكواكب).

ومن المسائل التي أرى بيان الرأي فيها هو دليل أسم النبي والرسول . فدليل أسم يوسف من دليل الفعل وسف الذي يدل على (أخصب وجدد وبدل وأخرج). وهذه صفة للإنسان العالم الذي يتجدد بعلمه ويكنس عنه ما هو قديم ويبدله بمفاهيم جديدة فيزداد بقوته وقدراته العلمية المتجددة من دون توقف .

وجاء البيان عن ذلك في البلاغ التالي :

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ ٦ يوسف .

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ يبين أنّ الإنسان العالم يستطيع أن يرى أنّ النبأ بلاغ عن الحق . ويحدث ذلك بعقل ما وصل إليه نظره مع ما جاء في النبأ ليوصل إلى تطابقهما وهو عين التأويل . وبه تتحرك مفاهيمه وتتجدد لتتطابق الحق .

هذا الإنسان العالم يسعى لبسط سلطته على ثروات الأرض حتى يوجهها في الوجهة التي تخدم مآربه العلمي . وقد جاء في البلاغ عن يوسف وطلبه الموجه إلى الملك لإحكام تلك السلطة على الثروات :

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾ ٥٥ يوسف .

وهكذا أجد أنّ يوسف الذي يعلم من تأويل الأحاديث يسعى للسلطة على مصادر الثروة ليحفظها بعلم وخبرة حصل عليهما من الله ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ .

وقد مكّن الله يوسف من السلطة كما يبين البلاغ :

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ٥٦ يوسف .

وتمكنه ينطلق من إتباعه منهاج الله الذي يستند إلى سنة الأصطفاء وتقدم وتفوق العالم على الجاهل :

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ٣٣ آل

عمران .

الأصطفاء يقوم على التفوق والصلاح . وأول مصطفى هو آدم . وهو أول

بشر صار إنساناً بسبب تفوقه على البشر الذين نفروا من التعليم والخبرة المباشرة التي جاء بها الملائكة. وقد تركهم نفورهم في مملكة البشر البهيم. وسار التطور بالإنسان آدم المصطفى وتكاثر الذين أشركوا في هذا الاصطفاء إلى أطوار أعلى من الإنسانية.

وثاني اصطفاء هو اصطفاء نوح ومن معه. فهم أول اصطفاء في مسيرة الإنسانية من بعد آدم أول اصطفاء في الطور البشري. وأرى في البلاغ أن نوحاً المصطفى جاء بمعلومات لقومه فلم تصدقه الأكثرية:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا / ٥ / فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا / ٦ / وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِيْءَ إِذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا / ٧ / ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا / ٨ / ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا / ٩ /﴾ نوح.

الجهل هو سبب الفِرِّ والامتناع عن السمع لما يدعوهم إليه نوح. وبسبب الجهل نشأ في نفوس الأكثرية من قومه موقف التكبر وعدم التصديق. وهذا جعل نوحاً يتخلى عن قومه الجاهلين ويتقدم في الحياة بفعل سنة الاصطفاء التي أمتلك العلم بها ومعه الذين صدقوه. وأنقرض الذين كذبوا واستكبروا من قومه.

أما طور الاصطفاء الثالث فهو طور اصطفاء إبراهيم السائل الناظر:

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ٨٨ الصافات.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِمُوا إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾ الأنعام.

إبراهيم هو من سأل وطلب منهاجا يجعله يرى فسار ينظر وأطال نظره وصولاً إلى أطمثان:



﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمَّا تُوْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّا يَظُنُّمَنِ قَلِيلًا ۖ﴾ ٢٦٠ البقرة.

ومثل إبراهيم هم الذين يسألون ويطورون قدرة قلوبهم على الرؤية والنظر ويسIRON ناظرين فى كل وقت. وهؤلاء هم «آل إبراهيم»<sup>(١)</sup> وهو ما يدل عليه اسم «آل» واسم «تأويل» والفعل «آل». فهم سلسلة من جميع الذين يواصلون السؤال ويتابعون النظر فى آيات الوجود طلباً للعلم كيف خلقت. وهم الذين يتوصلون مطمئنين إلى وضع النظريات العلمية التى تفسر وتبين كيف بدأ الخلق وفى جميع فروع العلم.

إن كلمة «آل» لا تدل على مفهوم النسب كما يظن جماعة اللغة الفصحى. بل تدل على مفهوم التأويل الذى تعلمه يوسف من الله.

إبراهيم وآل إبراهيم هم الطور الثالث للإنسان الذى ارتقى عن أصل بشرى. ومن لا يسير على طريق هؤلاء يبقى فى دائرة التخلف والمتخلفين.

ويلى آل إبراهيم طور رابع هو طور آل عمران. وهم الذين يصدقون آل إبراهيم ويجعلون من نظرياتهم عمراً تسوية وصناعة.

فى هذه الأطار الأربعة يفعل الأصطفاء الذى يخرج منه يوسف الذى تمكن فى الأرض وثوراتها.

ويبين لنا الله أن هؤلاء يتوجه حرصهم على التزواج حفاظاً على اللون المصطفى:

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٣٤ آل عمران.

فهم يحافظون على متابعة ستة الأصطفاء فلا يتزوجون مع الذين يتمسكون بالعوامل المحبطة لفعل الأصطفاء<sup>(٢)</sup>.

(١) كتابنا الدين خرافة أم علم - بحث الإيمان والمؤمن.

(٢) راجع بحث زواج المؤمنين - كتابنا الدين خرافة أم علم.

وبيّن لنا البلاغ أن ستة الاصطفاء يجرى فعلها على هذه الذرية:  
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ  
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ٢٦ الحديد.

وهذا يدل على أن ستة الاصطفاء لا يتوقف فعلها وهو يجرى داخل دائرة  
المصطفين. وجريه غير محصور بفئة محددة أو طور محدد بل يستمر جريه في  
حياة الناس حتى آخر يوم من حياتهم.

إن فهم كتاب الله (القرآن) لا يحصر في دائرة التكبر والنفور من المعلومات  
الجديدة. فأيات الله يجب عقلها مع ما يخرج به النظر والبحث العلمي. سواء  
ءكان ذلك في دائرة آال إبراهيم (السؤال وتطوير الرؤية والنظر) أم في دائرة آال  
عمرن (التسوية والصناعة).

السؤال والرؤية والنظر والبحث والتسوية والصناعة كلها تكشف عن أذن  
(قوانين) الحدث. والإنسان العالم يتوصل إلى الكشف عن إذن جميع الآيات.  
وقد جاء بيان ذلك في البلاغ:

﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾ ٥٣  
فصلت.

ولقد أبلغنا الله أن في يوسف وإخوته آيات للسائلين:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلْسَّالِينَ﴾ ٧ يوسف.

والسائلون هم الذين يطلبون العلم فيسيرون ينظرون ويبحثون فيه حتى إدراك  
الحق. وفي يوسف وإخوته مسائل كثيرة للنظر والبحث. حيث يمثل يوسف  
وإخوته جميع الكواكب التابعة لشمسنا كما أرى في تأويلي الثاني. وفي هذه  
الكواكب الكثير من الآيات التي تنتظر النظر والبحث.

وينطلق السائلون المطورون لرؤيتهم لينفذوا في أرجاء المجموعة الشمسية  
سعيًا وراء الأجواب على أسئلة كثيرة ومنها البحث عن حياة خارج الأرض.

ومآ أره في البلاغ وبأويلي الثاني لرؤيا يوسف أنه يتعلق بسلطة يوسف

(إنسان الأرض العالم المصطفى الذى تعلّم تأويل الأحاديث) على جميع المجموعة الشمسية التى نحيا فيها (والديه الشمس والقمر وإخوته الكواكب). وأرى أنه هو المثل على الذين ينفذون فى أرجاء المجموعة الشمسية بحثًا عن جواب على كل سؤال. وقد بين لنا البلاغ أنه لا يوجد فى الكواكب الأخرى يوسف آخر:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ ٥٨ يوسف.

وفيه بيان أن إخوة يوسف (أحد عشر كوكبًا) لا تملك قدرة التعرف على يوسف (الأرض). وإنسان الأرض يوسف وحده القادر على معرفة إخوته.

ومآ استنبطه من البلاغ أن يوسف هو مستكشف إخوته بحثًا عن الحياة فيها. ويعلم أن عشرة من الكواكب الإخوة لا حياة فيها ولا تملك قدرة على الحياة.

أما الكوكب الحادى عشر فىرى يوسف أن فيه قدرة على توليد الحياة تنتظر تحريرها فيبدأ فى أستخراجها:

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ ٧٦ يوسف.

يبدأ يوسف بحثه فى أوعية إخوته العشرة فلا يجد فيها ما يبحث عنه.

ويبين لنا البلاغ أن ما يبحث يوسف عنه هو الماء:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِمِجَاهِزِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ ٧٠ يوسف.

أستند فى استنباط هذا الأمر على القول ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾. فالسقاية هى شئ يُصب به الماء أو غيره ليطفى ظمأ أو حريقًا أو ليرد سطحًا أو يسقى زرعًا.

والشئ المصبوب يوجهه يوسف إلى رحل أخيه الحادى عشر.

والرحل هو شئ يتحرك ومنه أسم رحلة. أما رحل الكوكب فهو غلافه الجوى وفيه جعل يوسف السقاية ومنه أستخرج الماء ﴿ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾.

والسقاية التى وضعها فى رحل أخيه بينها البلاغ أنها:

﴿صُورًا لِّلْمَلِكِ﴾ ٧٢ يوسف .

والصُّور هو التمهيد والتهيه لتفريق أشياء عن بعضها . وهو ما يمكن فعله في رحل كوكب الزهرة (غلافها الجوى) لتفريق الماء عن الكبريت .

بهذا الاستنباط أكون قد رأيت الهداية في إصلاح كوكب الزهرة وجعله أرضًا صالحة لحياتنا . وبه أعلم أنَّ السقاية هي ذلك الصُّور وقد يكون مآات الصوديوم أو غيره .

وأذكر بصفات ومحاسن يوسف التي وردت في العهد القديم وفي القرآن وحتى في القصص الشعبية .

جاء في سفر التكوين أنَّ أباه «صنع له قميصًا ملونًا» .

وجاء في القصص الشعبية المثل «حلَّة ولا حلَّة يوسف» . وهو قول يبين أنَّه لا قميص كقميصه . وأن جمال وجهه لا مثيل له .

وجاء في القرآن وصف ليوسف على لسان «نِسوة في المدينة» :

﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ٣١ يوسف .

وعندما أنطلق الإنسان إلى الفضاء نظر إلى كوكب الأرض فرأى قميص يوسف الملون الذي لا مثيل له .

لقد رأى الأرض أجمل ما يمكن أن يره من الفضاء . «إنها كوكب لامع تصدر عنه ألوان لا يمكن تمثيلها بواسطة الأصبغة المعروفة للإنسان» .

كما أستنبط من القصة الكاملة في سورة يوسف حلا سليمًا للنفايات الشريرة التي تخلفها حاجتنا للتقدم العلمي :

﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ٧٧ يوسف .

وهو قول موجه لإخوته العشرة يبين أنهم مكان للشر .

وفي هذا هداية لنا إلى المكان الذي نرمي فيه النفايات الشريرة التي تفسد في الأرض . حيث أنَّ عشر كواكب لا تصلح لحياة .

وأرى أنّ الإنسان قد بدأ حياته على أرض أخرى تحولت إلى الموت. كان على كوكب المريخ قبل أن يأتى إلى هذه الأرض. ومن أرضه الأولى توجه بنفاياته النووية إلى الكواكب القريبة ومنها أرض اليوم. حيث تم اكتشاف نفايات مشعة فى الكابون أعتبرت «نفايات نووية طبيعية»<sup>(١)</sup>. ثم تحول إلى المشتري الذى كان مريخاً. وتابع رمى النفايات على سطحه.

وهذا ما أرى فيه تفسير زيادة النشاط الإشعاعى على المشتري اليوم وتكوّن أحزمة إشعاع قوية «تحيط بكوكب المشتري. وتشكل عواصف من الجسيمات العالية الطاقة»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) «نفايات نووية طبيعية» (م.ع.أ. مجلد ١٤ / العددان ٧/٦ - ١٩٩٨).

(٢) «مهمة أوليس» (م.ع.أ. المجلد ١٤ / العددان ٩/٨ - ١٩٩٨).

## النشأة الأولى

قصة النشوء من الأسئلة التي سعى الإنسان في كل وقت وما زال يسعى بحثاً عن جواب فيها.

وجميع الناظرين يقولون أنه كانت توجد بداية. ولهم في ذلك نظريات متعددة. وقد رأى أكثرهم في نظرية الانفجار الأعظم the big-bang تلك البداية. وعلى الرغم من التقدم الكبير الذي تحقق اليوم في صناعة الطيران في الفضاء وصناعة المناظير المقربة فما زال الغموض يلف المسألة. وما زالت مسألة نشوء المجموعة الشمسية التي نحيا فيها ونجرى بحوثنا على الأشياء فيها مجهولة. فكيف بالكون الفسيح الذي لم نستطع القيام بأي بحث مباشر على أي جزء منه؟ يقول «هويمارفون ديتفورت»:

[يوجد اليوم أكثر من ٣٠ (ثلاثين!) نظرية مختلفة تحاول جميعها الإجابة على هذا السؤال<sup>(١)</sup>].

والسؤال هو كيف نشأ الكون؟

ونتابع مع «ديتفورت» في قوله:

[إن العدد وحده يعتبر بوضوح عن حالة الضياع. يعود السبب في تضخيم العدد إلى أن كل نظرية تحاول تفسير خاصية معينة من خصائص المنظومة. غير أن ما ينتج في

---

(١) تاريخ النشوء.

النهاية يناقض خاصية ما من الخصائص الأخرى. بغية تفسير هذا التناقض تنشأ نظرية جديدة، وهكذا. لكن ما من واحدة من هذه المحاولات العديدة تمكنت حتى الآن من تقديم تفسير مقنع لكامل المسألة<sup>(١)</sup>.

هناك محاولات نظرية حتى الآن. ولو تابعنا النظر في جميع النظريات التي حملت محاولات بعض العلماء لتقديم تفسير في هذا الأمر لوجدنا أنها تقوم على مفاهيم لا تخرج عن الخيال أو الظن.

وما نعرفه في العلم أن النظرية تملك القدرة على الانتقال إلى الحق إذا كانت أسس هذه النظرية من الحق.

معظم علماء الكوسمولوجيا والبيولوجيا والفيزياء والكيمياء ينطلقون في بحوثهم من أشياء الوجود. وهم يقدمون للإنسانية كل أسس التقدم في العلم. ومع ذلك عندما يتناولون مسألة كبرى كمسألة النشوء تتغير أساليب القول في البحث العلمي وتستبدل بأساليب أخرى يغلب عليها الخيال والظن. وتجد أفكارهم التي تنسج نظريات النشوء لا تتبہ لأبسط أسس العلم.

ومن وجهة الإيمان فإن معظم هؤلاء العلماء يؤمنون بالله. ومع ذلك لم يسأل أى منهم الله كيف وجد هذا الكون! وتجدهم وقد اتخذوا موقف «الذين في قلوبهم زيغ». ولو أنهم وجهوا نظرهم في هذه المسألة إلى بيان الله لكانت نظرية النشوء قد بدأت أسسها تظهر لهم. فالله هو الخالق وهو أولى من الجميع في وضع النظرية التكوينية لخلقه.

هؤلاء العلماء رغم وسائلهم العلمية لا يزالون حتى اليوم يقولون بعشرة كواكب حول الشمس. في حين يبين نأ من الله أن الشمس والددة وأولادها إثنا عشر كوكبًا. وأن أعمار الكواكب ليست واحدة.

لم يؤمن الإنسان العالم بعشرة كواكب إلا من فترة قصيرة. بل إنه أخرج عام

(١) المرجع السابق.

١٩٧٢ مركبة فضائية «يونيور ١٠» في رحلة خارج المجموعة الشمسية وقد حملت معها معلومة عن عدد الكواكب في المجموعة على أنها تسعة.

وحتى مطلع الستينات كان إيمان العلماء بسبعة كواكب. ولم يكن أحد من العلماء قد أهتم بالنبي الإلهي حتى الآن.

فما هي الأنباء الإلهية المتعلقة بهذه المسألة؟

إن مقالاتي السابقة في هذا الكتاب أكثرها يرتبط بالمسألة. ومع ذلك رأيت أن المسألة تحتاج لبسط أكبر استناداً للبلاغ في كتاب الله. كما رأيت أن التثنية الأولى اعتمدت على الإرادة والفعل الإلهيين.

وأبدأ مع وضع المخططات. فقد جاء في البلاغ أن الله:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ١ الأنعام.

وهذا الخلق لا سابق له:

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ١١٧ البقرة.

ويبين لنا البلاغ أن التسوية لهذا الخلق (التصميم) استندت إلى الإرادة الإلهية للشئ. ووسيلة تكوينه تجرى بقوة الفعل «كن». وعن هذا الأمر جاء في البلاغ:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٨٢ يس.

وعن الأمر ببدء التشيؤ ووسيلته:

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ١ فاطر.

ولما كانت الإرادة الإلهية تتوجه إلى تكوين محدد لا لعب فيه يظهره البلاغ:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ ١٦ الأنبياء.

فقد اقترن هذا الخلق وتسويته بمنهاج لا يتبدل يحكم التسوية:

﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ ٢٧ الكهف.

ولما كانت تسوية هذا الخلق يلزمها زمان ومكان كان الوجود يقترن ببداية ونهاية بينهما البلاغ:



﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ ٢٧ الروم.

فتسوية الخلق تبدأ وتعبر في الزمان بأطوار متعددة. ثم يعود الخلق إلى البداية. وهذا كله من قدرتنا العلم به كما يبين لنا البلاغ:

﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ الواقعة.

فعلمنا بالنشأة الأولى حق واقع يبينه اقتران النبي بالتحقق (لقد) والفعل الماضي (علمتم). وهذا يشير إلى حتمية علمنا. ويحدث علمنا بطاعتنا الأمر الإلهي ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾.

لقد بين البلاغ أن تسوية الخلق تنطلق من «الفجر»:

﴿وَالْفَجْرِ / ١ / وَلَيَالٍ عَشْرٍ / ٢ / وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ / ٣ / وَالْأَيْلِ إِذَا يَسِرَ / ٤ /﴾ الفجر.

هذه البداية يلفها ظلام «ليال عشر» كما يبين البلاغ. ولقد اكتشف علماء الفيزياء الكونية مادة مظلمة لا تصدر ضوءاً أو أي شعاع كهرمغناطيسي آخر.

لقد صنع في مختبر الفيزياء الأوروبي لفيزياء الجسيمات في عام ١٩٥٥ سور (ذرات) هيدروجين مضادة عن طريق جمع البوزيترونات والبروتونات المضادة في مسرع للجسيمات.<sup>(١)</sup> وإلى يومنا هذا ما زالت المادة المظلمة من أعظم أسرار الفيزياء الفلكية. إلا أن هذه الفيزياء اكتشفت في المسرعات أن اصطدام جسيم بمضاده يفنيهما وتنطلق أشعة جاما عالية الطاقة.

الفيزياء الفلكية تتوقف اليوم أمام هذه المسألة. وهي لم تدخل إليها بعد. ولم تستطع القول عن هذه المسألة شيئاً كاملاً مؤكداً حتى الآن. إلا أن تصنيعها لسورة الهيدروجين المضادة في المسرع هو بداية عظيمة وفيها تأويل للنبي التالي:

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩ الذاريات.

الهيدروجين زوجة هيدروجين مضاد. وأشعة جاما العالية التي انطلقت على أثر اصطدام جسيم بمضاده ألا تقابلها أشعة جاما الزوج (المضادة)؟

(١) «المادة المضادة الكونية» - مجلة العلوم الأمريكية - مجلد ١٤ / العددان ٩ / ٨ - ١٩٩٨.

الفيزيائيون ما يزالون لا يدرون بذلك. أما النبأ فيقول لنا:  
﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ ١ الأنعام.

الظلمات والنور كلاهما مؤشر على أنبعاث مادي على هيئة طاقة. وهما زوجان ينبعثان من خلال جسيم ومضاده (زوج)<sup>(١)</sup> من بعد لقائهما. فالوجود المادي هو وجود ووجود مضاد (زوج). وفي اجتماعهما بالزواج تتحرر طاقتان الظلام وزوجه النور ثم يعودان إلى اللقاء ليتكون وجود (شيء). والمادة في انتقالها من طاقة زوجية إلى وجود (شيء) تمرّ بأطوار في الزمان والمكان وساحتها الفضاء الكوني. ويبدأ الزمان بالفجر وبه تبدأ المادة تنبع وتعبّر في المكان داخل أطوار مظلمة «ليال عشر».

ثم تتابع المادة تكويناتها الزوجية حتى النهاية. ثم تعود إلى بدايتها الطاقية (طاقة وطاقة زوج).

«وليال عشر» هي مراحل تكون فيه الطاقة المنتشرة من موقع الفجر مظلمة. وعندما توصل في تكويناتها الزوجية إلى مرحلة «الشفع والوتر» يبدأ النور بالانتشار.

في الآية / ١ / الأنعام الظلمات تسبق النور في تسلسل النبأ. وهذا يدلنا على أسبقية أنبعاث الطاقة المظلمة وعلى تعددها. فقد جاء في النبأ أنّ الظلام جمع. وجاء عن النور أنه فرد.

وما يستدل عليه من هذه الآية أن المادة المظلمة أكثر من المادة المنيرة. كما أنها أسرع منها في الانتشار.

وبالعودة إلى النظريات الكوسمولوجية فإنّ معظمها تقول بالانفجار الأعظم. وإذا قارنا القول بالانفجار مع قول الله بالفجر. ولتكن مقارنة في المسألة على حدث مثله وقريب منّا يجرى في الشمس التي نحيا في مجموعتها. فلو أن

(١) تستعمل في الفيزياء كلمة (مضاد) في مكان كلمة زوج.

الشمس انفجرت حقًا لما وجدنا شمسًا على الإطلاق. لأن الانفجار لا يترك أثرًا للمادة في موقع حدوثه. وكل المادة تقذف بقوة الانفجار بعيدًا عن الموقع. كلمة الفجر في القرآن تدل على نبع تتدفق منه المادة الطاقية وتنتشر في مسار يبعد عن الموقع (النبع).

وحتى لا نخرج عن حدود النبأ في القرآن فإن موقعًا واحدًا في الوجود لا يحدث فجرًا. ولا بد من وجود موقع زوج على النقيض منه. فالموقع الذي يمثل فجرًا في مجموعتنا التكوينية هو الشمس. فأين هو الموقع المضاد للشمس؟ نجد هذا الموقع في بلاغ سورة الطارق:

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ / ١ / وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ / ٢ / النَّجْمِ الثَّاقِبِ / ٣ /﴾.

وأرى في القول «النجم الثاقب» أنه الزوج للشمس التي تمثل موقعًا للفجر في مجموعتنا الشمسية. وهذا القول يقابله في الفيزياء الفلكية النجم.

كما أرى أن «السَّمَاء» هي المكان الذي يوقع على طرفيه كل من النجم الثاقب والشمس. وإن العلاقة الزوجية بين الشمس والنجم الثاقب هي التي تسبب فعل الفجر. حيث تنطلق المادة من النجم على هيئة نوافير Jets لتشق طريقها وجهة الشمس. وأثناء العبور في الطريق إلى الشمس تقوم بين هذه النوافير وجسيدات من الشمس علاقات زوجية وتمر بمراحل تكوين متعددة جآءنا عنها في البلاغ:

﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا / ١ / فَالزَّجَرِ زَجْرًا / ٢ / فَالَّتِي لَيْتَ ذِكْرًا / ٣ /﴾ الصافات.

صفّ يدل على أنتشر في صفوف.

وزجر يدل على أثار وحثّ وحفز.

وتلا يدل على أتبع بتسلسل.

وإنّ الواو التي تسبق «الصَّفَّاتِ» هي واو عطف الطور. فحدث «الصَّفَّاتِ» يجري بعد الفجر. والفاء التي تسبق «الزاجرات» تدل على التعقيب. أي أن الزاجرات تعقب الصافات.

فى هذه الآيات يقول لنا الله أن المادة المتدفقة من الفجر تنتشر فى صفوف من دون ضياع. وتلحق بها مادة حقّازة لها على التفاعل الذى يحدث وفق ذاكرة فى كلّ منها «فالتّليّت ذكراً».

كذلك هى ألفاء التى تسبق «التاليات» تدل على التعقيب. كما تدل على أن الصفات والزاجرات تتبع ذاكرة فيما بينهما عقب الانطلاق من موقع الفجر.

الصفات والزاجرات كلمات قرآنية (مصطلحات) للمادة التى تنبع من الفجر. وسرعان ما تبدأ من خلال ذاكرة علاقات ترابط لتكوين المادة فيما بعد.

وأرى فى فيزياء الجزيئات أن مصطلح الكواركات والليبتونات للجسيمات الطاقية يقابلها فى القرآن الصفات. وعن هذه الكواركات والليبتونات يقول علماء الفيزياء «وإن كانت قد وجدت بكثرة فى اللحظات الأولى التى تلت الانفجار الأعظم، فإنها لا تُنتج الآن إلاّ فى المسرّعات»<sup>(١)</sup>.

أما الجسيمات الطاقية وسيطة التفاعل فيقابلها فى القرآن الزاجرات.

وأستطيع أن أقول استناداً لنظرية الفجر القرآنية أنّ هذه الجسيمات ما زالت تنبع طالماً أن الشمس تصدر منها الطاقة. وإن ظهورها فى المسرّعات هو الدليل على صدق النظرية فى القرآن.

وحبذا لو يوجه السادة علماء الفيزياء الفلكية بحوثهم وجهة الشمس لمراقبة انطلاق وتزواج تلك الجسيمات ويتوكّدون من أن النبأ فى القرآن هو أساس أى نظرية علمية.

يمكن القول أن الجسيمات الطاقية (الصفات والزاجرات) تعمل وفق ذاكرة تشبه مخططات الـ DNA التى تؤلف جوهر الجينات فى الخلية الحية. وبعد الأزواج الأول ينشأ فعل جديد تكوّنه الذاكرة الاتحادية للزوج. وهذه الذاكرة الاتحادية تتبع فعل زواج جديد أكبر وقدرة على الرّبّ والتغيير فى الهيئة والوزن

(١) «اكتشاف كوارك القمة» (م.ع.أ. مجلد ١٤ العدد ٥).

حتى يوصل التجمع إلى مرحلة «الشفع والوتر» وهو الذى تسميه الفيزياء الهيدروجين.

لقد أنبأنا الله أنه هو الذى خلق وأنه هو الذى هدى :

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ٥٠ طه.

فَالخلق (التصميم) من الله . وكذلك الهداية (الذاكرة) لهذا الخلق . وهى التى تحفظه وتسوقه إلى بناء علاقة زوجية مع خلق آخر يناقضه فى شحته الكهربائية .

لقد أنبأنا الله عن هذا الحق منذ البداية . وكان أماناً أن نبحت عن «كيف بدأ الخلق» وفق الأنبياء . أو أن نتوجه للبحث عن «كيف بدأ الخلق» من دون اهتمام بالأنبياء . وألوجهتان يوصلان الإنسان العالم إلى المأرب من البحث «كيف بدأ الخلق» . والذى يدلنا على ذلك هو البلاغ :

﴿وَلَعَلَّكُمْ نَبَأٌ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٨٨ ص .

الحين هو اكتشاف الجسيدات فى المختبرات بالنسبة للبحث المتعلق بالتكوين وهذا بداية العلم بـ «كيف بدأ الخلق» .

لقد حمل الأنبياء القرءانى مسألة هامة تفيد أن علمنا بالنبيا وتأويله فى الوجود مصدره الله . وأن الله واحد لا شريك له فى الألوهة وأنه سيد السموات والأرض وما بينهما ومالكها جميعها . كما أنه هو سيد المشارق العديدة على خطوط الطول الأرضية :

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ / ٤ / رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ / ٥ /﴾

الصفات .

هذا التوكيد على وحدانية الله وسيادته على الوجود جاء من بعد الأنبياء عن الصفات والزاجرات وأقرن بشدة التوكيد التى تدلنا عليه «إن» الموكدة واللام التوكيد .

كما أن البلاغ / ٥ / حمل لنا نبأ من لون آخر يشير إلى دوران الأرض حول محورها . وأن شروق الشمس على سطح الأرض يتتابع على خطوط الطول

بحيث يكون شروق عند كل خط طول. وأن أزمته الشروق على الأرض متعددة. وهذا يؤول تعدد التوقيت على سطح الأرض.

ويتابع النبأ في سورة الصافات عن التكوين الكوكبي:

﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزَيْنَةِ الْكُوكِبِ﴾ ٦ الصافات.

فبعد ترابط الجسيدات والوصول إلى تكوين «الشفع والوتر» تتابعت أفعال التكوين حتى وصلت إلى الكوكب. واستمرت هذه الأفعال وما زالت مستمرة إلى يومنا هذا. وستبقى حتى توصل الشمس إلى مرحلة النضوب التي أنبأنا الله عنها:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ١ التكوين.

تكوير الشمس هو بفراغ بطنها من الطاقة فتصبح كورا. فتتوقف أفعال التكوين في مجموعتنا الشمسية.

لقد أجريت حتى الآن مقارنة بين النظرية القراءانية والنظرية الفيزيائية الفلكية. ورأيت أن النبأ في القرآن بين الذاكرة التي تتبعها كل من الصافات والزاجرات. أما الفيزياء فلم تقل لنا شيئا عن ذاكرة الكواركات والليبتونات والجسيدات وسيطة التفاعل.

إلا أن الفيزياء قد حققت الكثير في أعمال تأويل النبأ القراءاني.

وأوجه نظري إلى ما يقوله علماء البيولوجيا ومنه ما هو في مقال «هندسة معمارية» وفيه يقول E.D إنكبر:

لوعلى الرغم من الدراسات على مدى القرون الماضية فلا يزال الباحثون لا يعرفون إلا القليل عن القوى التي توجه الذرات إلى التجمع الذاتي في جزيئات. ولا يعرفون إلا ما هو أقل عن كيفية انضمام مجموعات الجزيئات بعضها إلى بعض لتكوين خلايا ونسج حية. ولكنني على مدى العقدين الماضيين اكتشفت واستكشف ناحية تبدو أساسية ومثيرة للاهتمام للتجمع الذاتي، وهي تشكيلة واسعة التنوع وبشكل مذهل من المنظومات الطبيعية - بما في ذلك ذرات الكربون وجزيئات الماء والبروتينات

والفيروسات والخلايا والنسج وحتى البشر ومخلوقات حية أخرى - إنما تبنى وفقاً لقاعدة عامة من قواعد الهندسة المعمارية، تعرف باسم الانشدادية Tensegrity. ويشير هذا المصطلح إلى نظام يرسخ نفسه ميكانيكياً تبعاً للأسلوب الذي تتوزع به وتتوازن فيه القوى الشادة والقوى الضاغطة Tensional and Compressivetorces داخل البنية المعنية. وإذا أمكن معرفة الأسباب التي جعلت ظاهرة الانشدادية كلية الوجود في الطبيعة، فإن ذلك يعمق فهمنا ويزودنا بتبصر جديد في القوى المطلقة التي تحكم القضية البيولوجية، وربما في موضوع النشوء والتطور ذاته<sup>(١)</sup>.

وفي هذا القول تقدم كبير في توصيف المادة. خصوصاً «المنظومات الهندسية». لكن أرى عجزاً ما زال قائماً فيما يتعلق بالقوى التي توجه السُّور (الذرات) إلى «التجمع الذاتي في جزئيات». وكذلك «الأسباب التي جعلت ظاهرة الانشدادية كلية الوجود في الطبيعة».

وأذكر بالنبأ:

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ٥٠ طه.

وبالنبأ:

﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾ ٣ الصافات.

ولاً أنسى عظمة الأكتشاف لهذه «المنظومات الهندسية» للتجمع الذاتي الذي يدفع إلى أمام بالبحث عن «كيف بدأ الخلق» ويقربنا منه.

ومما يزيدنا ثقة في هذا الأمر هو ما جاء في البلاغ:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ الواقعة.

وعليناً أن نجعل هذه الأنباء في مقدمة أهتماماتنا ونحن نجرى البحث فلا ننسى أن الله هو الخالق وهو الهادي.

وأعود إلى السيد «إنكبر» حيث يقول:

[ويعتقد الباحثون اليوم، أن التطور البيولوجي بدأ من طبقات الطين وليس من

(١) مجلة العلوم الأمريكية (مجلد ١٤ - أعددان ٧/٦ - ١٩٩٨).

البحر البدائي الأزلي. ومما يستأثر بالاهتمام أن الطين نفسه هو شبكة مسامية من الذرات مرتبة بشكل جيوديسي داخل أشكال ثمانية ورباعية السطوح. ولكن لكون هذه المثلثات والرباعيات غير مرصوفة بشكل وثيق، فإنها تحتفظ بقابلية التحرك والانزلاق بالنسبة لبعضها بعضاً. ويبدو أن هذه المرونة تسمح للطين أن يحفز العديد من التفاعلات الكيميائية، بما في ذلك التفاعلات التي ربما أنتجت اللبنة البنائية الجزيئية الأولى للحياة العضوية<sup>(١)</sup>.

وأذكر أن علماء فيزياء الجسيمات كانوا قد وجدوا بمساعدة وسائل البصر والكشف أن نوى السُّور (الذرات) «لا تكون كروية أو متطاولة فقط، ولكن من الممكن أيضاً أن تكون مفلطحة Oblate الشكل (مثل القرص)، أو ذات شكل «ثلاثي المحاور» Triaxial (مثل كرة قدم أمريكية غير تامة النفخ)، أو لها شكل «ثمانى القطب» Octupole (مثل الكمثرى)<sup>(٢)</sup>.

وهذا يطابق اكتشاف «إنكبر» المتعلق بتجمع السُّور (الذرات) الذاتى فى جزيئات وفق «أشكال هندسية ثلاثية ورباعية وخماسية».

وأنظر فى النيا التالى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثُلُثَ وَرُبْعَ زَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١ فاطر.

وأرى فيه ما اكتشفه «إنكبر» والفيزيائيون. فالملك والملاك هو قوام الشيء وخلاصته أو جوهره. وهو جسيم أو جسد نوراني يتكون بألوان مختلفة. وهو المملوك لمالك وليس له من الملكية شيء. والمملكة صفة راسخة وأستعداد كامل للقيام بأفعال محددة وباتقان ومن دون نقص. والملك والملاك جمعها ملائكة. وهى الصفات والزاجرات التى تمثل جوهر الجسيمات المكونة للمادة وملكتها منهاج وهداية.

(١) م.ع.أ - مجلد ١٤ أعددان ٧/٦ - ١٩٩٨.

(٢) م.ع.أ. مجلد ٤ أعدد ٤-١٩٩٨ (ج.ه. هاملتون و.ج.أ. مارون).



«رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ» الرّسل هي الْمُطْلَقَة وفق منهاج لا قيد عليه . وهذه الرّسل ذات أجنحة (جوانب) مثني وثلاث ورباع . وخلقها ومنهاجها يتبع زيادة في تكوين الأجنحة .

النبأ عن هذه الجواهر جاء بعد النبأ «فاطر السموات والأرض» مع التوكيد على قدرة الله في الخلق . وما أربّه في هذا النبأ يعززه الأمر التالي :

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ٦ التحريم .

وفي هذا القول بلاغ لنا أن الملائكة لا تملك مشاعر ولا عواطف . ولا أفكار خاصة بها تدفعها للعصيان . وأنها تفعل الأمر الصادر لها من دون زيادة ولا نقص .

وهذا الوصف يقربه اليوم إلى فهمنا «الروبوت» .

والدليل أن الملائكة لا تملك لنفسها ما يمنعها أو يجعلها تردد في طاعة الأمر ما جاء في النبأ التالي :

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٠ القمر .

وهذا يدل على طاعة الأمر الصادر لمرة واحدة من دون حاجة للتكرار وبسرعة بصر العين (سرعة الضوء) .

وللتوكيد على أن الملائكة هي كائنات ذات ألوان متعددة وأفعالها تتبع منهاجها وذاكرة بدءاً من الجسيدات الطاقية وحتى الملائكة التي تتولى القيام بأفعال تعليمية للبشر . أو تنقل رسالات من الله . أو تجرى عمليات أستنساخ . أوورد البلاغ الذي يربط بين العلم بها والإيمان بالآخرة :

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَىٰ / ٢٧ / وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا / ٢٨ / فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا / ٢٩ / ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ / ٣٠ /﴾ النجم .

إنَّ أَلْعَلْمَ فِى الْحَقِّ يَسُوقُ أَلْعَالَمَ إِلَى النَّبِإِ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ .  
وكذلك إلى الاستنباط العلمى للنشأة الآخرة .

لقد ربط أَلْبَلَاغَ بَيْنَ أَلْعَلْمِ بِأَلْمَلَائِكَةِ وَأَلْإِيمَانِ بِأَلْآخِرَةِ . وَبَيَّنَ أَنَّ أَلَّذِينَ لَا يَقِيمُونَ هَذِهِ أَلرَّابِطَةَ أَلْعَلْمِيَّةَ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِأَلْأَمْرَيْنِ . وَهُمْ فِى مَوْقِفٍ ظَنٍّ يَخَالِفُ أَلْحَقَّ .

كما بين أنَّ هَذَا أَلْمَوْقِفَ أَلظَّنِّ يَسُوقُ صَاحِبَهُ إِلَى أَلرَّكُضِ وَرَاءَ أَلْحَيَاةِ أَلدُّنْيَا وَإِهْمَالِ بَلِّ نَسِيَانٍ لِّلْآخِرَةِ بِسَبَبِ أَلْجَهْلِ أَلَّذِى يَسْبِبُهُ أَلْأَمْتِنَاعُ عَنِ أَلْسَعْيِ لِكَسْبِ أَلْعَلْمِ فِى أَلْوُجُودِ وَمِنْهُ أَلْمَلَائِكَةُ أَلْجَسِيدِيَّةُ .

وَأَرَى أَنَّ مَا أُكْتَشِفَهُ أَلْفِيزِيَّائُونَ وَأَلْبِيُولُوجِيُونَ يَطَابِقُ أَلنَّبَأَ أَلْقَرَأَنِى وَيَصْدَقُهُ .  
كَمَا أَنَّ أُكْتِشَافَ «المنظومات الهندسية» لِلتَّجْمَعِ أَلذَاتِى دَفَعَ أَلْسَيِّدَ «إِنْكَبَر» لَوْضَعِ نَظَرِيَّةٍ عَنِ أَلْبِنَاءِ أَلْحَيِّ أَلَّذِى بَدَأَ مِنْ أَلطِّينِ . وَهَذَا وَصُولٌ إِلَى تَأْوِيلِ أَلنَّبَأِ وَتَصْدِيقِهِ :

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ٧ أَلْسَجْدَةُ .

وما هَذَا إِلَّا نَبَأٌ عَنِ أَلْبَدَايَةِ أَلَّتِى أُنْظَلَقْتُ مِنْ أَلطِّينِ . وَمَا يَزَالُ أَلْبَحْثُ عِنْدَ أَلْبَدَايَةِ .

وَيَجِبُ أَنْ تَتَرَكَّزَ جُهُودُ أَلْبَاحْثِينَ وَمِنْهُمْ أَلْسَيِّدُ «إِنْكَبَر» لِتَصْدِيقِ أَلْبَلَاغِ «فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا» أَلَّذِى يَجْرَى فِيهِ أَلْعَلْمُ بِهَذَا أَلْمَنْهَاجِ أَلَّذِى يُوْجِهُ أَلْجَسِيدَاتِ وَأَلْسُّورَ (أَلذَّرَاتِ) وَأَلْجَزِيَّاتِ وَأَلْخَلَايَا لِهَذَا أَلتَّجْمَعِ أَلْهِنْدَسَى .

كَمَا أَنَّ أَلْأَسْتِعَانَةَ بِعِلْمِ أَلْهِنْدَسَةِ أَلْجِنِيَّةِ يَسَاعِدُ عَلَى مُتَابَعَةِ أَلْبَحْثِ فِي فُرُوعِ أَلْعَلْمِ أَلْآخَرَى . وَخَصُوصًا فِيزِيَاءَ أَلْجَسِيدَاتِ أَلطَّاقِيَّةِ أَلَّتِى وَجَدْتُ أَنَّهُ بَلِقَاءُ (كُوَارِكِينَ فَوْقَ) مَعَ (كُوَارِكِ تَحْتَ) يَتَكُونُ مُوَلُودٌ جَدِيدٌ هُوَ أَلْبُرُوتُونُ . وَمِنْ لِقَاءِ (كُوَارِكِ فَوْقَ) مَعَ (كُوَارِكِينَ تَحْتَ) يَتَكُونُ أَلنُّتْرُونُ .<sup>(١)</sup> وَيَصِيرُ لِكُلِّ مِنْ أَلنُّتْرُونِ

(١) «اكتشاف كوارك القمة» (م.ع. أ. مجلد ١٤ أَلْعَدَدُ ٥-١٩٩٨) .

والبروتون ذاكرة جديدة ومخططات فعل جديدة حيث يقترون نترون وبروتون فيتكون مولود جديد هو النوى. وتجتمع النوى مع إلكترون فتولد السورة (الذرة).

يبقى أن نتابع الولادة في كل من المادة الحية والميتة مع توجيه النظر إلى اكتشاف الذاكرة فنوصل إلى العلم بالنشأة الأولى. وأرى أننا سنتمكن من العلم بهذه الذاكرة في المستقبل القريب.

كما أرى أن ما تجده الفيزياء وما تجده البيولوجيا يدل على وحدة هندسية تعم كل شيء في الكون. مما يؤكد على أن المهندس واحد وهو ما بينه النبأ بالتوكيد:

﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ / ٤ / رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ / ٥ /﴾  
الصفات.

وما وجدته الفيزياء وما وجدته البيولوجيا ما هو إلا آيات كان الله قد أعلمنا برويتنا لها:

﴿سُئِلَهُمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ ٥٣﴾  
فصلت.

وهذا التقسيم في النبأ يتطابق معه تقسيم الناظرين في الفيزياء (الأفاق) والبيولوجيا (أنفسهم). ولو كان الشاميون هم الذين ساروا ونظروا وتابعوا البحث في الفيزياء والبيولوجيا لجاءت كلمات (مصطلحات) العلميين وفق كلمات القرآن. ولكن الشاميين هجروا النظر والبحث بدليل البلاغ:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠ الفرقان.

قوم الرسول هم الشاميون ولسانهم هو لسان القرآن. ولما كان هجرهم للقرآن هو هجر للنظر والبحث العلميين جاء النظر والبحث العلميين بالسن عربية أخرى. وعربية اللسان هي في بيانه وفصاحته وكشفه عن الحق. وكان الله هو

الذى أنبأنا عن الحقّ بواسطة لسان شامتي هو لسان قوم الرسول . وبه جاء لسان الله عربى مبين .

قرأ الشيء قرأاً وقرأنا أخرجه من مكان خفيّ وأفصحته . وهو فعل يحدث بالنظر فى الأشياء والأجزاء ثم إخراج ما يرئيه فيها بلاغاً مبيّناً . وهو عين البحث العلمى وأسلوب بلاغه .

أتابع مع النظرية القرآنية حيث توصلنا فى الآية / ٦ / الصفات إلى الكواكب ومنها الأرض التى نبت منها البشر انطلاقاً من الطين . وهو ما توصل إليه الباحثون إلى القول به اليوم .

لقد بدأ الخلق الحى من الطين . وعبر فى أطوار عقت البداية حتى تكون البشر السوى .

ثم جاء دور «ونفخت فيه من روحي» ليتحول البشر بتدخل من الله مباشر إلى إنسان . وبألروح صار البشر يستطيع كسب المعلومات . ويستطيع متابعة الكسب بواسطة النظر والبحث العلميين فى جميع الجهات بما فى ذلك السموات والأرض :

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ ٣ الجاثية .

فآليات التى يلاحقها السائلون سواء كانت فى الفيزياء أم فى البيولوجيا تسوق إلى تصديق النبا القرءانى . وهذا يسوق إلى الإيمان بوحدانية الله .

لقد تناولت الأنباء جميع الجهات العلمية . وأعرض للأنباء التى أعلمنا الله بها عن تسوية الأرض وجعلها صالحة :

﴿أَنَا صَبَبْتُ الْمَاءَ صَبًّا / ٢٥ / ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا / ٢٦ /﴾ عبس .

فى النبا الماء المصبوب على الأرض ليس غيثاً ولا مطراً . بل هو صبّ لماء فصل بصواع الملك بعد أن كان محبوساً فى رحل الكوكب . وبالفصل صبّ صبّاً

فأحدث تشققها وخروج ما فى داخلها إلى السطح . وهذا يبين فعل الماء المصبوب فى السطح والجوف على السواء :

﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٢٠ الغاشية .

أى صار لها سطح بفعل حركة وثقل الماء .

ويزداد الحدث بياناً وتسلسلاً فى النبا التالى :

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ٣٠ / أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا / ٣١ / وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا / ٣٢ / النازعات .

دحى الأرض نبشها وأخرج ما فى بطنها . وهذا يبين لنا الأحداث الجيولوجية التى تكونت بفعلها الجبال . وكذلك خروج المعادن الأثقل إلى السطح لتختلط مع المعادن الأخف . وبفعل الماء فيها تتحول إلى طين ثم تراب صالح لإنبات المرعى .

فى هذا النبا معلومة هامة للغاية عن الماء الذى أخرج من رحل الأرض ذاتها بصواع الملك . وهذا النبا يقطع تماماً الظن الذى يقول أن مذبذباً جليدياً أصطدم بالأرض وكان سبباً لوجود الماء فيها .

كما أن هذا النبا يؤكد قدرة الإنسان العالم الصالح على استخراج الماء من كوكب الأزهرة كما جاء قولنا عن يوسف (\*) ويحسنا عليه .

وعن تأثير الفعل البيولوجى فى سطح الأرض بعد خروج النبات جاء فى النبا :

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا﴾ ٦ الشمس .

وهذا عن انتشار وتدافع النبات فى سطحها مسبباً انتفاخه واهتزازه :

﴿أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٥ الحج .

وفى سورة المرسلات نبأ عن الحياة والموت فى الأرض :

(\*) يوسف واخوته .

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا / ٢٥ / أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا / ٢٦ / وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا / ٢٧ /﴾ المرسلات.

جعل الأرض كفاتا. أى حولها إلى حاضنة للمادة الحية والمادة الميتة. وهو ما تدلنا عليه كلمة «كفاتا» التى نجد عامة بلاد الشام تستعملها لتدل بها على لحم مخلوط بالدهن «كفته». ورافق ذلك حدث جيولوجى أحدث الجبال الشامخة.

وبين النبأ أن الماء المصبوب على الأرض المستخرج من رحلها لم يكن صالحا للشرب. وأن الجبال التى حدثت بالحركة الجيولوجية كانت سبب تكون الماء الصالح للشرب.

وفى سورة النبأ نجد تمهيدا لبداية الحياة:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا / ٦ / وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا / ٧ / وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا / ٨ /﴾ النبأ.

المهد هو الفراش المهيأ للصغير. أى حدث فعل جيولوجى هيا الأرض لبداية الحياة. وجعلت الجبال لحماية سطح الأرض من الانزلاق مع كل هزة أو زلزال. وعقب ذلك طور جعل وحيدات الخلية أزواج ذكر وأنثى ومنها البشر لاحقا.

إن الإنسان الذى يمثله يوسف فى القرآن بعد أن يكتمل علمه ويشهد كما يبين النبأ:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ٢٢ يوسف.

تكون الأرض التى يحيا عليها قد اقتربت من نهاية صلاحها. ويكون يوسف الصديق العالم قد أرسى أسس الحياة فى أرض جديدة هى الكوكب الذى يلى الأرض مباشرة بالتكوين.

وفى القرآن بلاغ عن عدد السموات:

﴿الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ٣ الملك.

فهى سبع سموات طبق بعضها.

وحتى لا يذهب تفكيرنا إلى عوالم أخرى غير مجموعتنا الشمسية نعود إلى فهمنا عن يوسف الذى «جعل السقاية فى رحل أخيه ثم أستخرجها من رحل أخيه».

كما نعود إلى فهمنا لدليل أسم الكوكب الذى عرضنا له فى مقدمة كتابنا «الدين خرافة أم علم؟». وقد جاء فيه أن سبعة كواكب فى مجموعتنا الشمسية تمر بطور الإصلاح تباعاً. وأن الإنسان الذى خلقه الله فى أول أرض يتولى إصلاح الكوكب الذى يلى الأرض من وجهة الشمس. ثم ينتقل إليه عندما توصل أرضه إلى نهايتها المريخية.

هذا عن يوسف الصديق. أما بقية الناس فهم الجاهلون الذين يرغبون عن ملة إبراهيم الذى أصفاه الله فى الدنيا والآخرة كما يبين الألباغ:

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٣٠ البقرة.

وجاء وصف أولئك الذين يرغبون عن ملة إبراهيم فى الألباغ التالى:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٢٢ الأنفال.

وهم الذين أعرضوا عن ذكر الله وأوامره التى يأتى فى رأسها أمره بالنظر والبحث العلميين للوصول إلى العلم فى «كيف بدأ الخلق». ويبين النبأ مستوى عيشهم فى الدنيا والآخرة:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ١٢٤ طه.

الضنك هو الضيق من كل شىء فى البدن والرأى. وهو التابع الذى يخدم بطعامه. ويقابل كلمة ضنك فى لسان الإنكليز كلمة Donkey فى النطق والدليل. وهى فى الأسانين تدل على من لا يفكر أو حمار.

ينتقل يوسف ومن معه إلى كوكب صالح جديد. ويبقى على سطح الكوكب

(الذى بدأ يتحول إلى مريخ) جميع الذين رغبوا عن ملة إبراهيم.

لقد جاء فى النبيا:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ١٢ الطلاق.

والسمااء الدنيا هى واحدة السموات السبع. فمع خلق كل أرض سمااء دنيا تمثل رحلها (غلافها) الجوى الذى يحميها من رجم الحجارة التى تنحرف عن مسارها وتتوجه إلى الأرض فتحترق وتفتت عندما تخترق رحلها.

وعن هذا جاء فى النبيا:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوعٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ ٥ الملك.

وهى الحجارة التى تسبح من دون فلك يقيد سباحتها.

وإذا تابعنا الأوصاف الأولية لكل من المريخ والزهرة وهما الجاران للأرض. وقد جاءت هذه الأوصاف بواسطة بعثات أستكشاف فضائية قام بها الإنسان. فنجد وصفاً للكوكب الزهرة يقول عنه:

«كوكب شديد التسخن، حيث درجة حرارته تبلغ ٤٧٠ درجة، والضغط الجوى ١٠٠ جوى، والصخور شبيهة بأنواع الجرانيت الأرضية، وهى أحجار حديثة النشوء ذات أطراف حادة وأشكال غير منتظمة، وأخرى قديمة مدورة وحوافها مسواة. ويتشكل جو الزهرة من ٩٥٪ غاز ثاني أكسيد الكربون وحامض الكبريتيك الذى يتميز محلولة المركز بقدرة عالية على امتصاص الماء، وجو الزهرة يسمح بمرور أشعة الشمس إلى سطح الكوكب ويمنع انبعاث الإشعاع الحراري المنعكس عنه مسبباً دفيئة ذات درجة حرارة عالية. ولون السماء فوق الأفق يميل إلى الخضرة والصفرة، وعلى ارتفاع كبير فوق سطح الكوكب تنفرد قبة من السحب برتقالية اللون، كما يوجد نشاط بركاني»<sup>(١)</sup>.

وهناك وصف آخر يقول عن المريخ:

[«الضغط الجوى عند السطح أقل من ١٪ كما هو فى الأرض، كما أن درجات الحرارة فى النهار، نادراً ما تتجاوز درجة الصفر المئوية، حتى فى أحرّ مناطق الكوكب

(١) سفينة فضائية فى المدار - دار مير ١٩٨٧.



خلال فصل الصيف، والأهم من هذا كله، هو أن أحد أهم مقومات الحياة، وهو الماء السائل، يبدو غير موجود على سطح الكوكب». «ثمة مقادير كبيرة من الماء غيرت شكل سطح الكوكب منذ بضعة ملايين من السنين، بل ربما في زمن أحدث لا يتجاوز عدة مئات من ملايين السنين». «لقد كان على سطح المريخ في بدايات تاريخه ماء سائل. وتوجد على السطح وديان ضيقة وضخمة. لقد كان الماء السائل يغمر أجزاء المريخ، ويحوي سطح المريخ مقادير وفيرة من المواد البازلتية التي تشققت وتحولت إلى مجاري مياه. ولهذا الوضع ما يشبهه على الأرض». «ثمة نيازك عُثرَ عليها على كرتنا الأرضية، تبين أنها أتت من المريخ، تقدم براهين مادية على الماضي المائي للمريخ»<sup>(١)</sup>.

[«إن الجو الخارجي للمريخ مخلخل جداً، أما طبقاته العليا فكثافتها قليلة للغاية». «سرعة الريح عند سطح الكوكب تبلغ قيمةً خيالية، وهي عواصف ترابية. هناك براكين جبارة تدعو للدهشة، وهناك صحارى شاسعة ملساء تماماً. وشقوقاً وأخاديد طويلة وملتوية، وجبال وتلال، ومجاري أنهار جفت. الجو مخلخل لدرجة أن الماء السائل لا بد أن يغلي ويتبخر. هناك وهاد ضخمة لا تختلف من حيث شكلها كثيراً عن مثيلاتها الأرضية. سطح المريخ بادية حمراء تعلوه سماء ذات لون وردي خلاب نضوي في جزئها الأسفل...»]<sup>(٢)</sup>.

بعد عرض هذه الأوصاف لكل من كوكب الزهرة وكوكب المريخ يمكن القول أن المريخ كوكباً ميتاً وأن الزهرة يمر بمرحلة جنينية<sup>(٣)</sup> تسبق الإصلاح. ويقول الناظرون وألباحثون عن جو الزهرة «أن حامض الكبريتيك في جو الزهرة يقوم بدور كبير في عملية امتصاص الماء، وهذا ما يبرر قلة كمية بخار الماء في جو الزهرة»<sup>(٤)</sup>.

(١) مجلة العلوم الأمريكية - مجلد ١٤ أعددان ٧/٦ - ١٩٩٨.

(٢) سفينة فضائية في المدار - دار مير ١٩٨٧.

(٣) تاريخ النشوء - دينفورث.

(٤) سفينة فضائية في المدار - دار مير ١٩٨٧.

ومن مفهوم تحرير الماء المحبوس في جو الزهرة وجعله ينصب على سطحها صباً استتبط فعل التحرير من فهم الصَّب الذي جاء في البلاغ:

﴿أَنَا صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ ٢٥ عبس.

صَبَّ الماء على سطح الكوكب ليس مطراً ولا غيثاً بل هو مقدار عظيم من الماء ينصب دفعة واحدة. وبه تنخفض حرارة الكوكب بفعل السعة الحرارية الكبيرة للماء.

كما تحدث بفعل قوَّة الصَّب والثقل للماء المصبوب انكسارات وشقوق عظيمة في السطح. وهو ما جاء عنه في البلاغ:

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ ٢٦ عبس.

وهنا يُظهر لنا ما بينه البلاغ في عمل يوسف الذي «جعل السقاية في رحل أخيه». وبه نهتدي إلى فصل الماء عن الكبريت بواسطة «صَوَاعُ الْمَلِكِ». الذي بيَّنه إدخالنا لما يفرق الماء عن الكبريت مثل مآات الصوديوم إلى جو الزهرة أو زرع للون من الفطور التي تتغذى بالكبريت في سمائه (مرَّ أنَّ الصُّواع هو التمهيد والتهيؤ لتفريق أشياء عن بعضها).

وبأدخال مآات الصوديوم إلى جو الزهرة يمهد لتفريق الماء عن الكبريت. وبه تتكون كبريتات الصوديوم ويتحرر الماء لينصب على سطح الكوكب. ويبدأ فعله فيه من شق وتبريد وتكوّن جباله كما بين البلاغ في القراءن.

وبمراقبة أفعال التطور التي تجرى بعد ذلك سنرى وصول الزهرة إلى طور العلم المبلغ لنا في القراءن:

﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِهَانًا / ٢٥ / أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا / ٢٦ / وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَيْخَتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً قُرَاتًا / ٢٧ /﴾ المرسلات.

أما كوكب المريخ فإن ما جاء في وصفه على لسان الناظرين يتطابق مع رأيت منه في كتاب «الدين خرافة أم علم؟». وهو ما كنت قد توصلت إليه من دليل أسم المريخ. فقد رأيت أنَّ المريخ كان أرضاً صالحة ماتت ولا يمكن إصلاحها

مرة أخرى. وأرى أنه يمثل الأرض التي جاء وصف أفعال الفساد في جوها في  
بلاغ القرآن:

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ ١١ التكوير.

﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ٦ التكوير.

كشطت السماء. ذهب رحلها (غلافها) الجوى.

وسجرت البحار. زاد ماؤها وأرتفع حتى تبخر وذهب.

هذا الوصف يبين ذهاب قميص يوسف (الغلاف الجوى) وبذهابه يرتفع ماء  
البحار ويتبخر.

وما جاء في وصف الناظرين عن جو المريخ «مجاري أنهار جفت. . الجو  
مخلخل لدرجة أن الماء السائل لا بد أن يغلي ويتبخر. . .» يبين أن بلاغ  
القرآن يهدى إلى الحق<sup>(١)</sup>.

وعن لون سمائه «سطح المريخ بادية حمراء تعلوه سماء ذات لون وردي  
خلاب تضيء في جزئها الأسفل»<sup>(١)</sup>.

هو وصف يقترب مما جاء في البلاغ:

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ ٨ المعارج.

المهل هو المعدن المذاب بالحرارة ويكون لونه وردياً.

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ٣٧ الرحمن.

وردة كالدهان يدل على لون الورد الأحمر.

أتوقف عن متابعة الكواكب عند المريخ. فقد تناولت البقية بدليل  
أسمائها.<sup>(٢)</sup> وانتقل إلى الحدث الكوني الذي يبدأ فيه فعل ذهاب الكواكب

(١) سفينة فضائية في المدار - دار مير ١٩٨٧.

(٢) الدين خرافة أم علم؟.

جميعها بفعل قوة سحب عظيمة . ويكون الإنسان ما يزال على أرض صالحة سواء كان ذلك على أرضنا الحالية أم على الزهرة . أيها تحمل الرقم سبعة . وقد جاء تصوير الحدث في البلاغ :

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ / ٤ / وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ / ٥ /﴾ القارعة .

فيه بلاغ عن قوة سحب عظيمة تفكك جزيئات الجبال وتحولها إلى ما يشبه القطن المندوف المتطاير . كذلك الناس يتطايرون كالفراش المنتشر .

ويتابع تصوير الحدث الكوني :

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا / ١٩ / وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا / ٢٠ /﴾ النبا .

أبلغ تصوير عن تفتت الجبال وجعلها غبارا ينطلق وجهة قوة السحب .

في نور الأنباء التي جاءت في القرآن . وفي عقلها ومطابقتها مع بلاغات البحث العلمي الذي أرى فيه عمل من طاع الأمر الإلهي ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ وجاء بتصديق البلاغ في القرآن . أرى وأقول مطمئنا أن الإيمان بوحداية الخالق وجعله إيمانًا يقينًا لا يحدث إلا من بعد طاعة أمر الله بالسير والنظر كيف بدأ الخلق . وبه ينشأ الإيمان . وبه تتقوى طاعة الأوامر الإلهية جميعها . سواء المتعلق منها بالنظر والبحث العلميين أم المتعلق منها بالسلوك مع الناس ومكان عيشهم (البيئة) . وبه يسير الإنسان إلى توسيع علمه في وجهة الكشف عن جميع تفاصيل النشأة الأولى .

أما الذين يجحدون أنباء القرآن فهم لا يصدقون على الرغم من قوة البيئة بفعل المقارنة وعلى الرغم من العلم الذي بين أيديهم . وقد جاء في البلاغ تذكير لهم :

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ / ٨٢ /

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ / ٨٣ / ﴿ غافر .

فيه وصف لقوم أقوياء ولهم درجة علمية عالية وقدرة على إحداث الآثار في الأرض . ومع ذلك لم يكثرثوا بالرسالات وأستخفوا بها وأستكبروا بغير حق وتفاخروا بعلمهم وقوتهم وشدتهم .

الإنسان الذى خلف وراءه أثار بعليك وأهرامات مصر والإنكا ليس بدائياً . وعلمنا نحن ليس أكبر من علمه . بل قد يكون أقل منه بكثير! . وقول فرعون لـ هامان يظهر لون القوة العلمية التى كان يملكها :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ / ٣٦ / أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى / ٣٧ / ﴾ غافر .

هذا يذكرنى بـ خروشوف (\*) الذى سأل غاغارين أول رائد فضاء فى حضارتنا الحالية عمّا إذا كان قد رأى الله! . .

فرعون كان يطلب صراحاً ليبلغ أسباب السموات . والصراح هو كل بناء عالٍ ظاهر .

مثل هذا البناء الذى يمكن أن يبلغ أسباب السموات لا يكون ثابتاً كالبرج . بل هو بناء ينطلق ويسبح متجولاً فى الفضاء .

كما يذكرنى هذا الأمر بقوم عاد الذين أستكبروا فى الأرض :

﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ ﴾ ١٥ فصلت .

وأيوم هناك الولايات المتحدة الأمريكية التى تملك أن تكون «يوسف» الذى «جعل السقاية فى رحل أخيه» . فهى إلى جانب ذلك تشبه عاداً فى أستكبارها .

(\*) زعيم سوفياتي خلف ستالين .

كما أنّ موقف رئيسها الحالّي «كلتون» وتشريعه الذي يمنع الاستنساخ يشبه موقف الذين كذبوا بأية العذراء مريم.

ما رتلته إلى هنا كان عن النشأة الأولى. أمّا ما يتعلق بالنشأة الأخيرة فقد جاء عنها في البلاغ:

﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٠ العنكبوت.

لقد ورد في بداية البلاغ / ٢٠ / العنكبوت الأمر الإلهي بالنظر كيف بدأ الخلق. وبه يوصل إلى العلم بالنشأة الأولى التي ورد القول عنها في آخر البلاغ. وفي ذات الوقت ضمّ البلاغ نبأ يبين أن الإنسان بعد حصوله على العلم بالنشأة الأولى يستطيع أن يعلم بحتمية النشأة الأخيرة استنباطاً. وبه يصدّق النبأ من دون سير ونظر في المسألة. لأنه يعلم أن النشأة الأخيرة يجرى حدوثها في غيابه عن الأرض الذي يبدأ وفق بيان البلاغ عن الأرض التي سُيرت جبالها «فكانت سرايا».

لقد خلق الله الإنسان وسوّاه على الأرض الأولى. وقام يوسف بإصلاح الثانية والثالثة إلى السابعة.

وفي حياة الإنسان اختبار له يحصد ما عمله في الحياة الدنيا بعد قيام النشأة الأخيرة. وفيها يحيى حياة جديدة خالدة من دون اختبار.

واستنباط الإنسان لقيام النشأة الأخيرة يستند على ما جاء من تعريف لها في بلاغ القرآن. فقد بين لنا أنّ علمنا بها هو علم تعريف نحصل عليه من البلاغ:

﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا هُمْ﴾ ٦ محمد.

حاجة الإنسان للتعريف بالجنة أنّه عندما يبعث ويشاهدها يعلم علم يقين أنها الجنة التي وعده الله بها. وفاعل العلم ما في قلبه من تعريف لها كان قد جاءه في الحياة الدنيا بلسان عربيّ مبين.

لقد جاء التعريف مقترناً بالنبأ عن تكون النشأة الأخيرة:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ / ١ / وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرتْ / ٢ / وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ / ٣ /﴾  
الانفطار.

فيه تعريف بكيفية إعادة الخلق وتكوينه من سماء وكواكب وبحار تتفجر بالماء.

هناك أرض وسموات جديدة كما يبين البَلاغ:  
﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ ٤٨ إبراهيم.  
وسيلة إظهار وإعلان الجنة التي عرفها لنا البَلاغ في السماء تشبه وسيلة إعلان وإظهار أرضنا الحالية وهو ما يبينه البَلاغ:  
﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ٢١ الحديد.

لقد بين البَلاغ في سورة الانفطار أن الناس قد تمَّ حسابهم وعلم كل منهم بمقره الجديد:

﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ٥ الانفطار.  
وقد بين البَلاغ أن حياة الناس خالدة في النشأة الآخرة:  
﴿خَلْدِيكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ١٠٧ هود.  
وهذا يبين دورة كونية كاملة.

أما عن توزيع الناس إلى مقراتهم في الآخرة فإنَّ المكذبين للنبي في مقرّ يجعلهم يصدقون من بعد فوات الأوان:

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلًَا وَسَعِيرًا﴾ ٤ الإنسان.  
وعن مقرّ الذين صدّقوا النبي وعملوا صالحاً أنهم:  
﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ١٣ الإنسان.

## العدد ١٩ يستحق الأهتمام!

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ٣٠ المدثر.

إلى ماذا تشير كلمة «عليها» في البلاغ؟

هل هي النشأة الأولى؟

وهل النشأة الأولى محكومة بهذا المقدار؟

جاء في البلاغ:

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ٨ الرعد.

وقد ظنّ المفسرون<sup>(١)</sup> أن الـ «تسعة عشر» هو عدد خزنة النار. والبلاغ

يدحض ظنّ المفسرين ويبين أنّهم مفتونين:

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾ ٣١ المدثر.

\*\*\*

تناول الدكتور محمد رشاد خليفة<sup>(٢)</sup> العدد ١٩ ورأى أنّ أول قول في القرآن

هو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يتكون من ١٩ كتاب (حرف).

---

(١) أنظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.

(٢) عن كتاب: إنذار من السماء تأليف نيازي عز الدين ص ٣١٣ وما بعدها للمزيد من التفاصيل يرجى المراجعة.



وأن عدد سور القرآن ١١٤ هو من مضاعفات العدد ١٩ .

وبيّن أن كتب (حروف) الألف واللامد والميم في سورة البقرة هي من مضاعفات العدد ١٩ . وتبدأ هذه السورة بقول مكون من هذه الكتب الثلاثة (آلَمْ).

كما رأى أن هذه المقادير موجودة في ٢٩ سورة . تبدأ كل منها بكتب يسميها المفسرون للقرآن فواتح السور.<sup>(١)</sup>

وأستدل الدكتور خليفة من ذلك أن القرآن من عند الله بدليل هذه العلاقة المقدارية .

وتوصل العالم الأمريكي «فرانك دريك»<sup>(٢)</sup> إلى إنشاء مثل (نموذج) لرسالة (على طريقة المربعات المخصصة للتسلية في المجلات) بين شريكين لا توجد بينهما أى شراكة سوى قدرتهما على «التفكير المنطقي الرياضي» . ورأى أنهما يستطيعان التفاهم لاسلكياً على طريقة المورس وفق هذا النموذج . كما رأى أن هذا المثل (النموذج) وحيد . وهو يتكون من ٥٥١ نبضة وتوقف ( \_ / . ) مرتبة ضمن ١٩ رمزاً على ٢٩ سطر .

مثل «دريك» يشبه ما قاله الدكتور خليفة عن العدد ١٩ والسور ٢٩ في القرآن .

بل هو بيان يمكن إدراكه من هذا المثل المدرسى .

ووجد «ج . ووكر» أن :

«زاوية المختر المقيسة بين الخط ومسار القارب مساوية (١٩,١) درجة . وعن زاوية

---

(١) «إن لهذه الفواتح مراداً معلوماً ومعنى يمكن الوصول إليه بالنظر والبحث . وهو المروي عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب وجمع كثير من الصحابة» الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٥٥ . وانظر شكل القرآن لابن قنية : ٦٤ ، ٦٣ عن كتاب من روائع القرآن تأليف د. محمد سعيد رمضان البوطي .

(٢) تاريخ النشوء - هومارفون ديتفورت .

الأثر الذي يتركه قارب يمتلئ بالماء، وأي شيء من البط حتى ناقلات النفط الضخمة، يولد أثناء حركته عبر الماء نمطاً لأثر المخر له الزاوية ذاتها<sup>(١)</sup>.

وأورد بعضاً من أمثلة الفيزياء المسلية:

[«وتنص القوانين الهندسية، على أن الجسم الذي يبعد عن العين مسافة تزيد على قطره بمقدار (٥٧) مرة، يجب أن يظهر لعين المراقب بزاوية إبصار تساوي درجة واحدة». «وعند ضعف هذه المسافة، تصبح زاوية إبصارها مساوية لنصف درجة»]<sup>(٢)</sup>.

العدد ٥٧ هو من مضاعفات العدد ١٩ وكذلك ضعف المسافة ١١٤.

«إذا طلب منك أن ترسم على الورقة، دائرة تمثل قرص القمر، كما تراه بالعين المجردة، لظهر لك بأن هذا الطلب غير متكامل الشروط. ذلك لأن الدائرة قد تكون كبيرة أو صغيرة، تبعاً لبعدها عن العين. ولكن الشروط ستصبح متكاملة إذا حددنا بعدها عن العين، بالمسافة التي نبعد بها الكتاب أو الرسم وغير ذلك، عن العين عادة، أي بالمسافة التي تؤمن لنا رؤية جيدة جداً. وتبلغ هذه المسافة بالنسبة للعين السليمة (٢٥سم). والآن، لنحسب الحجم الذي يجب أن تكون عليه الدائرة، ولو على صفحة هذا الكتاب، لكي يصبح حجمها الظاهري، مساوياً لحجم قرص القمر. إن الحساب بسيط، ويتلخص في قسمة المسافة / ٢٥ سم (٢٥٠ مم، على العدد ١١٤)<sup>(٣)</sup>.

هذه التسلية في الفيزياء ليست عبثاً.

أما الفيزياء الجدية فقد وصفت لنا هيئات نوى السور (الذرات) وقالت أن هيئة النوى تتعلق بعدد نوتوناتها وبروتوناتها.

وثبت لهم [«أنه نادراً ما تتخذ القوى الذرية الشكل الكروي». «وعند التشوهات»<sup>(\*)</sup> الكبيرة أظهرت الحسابات فُرجة جديدة غير متوقعة في الطاقة عند العدد (٣٨). نتيجة لذلك يُتوقع أن تحصل نواة ذات N أو Z قريب من (٣٨) على ما يكافئ دفعة في اتجاه

(١) هواة العلم (مجلة العلوم الأمريكية - مجلد ٥ العدد ٤ تشرين أول ١٩٨٨).

(٢) الفيزياء المسلية - الجزء الثاني - ياكوف بيري يلمان - دار مير ١٩٧٧ ص ٢٧٢.

(٣) المرجع السابق.

(\*) ألتشوه هو اتخاذ النواة هيئة غير كروية حسب ظن الفيزيائيين.

التشوه. وبالتأكيد سوف يسود التشوه في نواة ما، إذا ما ساندت البروتونات والنترونات ذلك. ومن ثم تنبأ مولر ونكس بأن القوى القريبة من  $N$  أو  $Z = ٣٨$  يجب أن تكون ضمن أعظم النوى تشوهاً في الطبيعة، والتشوه المفرط للكريبتون ٧٤ (٣٦ بروتوناً و ٣٨ نترونًا) يؤكد هذا التنبؤ بشدة». «ومع ذلك فإن الموقف يتأثر بقرب العدد السحري الكروي (٤٠) من العدد السحري المشوه (٣٨)»<sup>(١)</sup>.

عدد النبضات والتوقف في مثل «فرانك دريك» هو  $(٢٩ \times ١٩)$ .

وزاوية مخر الماء (١٩) درجة.

وقوانين الهندسة المتعلقة بالمسافة بين العين والجسم المنظور إليه (٥٧) مرة من قطر ذلك الجسم هي  $(٣ \times ١٩)$ .

والعدد السحري المشوه للنوى الذرية هو  $(٢ \times ١٩ = ٣٨)$ .

فهل كل هذا يحدث من دون رابط بينها؟

وما علاقة ذلك بالنبأ «عليها تسعة عشر»؟

رأينا أن العدد ١٩ يتدخل في تكوين النوى.

وفي حركة الأجسام على الماء. وفي قوانين الهندسة.

كذلك في التفكير المنطقي الرياضي عند «دريك».

وهذا يدفعنا للانتباه إلى هذا العدد والسعي للعلم بأهميته وعلاقته مع وجود الأشياء وحركتها والبلاغ عنها.

لقد قال «دريك» عن مثله أنه ألوحيد! ومثله يطابق ما جاء في محاضرة الدكتور محمد رشاد خليفة عن العددين (١٩ و ٢٩).

ألا يدعوا هذا للدهشة!

وإذا نظرنا في أول سورة من القرآن نرى أنها تتكون من ستة عبارات يعلوها

---

(١) «النوى الذرية الغريبة جداً» (م.ع.أ مجلد ٤ العدد ٤ نيسان ١٩٨٨).

ويتقدمها القول ﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ ذو آ ١٩ كتاباً. وقد اختلف المفسرون في عدد كتب هذه السورة. <sup>(١)</sup> وخلافهم يبين أن القول المختلف عليه والذي يتكون من ١٩ كتاباً ليس من لون القول في السورة إلا أنه معه في وحدة السورة.

ومن المفيد أن نعلم أن «السورة» تدل على الشيء الذي يشترك في بناء ما.

وأن أى شيء يتكون من عدد من السُور (العناصر).

وأن «الآية» هى الشيء الذى يتكون من عدد من السُور (العناصر).

وتبادل «السورة» و«الآية» المواقع في البناء. حيث تتكون «السورة» من عدد من «الآيات» المكونة من «سور» أصغر. وهكذا حتى نصل إلى الكون جميعه. وهو ما يبلغنا القرآن عنه. وهو يتكون من سور يماثل عددها عدد سور التكوين والتي يبلغ عددها ١١٤ سورة وكل منها يتكون من عدد من الآيات. فإن ضرب عدد آيات سورة الفاتحة الست بالعدد ١٩ نحصل على عدد سور القرآن آ (١١٤)!

وما يدلنا عليه أسم «سورة الفاتحة» أنها السُورة الأولى - المبتدأ! وكأنها البداية التى انطلقت منها النشأة الأولى!

وحتى لا نتسرع فى قولنا ونوقع فى التخريص والظن نسأل فيزياء الجسيمات عن أكتشافاتها ونسير معها. وهى التى تقول «أن عدداً صغيراً من القوى يفسر سلوك أي شكل من أشكال المادة الممتدة من الجسيمات دون الذرية Subatomic إلى المجرات» <sup>(٢)</sup>.

إذن تعتمد الفيزياء على الاستنباط (الاستنتاج) انطلاقاً من «عدد صغير من

(١) للمفسرين ثلاث آراء في البسملة، الأول أنها آية في الفاتحة وبذلك تكون الفاتحة سبع آيات والثاني أنها ليست آية في سورة بما في ذلك الفاتحة، والثالث يقول أنها آية في كل سورة (ابن كثير - تفسير القرآن العظيم).

(٢) «هل الطبيعة فائقة الناظر» (مجلة العلوم الأمريكية - مجلد ٣ العدد ٦ كانون أول ١٩٨٧).

القوى». وهذا لا عيب فيه طالما أن الاستنباط يستند على أرضية حسية.

لقد قالت الفيزياء:

[«أن كوارك القمة هو سادس الكواركات وآخرها على الأغلب». «فالمادة تتكون من جزيئات مكونة بدورها من ذرات. وتتكون الذرة من نواة تحيط بها غيمة من الالكترونات. أما النواة فتتكون من بروتونات ونيوترونات». «ويتركب البروتون مثلاً من كواركين-فوق. وكوارك - تحت، أما النترون فيتركب من كوارك - فوق وكواركين تحت». «وخلافاً لما هي الحال في البروتونات والنيوترونات، فإن الالكترونات جسيمات أساسية على ما يبدو. وهي في الواقع تنتمي إلى فصيلة أخرى مما يسمى بالجسيمات الأولية (elementary particles) تعرف باسم الليبتونات Liptons. وهناك ست نكهات لليبتونات أيضاً: (\*) الالكترون Electron والميون Muon والجسيم تاو Tau ونيوتريو الالكترون Electron neutrino ونيوتريو الميون، ونيوتريو التاو»<sup>(١)</sup>.

وتتابع الفيزياء في توصيفها لجسيمات المادة بقولها:

«أن الكواركات الأكثر خفة [الكوارك الفوقي، والكوارك التحتي] تُكوّن البروتونات والنيوترونات المعروفة، كما أنها تُكوّن مع الإلكترونات الجدول الدوري بأكمله. أما الكواركات الأثقل [الكوارك البديع (الرقية) والغريب والقمة والقاعدة] والليبتونات فهي وإن كانت قد وجدت بكثرة في اللحظات الأولى التي تلت الانفجار الأعظم فإنها لا تنتج الآن إلا في المسرعات»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا الوصف لجسيمات المادة الأساسية نجد ست كواركات وست ليبتونات. أي أن الجسيمات الأساس ١٢ جسيماً.

ولننظر في النبأ التالي:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۖ ۞ ٣٦ التوبة.

(\*) الكواركات ستة أيضاً (الفوقي والتحتي البديع والغريب والقاعدة والقمة).

(١) «اكتشاف كوارك القمة» (م.ع.أ. مجلد ١٤ العدد ٥ - ١٩٩٨).

(٢) «اكتشاف كوارك القمة» (م.ع.أ. مجلد ١٤ العدد ٥ - ١٩٩٨).

الْعِدَّةُ تشير إلى المقدار والاستعداد (التهيؤ الكمي).

والشهر من شَهَرٍ ودليله في إعلان وأذاع وأظهر. والشَّهْرُ هو الشيء المعلن والمُذاع. وهو جزء من السنة يعرف من حركة القمر وميول محور الأرض عن الشمس.

وكتاب الله الحق هو الكون وفيه جميع كلمات الحق. من البداية إلى النهاية. والقرآن المنزل على قلب رسوله محمد هو كتابه الذي يمثل القول العربي المبلغ عن كتابه الحق.

وما أرنه في هذا النبا أن عِدَّةَ الشهور. التي تشير إلى مقدار واستعداد وتهيؤ للإعلان. جرى وصفها أثناء خلق (تصميم) الله للسموات والأرض وقبل تسوية هذا الخلق. وهذه العِدَّة هي اثنا عشر شهراً. وهذا يطابق وصف الفيزياء لعدد جسيمات المادة الأساس. كما يطابق عدد كتب (حروف) القول «عليها تسعة عشر».

من هذه الشهور «أربعة حُرُم» أي محمية وممتنعة. وقالت الفيزياء عن كواركات أربعة أن ظهورها في المسرعات يتطلب طاقة عالية. لهذا النبا تأويلان:

الأول: أن الشهر جزء من السنة على الأرض ومنها أربعة حُرُم. ثلاثة متوالية هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم. وواحد فرد وهو رجب.

والتأويل الثاني: أن الشهر مهياً للدخول مع غيره من الشهور في تكوين المادة بعد أن يأتيه الأمر على هيئة طاقة حفّازة.

ورأى الفيزيائيون أن الكواركات (ألبديع والغريب والقاعدة) كانوا قد ظهوروا في المسرعات على التوالي وبطاقات عالية. أما الكوارك الرابع وهو كوارك القمة فقد تطلب ظهوره في المسرع [تركيز طاقة هائلة في حيز دقيق]<sup>(١)</sup>.

(١) «اكتشاف كوارك القمة».

وفى هذا الوصف الفيزيائى ما يطابق النبأ فى القرآن . فالأشهر الحرم فى السنة القمرية أربعة . ثلاثة متوالية وواحد فرد .

كذلك هو حال ظهور الكواركات فى المسرعات . فهى أربعة . ثلاثة متوالية الظهور وواحد فرد .

والشئ الذى يقوى ما رأيته فى البلاغ (٣٦ التوبة) أن سورة التوبة هى السورة الوحيدة فى القرآن التى لا يعلوها القول ﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ . وأن النبأ فى البلاغ ٣٦ التوبة يضم معلومة تسبق التسوية للوجود المادى .

وهذه المعلومة تبين لى عدة الكواركات (الشهور) التى سيطلب إليها أن تبنى الكون جميعه .

وهذا يبين مسألة ﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ التى تتكون من ١٩ كتاب وأتى تمثل الأمر الحفاز لهذه الكواركات للبدء بتسوية مناهجها التى تكون ذاكرتها وهدايتها .

وسورة الفاتحة تمثل أول تكوين كامل لها .

بسم آباء واسطة (حرف جر) .

و«سم» تحديد وتعليم لوجهة استعمال الواسطة (أسم مجرور) .

وحسب قواعد اللغة الفصحى فالجار والمجرور متعلقان بفعل أمر تقديره :

أبدأ أو أفتح Start .

والرحمن أسم مطلق للرحم . وهو على وزن فعلان . وهو وزن الصفات المطلقة الحفازة . مثل شعبان وجوعان وعطشان وحيوان وموتان الخ . . فهو أسم يدل على مطلق التوليد والتطور .

أما الرحيم فهو أسم للرحم المقيّد على وزن فعيل . وهو وزن الصفات المقيّدة وفيها دليل الكبح والتوقيف تدلّ عليه أليود الحاملة لمنهاج (ألياء المنقوطة) .

بين الصفتين تناقض (مطلق ومقيّد) يبيّن تناقض (الصف والجزر) في سورة  
الصافات.

لقد وجدت عند الفيزيائيين وصفًا لبنية المادّة الأساس ولتكوّن النوى ولعلاقة  
الهيئة بالعدد السحري المشوّه (٣٨). وللزاوية المتعلقة بالآثر الذي يتركه قارب  
يمخر الماء. ولقوانين الهندسة المتعلقة بمسافة جسم عن عين ناظرة إليه. وعلاقة  
ذلك كلّ بالعدد (١٩).

كما أنّ «التعبير المنطقي الرياضي» يقوم على علاقة حصرية للعديدين ١٩  
و ٢٩.

إلا أنني لم أجد تفسيرًا لهذه العلاقة. كما أنني لم أقدم مثل هذا التفسير  
المطلوب. وجلّ ما قمت به هو المقابلة بين الأنبياء في القرآن التي رأيت منها ما  
يوازي النبأ في الفيزياء وصفيًا.

هناك تناقض في وصف الفيزياء للجسيمات. فهي تقول عنها «أنها لا تتج إلا  
في المسرّعات». في حين أنه يجري تصادم جسيدي في هذه المسرّعات بطاقات  
عالية تدفع هذه الجسيمات للتفكك كاشفة عن محتوياتها التي «وجدت بكثرة في  
اللحظات الأولى التي تلت الانفجار الأعظم»<sup>(١)</sup>.

ولما كنت لا أناصر مسألة الانفجار الأعظم وأقول أن هناك فجراً وما زال  
الفجر ينبع بهذه الجسيمات. فإنني أقول أن هذه الجسيمات ما زال تدفقها على  
شدّته حتى اليوم.

لقد جاء النبأ في القرآن واصفًا لنا هذه الجسيمات:

﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًا / ١ / فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا / ٢ / فَالتَّالِيَتِ ذِكْرًا / ٣ /﴾ الصّافات.

فالجسيمات لوانان (صافات) وهي ما دلّ عليه في القرآن بأسم الشهور  
ال ١٢. و(الزاجرات) وهي ما دلّ عليه في القرآن بالعدد «عليها تسعة عشر».

(١) «اكتشاف كوارك القمة».



لقد قسم الفيزيائيون الجسيمات إلى لونين أصليين :

الأول الفيرميونات<sup>(١)</sup> Fermions (أليبتونات وألكواركات) وعددها ١٢ جسيماً. وهذا يقابله في القراء اسم الشهور وهي (الصفات).

والثاني البوزونات Bosons وهي جسيمات وسيطة قوى التفاعل وعددها ١٨. <sup>(٢)</sup> يقابلها في القراء اسم (الزاجرات). وأجد في البوزونات الثمانية عشر أنها تنقص بوزوناً حتى تكون مطابقة لعدد القوى في القراء «عليها تسعة عشر». وهو ما تمثله آية ﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ الأمر الحفاز للصفات من أجل الترابط. والصفات الـ ١٢ تبقى من دون أى علاقة ترابط حتى يأتيها الأمر الحفاز على هيئة طاقة من الخارج. وهو ما تقوم به الزاجرات الـ ١٩. وهذا هو حال كل التفاعلات حيث تبقى فى وضع العطالة حتى تأتيها طاقة حفازة من الخارج.

يقول «ديفورث» معللاً العطالة التفاعلية :

[«لو كان الصدا ينخر الحديد خلال ثوابن وكان الأوكسجين يتحد مع الهيدروجين فى كل الأحوال وبدون مذهبهما بالطاقة، ولو كانت العناصر الكيميائية والجزئيات الموجودة تتفاعل مع بعضها البعض فى كل لحظة بدون أية عوائق، لعنت سطح الأرض الفوضى الكيميائية الشاملة». «على العكس من ذلك لو سيطر الخمول التفاعلي الكامل، أى لو تألف العالم من «العناصر الكريمة» فقط لكان عالماً لا يخضع للتغيرات ولا يمتلك القدرة على التطور»]<sup>(٣)</sup>.

اسم (الرحمن) هو المتحكم فى جميع التكوينات المادية الحية من البداية إلى النهاية. وهو ما بينه ألبلاغ :

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ه طه .

(١) «هل الطبيعة فائقة التناظر؟» (م.ع.أ. مجلد ٣ العدد ٦ - ١٩٨٧).

(٢) المرجع السابق.

(٣) تاريخ النشوء - ديفورث ص ١٠٤.

هذا الاستواء حصري لاسم الرحمن. ولا يشاركه أسم آخر فى ذلك. وهو يمثل الأمر الطاقى ذاته «تسعة عشر». فى حين يمثل أسم الرحيم سمة العطالة التفاعلية فى الصفات.

وفى الأمر التالى يبين لنا أن الله يملك وحده الأسماء الحسنى. وهى أسماء مواصفات الخلق والصنع والإتقان والجمال الكاملة الجيدة. وهى صفات خلقه وصنعه وحده:

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ١١٠ الأسراء.

دعوا بالشىء دعوا ودعوة ودعاء ودعوى. طلب أحضاره واحتاج إليه وأستعان به «رغب إليه»<sup>(١)</sup>.

وجهة الإنسان فى الحياة كيفما كانت أمامه الله من خلال سمات فعله فى الوجود بكل ألوانه. فهو الرحمن لمن يبحث فى علوم النشوء والتطور الحى. وهو الحى القيوم لمن يبحث فى علوم الحياة والموت. وهو الكبير المتعال لمن يفكر فى السلطة والتكبر والعظمة. وهو الملك الحق لمن يفكر ويبحث عن الملك والتسلط الخ.. ويبين ذلك البلاغ:

﴿فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ١١٥ البقرة.

وعليه فإن توجهات البحث العلمى يجب أن تنطلق فى وجهة السمة الحسنى المناسبة لمسألة البحث على أنها سمة الفعل الإلهى.

والإنسان الباحث عندما يؤمن بوحدانية الخالق يستطيع أن يدعوه بالأسماء الحسنى لأنها تمثل سمات أفعاله وصنعه.

وعليه أن يعلم أنه لا يستطيع أن يبلغ هذه السمات. وكل من يحاول أن يتخذ لنفسه ولما يصنعه هذه السمات يوقع فى ظلم نفسه وظلم المكان (البيئة) وظلم الناس.

(١) المعجم الوسيط.

إذا عدنا إلى سورة الفاتحة التى تحتوى على ست آيات تعلوها آية ﴿يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ﴾ وهى معها فى وحدة السورة. ووازننا سورة الفاتحة بسورة الهدروجين (وهى سورة الماء ومنها كل شىء حى) التى تتكون من بروتون أساسه الجسدى ثلاثة كواركات وثلاثة بوزونات. فإن هذه الكواركات والبوزونات الست كل منها يقابل آية فى سورة الفاتحة التى يعلوها الأمر الحفّاز ﴿يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ﴾.

وأرى فى سورة الهدروجين أنّ «الإلكترون» هو الذى يقابل الأمر الحفّاز ﴿يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ﴾. وأنّ «الإلكترون» هو الذى قالت عنه الفيزياء «إنه جسيم أساسي على ما يبدو».<sup>(١)</sup>

إلا أن صعوبة تعترضنى فى مقارنة «الإلكترون» بالأمر الحفّاز ﴿يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ﴾ لأن الأمر مكون من ١٩ كتاب. وحتى يكون «الإلكترون» هو المقابل للأمر ﴿يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ﴾ يجب أن يكون مكوناً من ١٩ جسيم من لون البوزونات (وسيطه قوى التفاعل). أو أن يكون البوزون التاسع عشر الذى أشرت إلى ناقصه سابقاً.

وهنا تعترضنى كذلك مسألة جديدة تتعلق بعدد الجسيمات الأساس وخصوصاً الليبتونات التى يصنّف الإلكترون على أنه منها.

والذى يجعلنى أثير هذه المسألة أن الفيزياء لم تقطع فى وصفها لـ الإلكترون فى قولها عنه «أنه جسيم أساسي على ما يبدو». وأنها وجدت أنّ عدد الكواركات هو ١٢ (ستة وستة مضادة). أو ستة ذكور وستة إناث. وهذه الكواركات بلونيتها هى التى أرى أنها عدّة الشهور كما بين بلاغ القراءان وليس كما تقول الفيزياء الليبتونات والفيرميونات.

وما يقوّى إثارتى لذلك أن الله أنبأ أن الجسيمات الأساس (الشهور) عددها

(١) «اكتشاف كوارك القمة».

١٢ «أَتْنَا عَشَرَ شَهْرًا». وأن عدد القوى وسيطة التفاعل عددها ١٩ «عليها تسعة عشر».

من هذه المقابلة بين أسم العدة والقوى في القراءان وفي الفيزياء أجد أن الاختلاف بينهما قائم في اللسان المبلّغ. والسبب أن قوم الرسول ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾.

وأرى أن التفعّل الحاصل من هذه المقابلة هو في متابعة التوجه للنظر في كتاب الله الكوني وتوجيه الأمر فيه بنور البلاغ في القراءان.

وفي عودتنا إلى سورة الفاتحة يتبين أنها أول سورة في الوجود نجمت عن ترابط الجسيدات الـ ١٢ وكانت هي السورة التي تمثل (الشفع والوتر) وهي ما تمثله سورة الهدروجين في الفيزياء.

وإذا عدنا إلى دليل كلمة ذرة في اللسان الشامية نجد أنه أصل يدل على النثر والبذر والنسل!

وسورة الفاتحة التي تمثل (الشفع والوتر) هي البذرة الأولى لجميع التكوينات الحية اللاحقة على بناء السورة الأولى.

إذا كانت السورة أو حتى الأجزاء التي تتكون منها (البروتون أو الكترون) لا تحتوى هذه الجسيدات فمن أين جاءت الجسيدات داخل المسرعات؟

الجسيدات الأساس «أَتْنَا عَشَرَ». وهي التي تمثل العدة الكاملة للوجود المادى. وهي التي جاء أسمها في القراءان «أَتْنَا عَشَرَ شَهْرًا» وأفعالها هي «الصفات». وهي موجودة حرة طليقة عند الفجر. وأن تفعيل ذاكرتها (الهداية) يلزمه حفز تقوم به «الزاجرات» الـ «تسعة عشر».

وبتفعيل الذاكرة تقوم الصفات بالترباط حتى تصبح غير موجودة للنظر إلا في مكانين:

الفجر.

وفي المسرعات.

وهذا هو الأمر المنطقي . لأنها لو كانت حرة في كل مكان لما وُجدنا نحن لنقوم بالنظر إليها .

وفي اختفائها عبر الترابط تكوّنت السورة والجزيئات والكواكب ومنها أرضنا التي نبتنا منها .

وأستطيع القول أن السور (العناصر) الواردة في تصنيف السور (الجدول الدوري) تتكون جميعها من السورة الأولى (الفاتحة) وهي ليست في الأصل إلا جزيئات . وأن (الفاتحة) هي السورة الوحيدة في الوجود التي تكوّن منها الوجود الظاهر جميعه .

أسماء السور في القرآن مثلها مثل الأسماء الأخرى هي كلمات شامية اللسان عربية البيان . فالسورة التي تلي الفاتحة في تسلسل القرآن تحمل أسم (البقرة) الذي يشير اسمها إلى التوسع والإكثار والإفاضة .

فالفاتحة بعد تكونها من (شفع ووتر) ومن استمرار فعل الأمر الحفّاز تبدأ أفعال ترابط جديدة بين السور الأولى فتكوّن (٢٨٦) آية (رابطة جزيئية) . وهو ما تمثله سورة البقرة . وهذه الروابط الجديدة يجرى تحفيزها هي الأخرى فتكوّن (٢٠٠) آية (رابطة جزيئية) وهو ما تمثله السورة الثالثة ءال عمران . التي يشير اسمها إلى سلسلة البناء والتحكم فيه .

ثم يأتي دور السورة الرابعة النساء . وفيها دليل الاستمهال وانتظار فعاليات التطور في البناء والتباعد في الألوان . وعدد روابطها (١٧٦) آية .

ثم يبدأ تكوين السورة الخامسة المائدة التي تمثل الحركة والاضطراب الجيولوجي الذي ينشأ عنه الميدان وطبقات الأرض وءاياتها (١٢٠) .

ثم يأتي دور السورة السادسة الأنعام الذي يشير اسمها إلى النضارة والليونة والمادة الحية وعدد ءاياتها (١٦٥) .

وهنا أجد تفسيراً للأيام الستة التي بدأ بعدها التطور الكبير في المادة الحية .  
وعن ذلك جاء في البلاغ :

﴿قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ / ٩ / وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَنَزَلَ فِيهَا فَجْرًا وَأَفْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِئْسَ بِلَيْلٍ / ١٠ / ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ / ١١ /﴾ فُصِّلَتْ .

وأرى الأرض في هذا النبأ واضطرابات الجيولوجية ومنها البراكين التي كونت غلافاً دخانياً حولها . واليوم عندنا ٢٤ ساعة وعند الله يكيل بمكيال نسبي هو ألف سنة فيما يتعلق بتدبير الأمر :

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٥ السجدة .

وخمسون ألف سنة في المنعطفات الحادة (الزلازل والهزات) :

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٤ المعارج .  
فالأيام الستة قد يكون اليوم منها مليون سنة أو مليار سنة كما هو حساب السنين الضوئية .

وأرى في النبأ أن المادة الحية بدأت أفعالا جديدة منها فصل الأوكسجين وإطلاقه دخاناً في الجو . فقد جاء في البلاغ :

﴿فَقَضَيْنَهُنَّ نَسَبَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ١٢ فُصِّلَتْ .

وفي هذا البلاغ أن قميص الأرض (غلافها الجوى) قد كمل . وأن الأيام الستة قد انتهت .

ثم يأتي دور السورة السابعة الأعراف . الذي يشير أسمها إلى الملامح وتحديد ألوان الأشياء وميزاتها وعلامات فيها . مثل اللون والرائحة وفعل الحس الحى وءاياتها (٢٠٦) .

ثم يأتي دور السورة الثامنة الأنفال الذي يشير أسمها إلى العطاء والزيادة والكسب وءاياتها (٧٥).

وبين السورة السادسة والثامنة يومان تكونت فيهما السماء الدنيا بفعل المادة الحية.

الأمر ﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ يعلو السور الثمانية من الفاتحة حتى الأنفال. وهذا يدل أن أحداث التكوين جرت وفق سمة الرحمن الحفازة والمتحكمة بجميع فعاليات التكوين والتطور الحي.

أما الارتقاء بفعل النفس إلى مرتبة الروح فليس من سلطة سمة الرحمن الذي وصل بالمادة الحية إلى طور بشر. وأن الارتقاء بالبشر إلى الإدراك والعقل يحتاج إلى تدخل الله وهو أسم لنور السموات والأرض. وهذا ما يبينه البلاغ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ ٧٢ ص.

فالارتقاء بالبشر إلى طور الإدراك والعقل جرى بإدخال منهاج من الله إلى الذاكرة الرحمانية. وهذا من خارج سلم التطور الرحمانى. ولا يمكن بلوغه من دون هذا التدخل الإلهي والذي يمكن للإنسان الصالح أن يفعله لاحقاً.<sup>(١)</sup>

وعندما نوصل إلى السورة التاسعة التوبة. التي يشير أسمها إلى الطاعة والتحكم بالسلوك بقوة وعى وموقف حر يتولد عن فعل الزوج. لا نجد الأمر الحفاز ﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ يعلو هذه السورة.

كما نجد أن ما تحتويه السورة لا يمثل أنباء رحمانية. بل هناك تعليمات عن المعاهدات والقتال وإخلاء سبيل من تاب ودرجات المؤمنين وفوزهم ومنع اتخاذ الألباء الكافرين أولياء الخ.

وكل ذلك ليس من سمات التوالد والتطور المادى. وجميعها تمثل معلومات للتحكم فى أفعال وأعمال وعلاقات الإنسان. ونجد فى هذه السورة أن الآية

(١) راجع مقالنا كسب المعلومات من هذا الكتاب.

(٣٦) المتعلقة بعدة الشهور لا تخبرنا عن تكوين أو تطور ولكنها تقدم لنا معلومات عن عدة الجسيدات الأساس (الشهور) قبل جرى التسوية الرحمانية والتي يلزمها عند البدء بالتسوية الأمر الحفاز ﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾.

كما نجد في آخر هذه السورة آية مكية جاء فيها:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ١٢٩ التوبة.

﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ هو صاحب الأمر الكبير الفاخر وهو ما يمثله الأمر بالروح. وهو وصف يفرق عما جاء في بلاغ آخر:

﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ ١١٦ المؤمنون.

ف ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ هو صاحب الأمر التام السوى الذى لا نقص ولا زيادة فيه. وهو ما يدل عليه اسم كريم. وهو الذى يمثله ﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ وفيه سلطة اسم الرحمن.

فى البلاغ (١١٦ المؤمنون) نبأ عن المالك والسيد الحق لصاحب الأمر التام الذى هو الله. سواء أعلم الناس بذلك أم لم يعلموه.

وفى البلاغ (١٢٩ التوبة) إقرار عاقل مؤمن يتوجه إلى الله عن وعى وإرادة.

ولو أن ﴿وَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ كانت من سلطة الرحمن لوجدنا الكثير من الكائنات الحية الراقية النشأة بل جميعها قد وصلت بتطورها الذاتى الرحمانى إلى الروح والأنسنة.

إن سور القرآن ١١٤ سورة. وسورة التوبة وحدها من بين هذا العدد لا تعلوها آية ﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾. وأسم الرحمن يفعل فى الوجود الحى من عدته إلى نهاية التكوين باستثناء ﴿وَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾. لأن سلطة اسم



الرحمن قائمة فى كلمات الله الحية التى لا مبدل لها وفعلها فيها هو عين التشيؤ الوجودى الحى .

وأورد أمثلة عن التدخل المباشر لله :

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ١٢ الأنفال.

﴿فَلَمَّ تَقَاتَلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ ١٧ الأنفال.

فى البلاغين نبأ عن تدخل مباشر من قبل الله فى القتال لصالح المؤمنين . وفيه كشف عن وسيلة التدخل بواسطة الملائكة . وهذا يبين لنا وسيلة تدخله بالنسبة لـ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ .

وقبل نهاية المقال أريد أن أذكر ببعض ما جاء من إحصاء عند الدكتور محمد رشاد خليفة يتعلق بالعدد ١٩ :

عدد كتب (حروف) ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ١٩ .

عدد سور القرآن ١١٤ = ١٩×٦ .

تكررت آية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ١١٤ مرة ١٩×٦ (أثنتان فى سورة النحل) .

وردت كلمة الدنيا ١١٤ مرة .

وردت كلمة الآخرة ١١٤ مرة .

وردت كلمة الصراط ٣٨ = ٢×١٩ .

وردت كلمة الله ٢٦٩٨ = ١٩×١٤٢ .

وردت كلمة رب ١٥٢ = ٨×١٩ .

وردت كلمة الحقّ ٢٢٨ = ١٩ × ١٢ . وهو جميع الحقّ في التكوين ١٢ شهرًا  
وعليها تسعة عشر).

وردت عبارة عمل صالحًا ١٩ مرة.<sup>(١)</sup>

---

(١) عن كتاب إنذار من السماء تأليف نيازي عز الدين .

## كلمة أخيرة

كان الدافع وراء هذا التناول للدليل أسم بعض سور القرآن للتذكير بمفهوم الكلمة (المصطلح) في القرآن. وقد رأيت في كلامه ما يمثل مصطلحاً حقاً في العلم بلسان عربي.

وقد أرتبط هذا الدافع بمسألة البحث عن النشأة الأولى وأعلم بها كما جاءنا به البلاغ من الله.

وما كان هذا الدافع ليتحقق إلا من الأفعال الجارية في البحث العلمي الذي أرى أنه يمثل طاعة للأمر الإلهي ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾.

وما مقابلي وعقلي بين بلاغ القرآن وبلاغ الفيزياء وتسليط النور على العدد ١٩ ومعه العدد ٢٩ في المكانين إلا لغاية إثارة البحث وتسليط النور على هذين العددين وعلاقتهما بالنشأة الأولى. وهي التي تناولناها في بحث النشأة الأولى في هذا الكتاب.

هذا من وجهة.

أما الوجهة الثانية فلغاية إسقاط النظرة الخرافية السائدة في عقول الباحثين عن كتاب الله.

وأقول عن نفسي في نهاية هذا الكتاب أنني لا أدعى أن ما عرضته هو الفهم النهائي لكتاب الله. بل هو محاولة قد تتكرر إذا شاء الله.

وأجد أنه من حقّي أن أقول من دون أن أطلب من أحدٍ الإتياع .  
كذلك لست أدعى لنفسى العلم الفيزيائى أو البيولوجى أو الكوسمولوجى  
الذى ظهر بعضه فى بحوث هذا الكتاب . وأرجو أن يكون ما ظهر منه لا يخالف  
ما جاء فى هذه العلوم .

لقد كانت موازنتى بين ما كشف عنه العلم الإنسانى فى الوجود مع بلاغ  
الكتاب تنطلق من إيمانى أن الله عليم وأن كتابه يجب أن يحتوى جميع العلم .  
وأن اكتشافات العلماء محدودة بالعلم فى كتاب الله الذى أنبأنا عن مقداره :

﴿وَمَا أُوتِشِرَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥ الأسراء .

وأن اكتشافات العلماء هى تأويل للنبي التالى :

﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأُكُمْ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٨٨ ص .

وما أمر الله لنا :

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ ٢٠ العنكبوت .

إلا هداية لنا إلى الله العليم بوسيلة ما نكتشفه من سنن «كيف بدأ الخلق»  
وموازنته مع بلاغه لنعلم أن الله عليم وأنه هو الذى خلق هذا الذى نكتشفه ونحن  
منه كما يبين البلاغ :

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ لصفات .

تمّ هذا الكتاب يوم الأحد ١٤-٣-١٩٩٩ .

# الكلمة

الكيونة والبلاغ والدليل والموقف  
بحث في النبأ المقارن مع بلاغ البحث العلمي



## الإهداء

أوجه كتابي هذا إلى جميع العاملين في حقول البحث العلمي. وفيه أتناول الكلمة الحق التي جاءت في النبأ عنها:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ١٠٩ الكهف.

كما يتناول كلمة البلاغ:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٧ لقمان.

ومن البلاغين يتبين أن الكلمة التي نبأ بها عن الحق تفوق كلمة الحق سبعة أضعاف. لأن كلمتنا نحن عن الحق ليست الحق. بل هي صورة له في كل طور من أطوار علمنا. وهي صورة تشبه كلمة الحق في كل طور علمي.

لقد اكتشف «أينشتاين» بنظره هذا الفرق بين الصورة والحق. وأطلق عليه اسم «النسبية».

وكان البلاغ العربي (القرءان) قد جاء بالاسم «مشابه» عن هذا الفرق. الشيء الحق متغير والبلاغ عنه متشابه.





## مدخل إلى البحث

موضوع هذا الكتاب هو الكلمة. من حيث هي حق ومن حيث هي بلاغ. وما تقدمه لنا القواميس وكتب الميراث عن الكلمة لا يكفي لإجراء البحث. ولذلك كان أمامنا بحوث علمية مختلفة. وبالمقابل رتلت بلاغات من القراء احتوت على الكلمة. وتوصلت إلى إدراك وجود كلمتين:

الأولى هي التي يحق وجود الشيء بها. أي جعله حقًا وجوديًا محسوسًا. وقد جاء النبأ عن هذه الكلمة:

﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ ٨٢ يونس.

والثانية هي الكلمة التي ننطق أو نخط ونعرب بواسطتها عن أصل الكلمة الحق في الوجود.

وقد وجدت أن الكلمة الأولى لا يرتبط وجودها بوعينا. وأن وجودنا ووجود وعينا هو بفعل هذه الكلمة. وفعلها يجري في ساحة الحق الوجودي.

أما الكلمة الثانية فهي وسيلتنا لإدراك الكلمة الأولى (الحق). ولها وجهة تكاد تماثلها. وهو ما يسمى في نظرية العلم بـ «النسيية».

كما لها وجهة تخالف الكلمة الحق وتوقعنا في الباطل.

ورأيت أن الكلمة الثانية (بلاغنا) تملك القدرة على ألفعل بذاتها حتى ولو كانت الوجهة تخالف الحق. وقد جاء في النبأ عن هذه الكلمة:

﴿وَنُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ / ٤ / مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۚ / ٥ /﴾ الكهف.  
 ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ هي الكلمة التي ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾. هذه الكلمة «كَبُرَتْ». وهي تفعل في بناء أفكارهم وبها يتولد القول المخالف للحق. وهذا بفعل لزوم امتناع التناقض ولزوم سير التكوين بمقدمات بنائه.

بدأ نشؤ كلمتنا مع تحوّل البشر إلى إنسان بواسطة التدريب على توسيع النشاط الفيزيائي في أقسام الفؤاد الذي يجري من خلال استقبال المؤثرات الخارجية عن طريق الحواس الرئيسة. هذا التدريب تواصل عبر أجيال من البشر حتى وصل إلى طور الخبرة الذاتية. وقد قام بالتدريب خبراء جاء النبا عنهم على لسان قوم نوح الذين عارضوه ورفضوه:  
 ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾ ٢٤ المؤمنون.

إن نشؤ كلمتنا تحقق بواسطة نفخ الروح. وكان لكلمتنا منذ البداية علاقة وثيقة بالوجود بسبب نشأتها الحسية.  
 وبفعل سنة الاصطفاء التي تفعل في الوجود الحق امتد فعلها إلى كلمتنا ذاتها. وبذلك بدأ الناس ينقسمون إلى مؤيدين ورافضين بعد أن انقسمت الكلمة إلى وجهتين:

الأولى متشابهة تماثل الحق في تغيره وتطوره.  
 والثانية ظنية تخالفه.

وكانت أول ثمار هذه السنة في المملكة البشرية ارتقاء آدم طليعة الإنسان الأدمي وتابع فعل الاصطفاء في هذه المملكة وما يزال:  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ٣٣ آل عمران.

وسيقى إلى نهاية الوجود الإنساني.

استمر الناس في أمة واحدة خلال فترة التدريب لكسب الخبرة الذاتية. أي خلال التدريب الذي جاء لأجله الملائكة. ولما بلغ التدريب حدًا أصبحت فيه الخبرة الذاتية للإنسان قادرة على اتخاذ دور المدرب بدأ الاختلاف بين الناس ونشأ عنه تفرق الأمة الواحدة إلى أمم مختلفة. وقد جاء في النبيا عن ذلك :

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٢١٣ البقرة.

وفيه أن الناس ينقسمون إلى قسمين :

فريق يقبل النبأ ويلتزم به.

وفريق يرفضه ويقاومه.

وأمّتدّ الرّفرض والمقاومة فوصل إلى العدوان على الفريق الأول الذي اختار فيما بعد الهجرة (بسبب قلة عدده) عن الرافضين المعتدين. وحمل معه بذور تطور كلمة البلاغ وفعلها.

وبسبب الاختلاف والهجرة بدأ فعل الاصطفاء في المفاهيم وكلمات البلاغ. فتكوّنت ألسن مختلفة تعود جميعها إلى أصل واحد يبدأ مع نفخ الروح ويفترق من بعد بعث النبيين.

وهذا ما وجده علماء اللسانيات بأعمالهم المقارنة لأصول الكلمات التي تشترك في تسلسل أبجديتها في ألسن مختلفة.

في هذا الكتاب لا آتناول ألسن الإنسانية على اختلافها. ولا أجرى مقارنة بين كلماتها وتسلسل أبجديتها. فهذا من الأعمال المقارنة. لكن أسعى إلى مقارنة الكلمة سواء كانت منطوقة أم مخطوطة. كما هي في ألسان الشّامى الذي حمل ألوحى. أو كانت مصطفة وفق تسلسل في كتاب الوجود كما تبين بلاغات البحث العلمى. وأقارن ذلك مع النبيا في القرآن.

ولقد رأيت أن لسان القرآن العربى يمثل صورة عن كتاب الوجود الحق . وهذا ما ستبينه الفصول القادمة . كما توصلت بهذه المقارنة إلى القول أن لسان القرآن . وهو لسان شامى الأصل . يتصل وجوده مع نشأته الأولى من دون انقطاع .

ولذلك رأيت أن أبدأ كتابى هذا بالتعرف على ميزات هذا اللسان الذى وكّد معظم الناظرين فيه أنه الأطول عمراً والأكثر مادة . وأن فهم بناء الكلمة فى هذا اللسان هو مفتاح فهم بناء الكلمة الحق .

## الكلمة الشامية

يقوم بناء الكلمة فى الألسن الشامية على أبجدية ثلاث. ويميز هذه الألسن تعدد أصوات الحلق (أ ع ح هـ) وأصوات الإطباق (ق ط ص ض) وهى أصوات لا تعرفها غير الألسن الشامية.

وتبرز أهمية الأصوات الساكنة (ب ت ث ج . . الخ) فى هذه الألسن وبها يقوم بناء الكلمة.

ومع هذه الأصوات أصوات محمولة هى الحركات. وأرى فى الأصوات المحمولة (الضم الفتح الكسر الإشباع) أنها تتولى القيام بفعل التطور. أى توجه الدليل الأساس للكلمة إلى بناء ودليل جديدين.

ويشارك فى فعل التطور زيادة أبجدية على أصل البناء سواء كانت الزيادة فى أول الكلمة أم فى وسطها أم فى آخرها. فكلمة (كُتِبَ) يتعلق دليلها بالأبجدية الساكنة (ك ت ب). أما تطور الكلمة فيبينه المثل التالى:

تطور بواسطة الأصوات المحمولة كما فى (كُتِبَ كُتِبَ كُتِبَ).

تطور بواسطة الأصوات المحمولة وزيادة فى عدة البناء الأساس كما فى (كُتِبَت كُتِبَا كُتِبُوا كُتِبَ كَاتِبُ كَاتِبُ أَسْتَكْتَبَ تَكْتَبُ الخ . .).

وسبب كثرة الأصوات الساكنة فى الألسن الشامية كونها تكون عدة البناء الأساس للكلمة. وأرى أن وسيلتى التطور تسبب وجود كلمات عديدة جميعها تشترك بأصل واحد ودليل أساس.

منذ بداية الاختلاف بين الناس وبداية فعل الاصطفاء في كلمة البلاغ. ومع افتراق الناس عن أصل أمة واحدة. بدأت تنشأ فصائل كونت فيما بعد كل منها أمة. وافتقرت عن غيرها في كثير من الكلمات. وكان نصيب الأمة الشامية أن تفرقت إلى فرق عديدة مع كل طور تدريب على الخبرة بواسطة أنباء جديدة. فنشأت ألسن شامية متعددة بسبب دخول كلمات جديدة على لسان فريق صدق وءامن بالأنباء ونزلها في قلبه لتكون الوسيلة للاصطفاء والعلو على الذين امتنعوا ورفضوا الأنباء وقاوموها.

وبفعل الاصطفاء تابع لسان فريق من هذه الأمة تطوره حتى تمكن من حمل رسالة الله بلسان عربي مبين (القرءان).

أما بقية فرق الألسن الشامية الأخرى فقد تراجعت بسبب الوقوف في وجه التطور ومقاومته. وما بقي منها ما هو إلا بقية أثار تساعد في تقديم المادة الأثرية لهذا اللسان الذي حمل الوحي الإلهي إلى طوره الأخير.

ولما كانت الكلمة تقدر على الفعل بذاتها فإن كلمات الفعل هي الكلمات الأساس في اللسان الشامي. بما في ذلك الكلمة الاسم. وللفعل في الألسن الشامية بكل فروعها الحي والमित هيئة أساس ثلاثية البناء. وإن التصاق ما يسمى بالضمائر فيه يحدد هوية الفاعل (متكلم مخاطب غائب مفرد جمع مذكر مؤنث).

وتحدث زيادة الأبجدية في الكلمة عن الأصل الثلاثي بطريق التضعيف لواحد من أبجديتها بالتشديد الذي يبين تطور الدليل والكلمة معاً (فَعَلَ فَعَّلَ). أو عن طريق الزيادة في عدة البناء (يفعل يفعل أنفعل أفتعل تفاعل . . الخ).

وكنيت في كتاب «الدين خرافة أم علم؟» قد تناولت هذه المسألة من جانب آخر. وقلت أن الفعل في الألسن الشامية هو أساس ومصدر التحول والتطور (الاشتقاق) استناداً إلى أنباء في القرءان الذي يبين أن الوجود الحق ينجم عن الفعل «كن».

وأوجز ميزات اللسان الشَّامي بما يلي:

- ١- البناء فيه يقوم على الأبجدية الساكنة.
- ٢- بناء الكلمة ثلاثي التكوين وما زاد فيه هو تطور وعلوّ. وكلمة الفعل ثلاثية التكوين وهي الأصل الَّذِي تتولد عنه بقية الكلمات.
- ٣- أثر ورائحة الفعل تنبعث من جميع كلماته.
- ٤- قدرته على التطور والتعريب عن كل مسائل الوجود الحقّ.

وأتوقف عند هذا الموجز ومن يرغب في الزيادة يمكنه أن ينظر في كتب اللسانيات قديمها وحديثها. على أن لا يغفل عن التأثير الفارسي<sup>(١)</sup> الَّذِي يرى أن الاسم هو مصدر ولادة الكلمات وليس الفعل. وفي فصل «البلاغ عن الكلمة الحقّ» في هذا الكتاب سنعود إلى اللسان الشَّامي مع الرمز في لسان القرءان العربي.

---

(١) راجع كتاب (من تاريخ النحو) للاستاذ سعيد الأفغاني. له رأى في التأثير الفارسي نشد يدنا معه في الأمر.





# الكلمة الحقُّ

- الكلمة الحيَّة «البيولوجية» .
- ألبلاغ عن الكلمة الكينونة (الحقّ) .
- الكتاب المبين .
- الكتب الأولى .



## الكلمة الحية «البيولوجية»

يرى علماء البيولوجيا الجزئية أن الأشياء الحية تتكون من كلمات ثلاثية البناء. وبدأوا يتعرفون على هذه الكلمات والنظر في ما تدل عليه. وهم يجاهدون وينذرون حياتهم في المحراب (المخبر) للوصول إلى بيان دليل هذه الكلمات بمراقبتها المستمرة بوسائط يجرى تحسينها باستمرار. ومن تعريفاتهم لما ينظرون فيه ما ورد في قول «دوليتل»:

[إن كل شيفرة Codon تحدد بصورة صحيحة نوعية حمض أميني واحد، فإن بالإمكان تحديد نوعية أغلب الأحماض الأمينية بأكثر من شيفرة واحدة. ومفتاح الرموز هو اختيار تسلسل قليل الغموض ما أمكن، ومن ثم إنتاج جزيء دنا (DNA) لكل ترجمة ارتدادية ممكنة. فإذا تضمنت الأحماض الأمينية وحدة هستيدين مثلاً، فإن الدنا يضع كلتا الشيفرتين CAT و CAC في الموقع الملائم وهما الشيفرتان اللتان تحددان نوعية الهستيدين].<sup>(١)</sup>

في قوله يبين «دوليتل» أسلوب علماء النظر والبحث في التعرف وفهم الكلمات في الوجود الحي التي تتكون من أبجدية ثلاث كما في لسان الشّام.

وبمتابعة «دوليتل» في وصفه تلك الأبجدية يقول:

[تتألف الأبجدية التي تصنع البروتينات من ٢٠ حمضاً أمينياً. وكل بروتين هو تسلسل لأحماض أمينية مأخوذة من هذه الأبجدية].<sup>(٢)</sup>

---

(١) البروتينات - مجلة العلوم الأمريكية المجلد ٣ العدد ٤/١٩٨٧.

(٢) المرجع السابق.

وعن البناء الثلاثي لهذه الكلمات البيولوجية يقول «دوليتل»:  
 [تتوقف الخواص الفيزيائية والكيمائية لجزيء البروتين على الكيفية التي تنطوي  
 عليها سلسلة الأحماض الأمينية في التركيب ثلاثي الأبعاد].<sup>(١)</sup>  
 «الخواص الفيزيائية والكيمائية» يقابلها في لسان الشَّام الدليل الأساس لكلمة  
 البلاغ ذات الأبجدية الساكنة.

وفي قول «ديتفورت» تعريف لكلمات الوجود الحي:  
 [إن الأنزيم «سيتوكروم سي» قد درس وحلل جيداً لدى معظم أنواع الحيوانات،  
 وتبين أنه أنزيم تنفسي يكمن تأثيره في أنه يتوسط لانتقال الأوكسجين الذي يحمله الدم  
 إلى داخل الخلية. إن تطابق صفوف الحموض الأمينية في «سيتوكروم سي» الذي نجده  
 في جميع الفصائل البيولوجية المعروفة، هو برهان قاطع على انحدار جميع هذه  
 الفصائل البيولوجية من جد واحد مشترك. ليس هناك أي تفسير آخر لهذه الظاهرة التي  
 تتأكد مرة تلو المرة لدى دراسة أي من الأنزيمات الأخرى].<sup>(٢)</sup>

وما يهم من قول «ديتفورت» الآن أن «تطابق صفوف الحموض الأمينية» هو  
 تسلسل أبجدية في «سيتوكروم سي» لدى جميع الفصائل البيولوجية المعروفة» يشير  
 إلى أن كلمة «سيتوكروم سي» تحمل دليلاً واحداً لدى جميع الفصائل البيولوجية.  
 وهذا يدل على الأصل المشترك الأول لهذه الكلمات البيولوجية. وهو ما رأيته  
 في كلمة البلاغ قبل اختلاف الناس.

أما ما يتعلق بالأصل المشترك لجميع الفصائل البيولوجية فهو حقّ بدليل  
 أصل الكلام المشترك ودليل النبأ في القراءان:

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ٦ الزمر.

فيه بلاغ عن الخلق (التصميم) لهذه النفس الواحدة. أما التسوية (تنفيذ) فهو  
 فيما جاء عنه في البلاغ التالي:

(١) المرجع السابق.

(٢) تاريخ النشو.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ٩٨ الأنعام.

تفصيل الآيات أرى تأويل بعضه فيما فصلته البيولوجيا الجزئية. كما أرى في كتاب الصفات الوراثية مثلاً عنه في قول «دوليتل»:

[إنَّ الشيفرة الوراثية هي معلومات يتم تدوينها بواسطة لغة تتكون من حروف أبجدية. وتشكل الشيفرة الوراثية مخطط بناء الخلية DNA].<sup>(١)</sup>

وأرى تفصيلاً آخر في قول «ديتفورت»:

[مجمل الخصائص الوراثية للخلية، مخزن في الجينات (المورثات) التي تتجمع في نواة الخلية مشكلة الكروموزومات (الصبغيات الوراثية) التي يمكن رؤيتها بالمجهر تحت شروط معينة. هنا توجد «إشارات» يحتوي اصطفاؤها أو تسلسلها على معلومات حول جميع مكونات وخصائص الخلية. لكن لم تكن الحموض الأمينية هي التي تشكل الحلقات، وإنما وحدات جزئية أخرى هي النوكليدييدات (النويات) ذات المحتوى الأساسي. يطلق الكيميائيون على الجزيئة السلسلية التي تتألف من مثل هذه النويات تسمية الحموض النووية. هنا في جزيئات الحموض النووية، في نواة الخلية يُخزن مخطط بناء الخلية بصيغة ما يسمى «الشيفرة الوراثية». وتستخدم الأسس الموجودة في الحلقات النووية كحروف. إذا ما فكرنا بالعدد الهائل لأشكال الحياة، نفاجاً للوهلة الأولى بالعدد الضئيل للأسس: إنها فقط أربعة أسس مختلفة تُرمز الطبيعة بواسطتها خصائص ومظهر جميع أشكال الحياة التي وجدت على الأرض في كل تاريخها الماضي، والتي ستوجد عليها في تاريخها المستقبلي.

إن عدد الحموض الأمينية التي تشكل قطع بناء أية خلية حية هو عشرون حمضاً. غير أن انتاجها يمكن توجيهه بواسطة تعليمات مركبة من أربعة حروف (طبعاً بترتيبها الكيفي مع جواز تكرار الحرف). عندما نضع في اعتبارنا أننا نستطيع أن نشكل من ٤ حروف ما لا يقل عن ٦٤ كلمة مؤلفة من ٣ حروف. لقد سلكت الطبيعة بالضبط هذا الطريق، حيث تستخدم دائماً ٣ أسس («تشفير ثلاثي» أي كل شيفرة تتألف من ثلاث

(١) البروتينات - مجلة العلوم الأمريكية المجلد ٣ العدد ٤/ ١٩٨٧.

اشارات) لتشفير واحد من الحموض الأمينية العشرين التي تشكل قطع البناء اللازمة<sup>(١)</sup>.

هذا التفصيل الوارد في قول «ديتفورت» يطابق مسألة البناء في اللسان الشامي (الأصل الثلاثي الأبجدية الساكنة وتوجيه الدليل بواسطة الأصوات المحمولة كما تفعل الأسس الأربعة الموجودة في الحلقات النووية).

وإذا ما تابعنا مع «ديتفورت» فإن تفصيلات أخرى وهامة تظهر لنا. فهو يقول:

[لكن بما انه من الممكن بواسطة ٤ أسس مختلفة، تشكيل ليس فقط ٢٠ وإنما ٦٤ شيفرة ثلاثية مختلفة، يبقى لدى الطبيعة عملياً ٤٤ شيفرة ثلاثية فائضة. استخدمت ٤١ منها لتشفير حموض أمينية معينة تشفيراً مزدوجاً. أي تشفيرها مرتين، وأحياناً ثلاث مرات (بالنسبة لهذه الحموض الأمينية يوجد إذن في نواة الخلية رمزان أو ثلاثة رموز لها جميعها نفس المعنى). سيصيبنا الذهول عندما نعلم أن الطبيعة قد استخدمت هذه الإمكانية انطلاقاً من المبدأ القائل «المدرّوز مرتين يكون أمتن» إذ أن علماء البيولوجيا الجزئية لاحظوا أن هذا التشفير المضاعف يتركز بصورة خاصة على الحموض الأمينية ذات الأهمية البيولوجية المتميزة.

ماذا بشأن الشيفرات الثلاثية الثلاثة المتبقية؟

إنها تستخدم للتنقيط (لوضع نقطة بين جملتين) تماماً وحرفياً! إننا نجدتها في جزيئات DNA<sup>(٢)</sup> السلسلية الطويلة جداً، دائماً في الموقع التي تنتهي عندها تعليمات بناء جسم بروتيني ما، انزيم ما وتبدأ تعليمات بناء بروتين آخر. بفضل هذا التنقيط، تستطيع جزيئة DNA<sup>(٣)</sup> واحدة تتكون سلسلتها من عدة ملايين من الشيفرات الثلاثية أن تحتوي مخططات بناء عدد كبير من الجسيمات الأمينية المختلفة دون أن تتداخل التعليمات المختلفة مع بعضها البعض<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ النشؤ.

(٢) د . ن . س في الترجمة.

(٣) د . ن . س في الترجمة.

(٤) تاريخ النشؤ.

هذا التفصيل جاء به البحث العلمى فى أشياء الوجود الحى وكشف لنا عن كتب مكونة من كلمات كانت غائبة عن إدراكنا وعن علمنا بوجودها على الرغم من وجودها فى كل مكان بما فى ذلك أجسامنا. عن هذه الكتب كان النبأ قد جاء فى البلاغ:

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٧٥ النمل.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٥٩ الأنعام.

فى النبأ أن كل شىء فى الوجود له كتابه الذى يبين سته تكوينه. وأن هذه الكتب غائبة عن إدراكنا وعلمنا ولا تنكشف لنا إلا بطاعتنا للأمر التالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ ٢٠ العنكبوت.

لقد سار بهذا الأمر علماء البيولوجيا وعلماء الفيزياء والكيمياء والمقدار (رياضيات) والفلك وغيرهم. وإن ما جاء فى وصف كلمات تلك الكتب لدى البيولوجيين ما هو إلا بداية لتأويل النبأ (٧٥ النمل).

كما أن هذا الفهم لدليل كلمات البيولوجيا يفتح الطريق أمام تأويل الآية التى جاء بها عيسى من ربه ﴿وَإِخَى الْمَوْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وهو إحياء وبعث للمعلومات البيولوجية بوضع مخطط تحدّد فيه صفوف الأحماض الأمينية لكل أنزيم. وهى التى تساعد فى تحديد التأثيرات البيولوجية لكل واحد من الأنزيمات وفى تحديد «اجمالي التأثيرات الأنزيمية يتيح لنا إعادة تصميم التمثل العضوي للكائن الميت بجميع تفاصيله وخصائصه» بما فى ذلك «تحديد التركيب الغذائى ودرجة حرارة الوسط وسرعة الإشارات المتنقلة عبر الأعصاب والكيفية التى كان يرى فيها محيطه».

وقد نجح العلماء «فى تركيب الجينات (المورثات) والأنزيمات الأولى فى مخبرهم. إن الجزيئات السلسلية التى حضروها اصطناعياً قامت عند إجراء التجارب

البيولوجية عليها بممارسة نشاطها البيوكيميائي المتناسب مع صفوفها وتصرفت فوق ذلك كنماذجها الطبيعية تماماً»<sup>(١)</sup>.

أما عن الاحتمالات المختلفة الممكنة لاستخدام كتابة مؤلفة من ٢٠ حمضاً أمينياً مُوجَّهة بواسطة أربع أسس فيبينها «ديتفورت» في قوله :

[تتيح ٤ حروف (أسس) استخدام ٦٤ شيفرة ثلاثية مختلفة. بهذا العدد يمكن تشفير جميع الحموض الأمينية العشرين مرة واحدة على الأقل وتشفير الهام منها لزيادة الأمان أكثر من مرة. لنفترض الآن أن الأنزيم الذي سنتجه الحموض النووية DNA من الحموض الأمينية العشرين، يحتوي على ١٠٠ حلقة (حمض أميني)، عندئذ يتوفر لخواص الأنزيم، عدد من الامكانات المختلفة يفوق في كبره الأرقام الفلكية مراراً عديدة. إننا نحصل حسب قواعد الرياضيات الحسابية، على عدد من الامكانات المختلفة قدره ٢٠<sup>١٠٠</sup>. أي أننا نستطيع، ضمن الشروط المذكورة إنتاج ٢٠<sup>١٠٠</sup> من الأنزيمات ذات التسلسلات الحمض - أميني المختلفة، وبالتالي ذات الخصائص البيولوجية المختلفة.

٢٠<sup>١٠٠</sup> هو عدد يحتوي ١٣٠ صفراً. لا يوجد حتى اسم لهذا العدد الهائل الذي يفوق كل تصور]<sup>(٢)</sup>.

هذا الاحتمال الذي قدّمه «ديتفورت» عن الأنزيم الذي يحتوي ١٠٠ حلقة حمض أميني أرى فيه تأويل النبأ الوارد في الأمر التالي :

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَمْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ١٠٩ الكهف.

في هذا النبأ بلاغ عن العدد الكبير لكلمات الربّ في الوجود الحقّ.

فقد اقترنت الكلمات بأسم الربّ وهو أسم يدلّ على العلوّ والارتفاع والزيادة والتموّ والجمع في الأشياء. كما يدلّ على الملك والسيادة والأصلاح والقيومية. والأسم من أصل الفعل الثلاثي «رَبَوَ يربو» وهذا يدلّ على سنّة التطور المادي

(١) تاريخ النشوء.

(٢) تاريخ النشوء.



ذاته. أى التشيؤ الحق فى الوجود وألوانه التى لا تحصى والذى لا تتوقف فيه عمليات النمو والزيادة والارتفاع والأصلاح والسيطرة من خلال تسلسل يحفظ ذلك ويسيطر عليه.

والذى قاله «ديتفورت» عن احتماله هو عن كتابة كلمات خاصة بإنزيم واحد وفى الوجود الحى وحده. أمّا كتب الرب فى الوجودين (الحى والميت) فلا حصر لها. فكيف بالكلمات التى تتكون منها هذه الكتب؟

أما كلام الله فيحمل البلاغ عن كلمات الرب فى الوجود الحق. ويدخل فيها بلاغ الكشف العلمى الذى لا يتوقف ما دام الإنسان حياً. وفى القرآن بلاغ:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٧ لقمان.

قولى أن بلاغ الكشف العلمى يدخل فى كلام الله لأن عملنا جميعه ومنه البحث العلمى وبلاغه من خلق الله بدليل النبى التالى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ الصافات.

لقد خلقنا الله وخلق فينا احتمالات أعمالنا جميعها ومنها بلاغ البحث العلمى عن آيات الوجود بكل ألوانها. وقد أمرنا الله لإتباع بلاغ العلم فى الأمر التالى:

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَعَدًّا﴾ ٢٧ الكهف.

وفى هذا الأمر طلب لإتباع ما ينكشف لنا من كتاب الرب وهو الوجود الحق كله. وقد ضم الأمر نبأ مقفلاً ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَعَدًّا﴾. أى أننا لن نجد حقاً آخر نتوجه إليه.

كلمات الرب لا يمكن تبديلها بكلمات أخرى. فالماء الذى يتكون من هيدروجين وأوكسجين لا مبدل له. وأن عناصر الجدول الدورى الأخرى لا يمكن أن تكون ماء. فكلية ماء لا مبدل لها وهى كلمة حق ووجودها يسبق علمنا بها.

ويضمّ التوجيه تنبيهاً حتى لا نوقع في الظن. لأن كلمات الرب حق وكلمات الظن باطل وكذب.

ونحن الشّاميون بعد أن جاءنا ألبلاغ غفلنا عن هذا التوجيه بدليلين:  
الأول قول الرسول في ألبلاغ التالي:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠ الفرقان.

وقول الرسول هذا ليس أثناء بعثته رسولاً ونبياً بل يوم القيامة وفي ألبلاغ بيان ذلك:

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيَّتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا / ٢٧ /  
يَوَيْلَئِي لِيَتَنِي لَوْ اتَّخَذْتُ فُلَانًا حَلِيلًا / ٢٨ / لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي  
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا / ٢٩ /﴾ الفرقان.

والثاني فقدان البحث العلمي في حياتنا. وسببه هجرنا القرآن. كما أننا لا نكتفى بهذا ألّهجر بل نسارع إلى اعتراض على كل بلاغ عن هذه الكلمات. وحبّتنا الظن بالدفاع عن دين الله! ونبقى غافلين دليل قولنا الظن الذي يرى الله محاصراً ضعيفاً!

لقد ظنّ نفوسنا أننا أصحاب هذا الدين وحراسه! والحق أننا أوجدنا لأنفسنا «من دونه ملتحداً» ظناً وباطلاً.

يقول علماء البيولوجيا الجزيئية أن الـ DNA هو الكتاب الذي يحمل كل المعلومات والمخططات لإعادة الصفة للكائن الحي المولود الجديد. وهو القسم الوحيد في الخلية الحية الذي يملك القدرة على فعل الأزدواج تحت تأثير فعل أنزيمات الخلية. ويحدث هذا الأزدواج عند انقسام الخلية إلى خليتين متشابهتين لدرجة أنه من الصعب معرفة أيهما الخلية القديمة وأيها الخلية الجديدة.

الخلية كتاب حي عظيم. وهي كلمة أساسية في كتاب أعظم منها بملايين الأمرات هو الجسم الحي. وهي تمثل «آية» لها كتابها المبين. كما أنها «آية» كبيرة تضم آيات أصغر منها.

عن هذه الخلية التي تنسخ نفسها بالانقسام (نسخة طبق الأصل) بقوة معلومات مخزونة «الجينات» في نوى الخلية على هيئة صيغ «الكروموزومات». ويجرى تخزينها بالاصطفاف التسلسلي للرموز وفق ذات الأسس التي نستخدمها نحن في كتابة مفاهيمنا. حيث كل تسلسل من الأبجدية يكون كلمة تدل على شيء. وعن هذا الفعل النسخي جاء النبأ التالي:

﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٠٦ البقرة .

وفيه بلاغ عن مسألتين في الوجود. الأولى نسخ آية. أى تكرارها ذاتها من دون تعديل على أى من صفاتها. والثانية نسيان الآية أى إلغاؤها فلا تكرر. وبتطبيق البلاغ على تكاثر الخلية التي تمثل آية. نجد أن انقسامها يمثله «البلاغ «ما ننسخ من آية».

وأن حدوث تطور في الآية بسبب تعديل معلومة في كتابها يمثله «البلاغ «نأت بخير منها أو مثلها».

ونسب البلاغ ذلك إلى قدرة الله الكلية.

وقول البلاغ «نأت بخير منها أو مثلها» يتعلق بالآية التي قال عنها «نُسخها». حيث يتم استبدالها بأية تماثلها أو آية خير منها.

وبسبب هجر البحث العلمى أخطأ الشَّاميون في فهم هذا البلاغ فقالوا عن النسخ إنه إلغاء. وساقهم هجر البحث العلمى إلى التعامل مع البلاغ كله بذات الإسلوب ومنه البلاغ التالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٢ / لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ٥٣ / وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٤ /﴾ الحج .

وفى هذا القول بلاغٌ عن فعل التَّمَنَّى . وبه يولد الظَّن وفيه الأفكار الشَّيطَانِيَّة الَّتِي يوقع فى شباكها أى إنسان حتى ولو كان رسول أو نبي .  
أما القول ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ فيبين أَنَّ النسخ لما يلقيه الشَّيْطَانُ هو صورة طبق الأصل عن الأمنية . ويجرى النسخ من قبل الناس أنفسهم الَّذِينَ يسيطر الظن عليهم . وهو احتمال بالخلق كما رأينا فى النبيا :  
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ الصافات .

كل أعمالنا (شيطانية كانت أم رحمانية) هى أعمال احتمالية بالخلق . وأنَّ تداول الناس لهذه النسخة هو اختبار لهم ولتفكيرهم . فأصحاب القلوب المريضة والقاسية يتمسكون بالنسخة لأنها تناسب بنية تفكيرهم المريض والمتحجر الَّذِي ينفر من البحث العلمى .

أما الَّذِينَ يطيعون الأمر بالبحث العلمى «الَّذِينَ أوتُوا العلم» فيتناولون النسخة الَّتِي ألقىها الشيطان ويخضعونها لأسس التَّحَقُّق بواسطة البحث العلمى . فتطمأن قلوبهم إلى ما يوصلون إليه . وهم يعلمون أن ما يلقيه الشيطان باطل لا حق فيه .  
أما ما قاله كثير من المفسرين عن قصة «الغرائق» الَّتِي ساقتهم إلى فهم القول ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ على أنه بلغيه . فيقول ابن كثير الدمشقى عن هذه القصة وروايتها :

«ولكنها من طرق مرسله، ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم» .<sup>(١)</sup>  
كلمة «نسخ» تدل على فعل تكرار للشئ من دون تغيير فيه . وقد جاء فى تفسير المفسرين أنه يدل على «زال وبطل» . وتفسيرهم يخالف المفهوم والدليل فى الالسن الشَّامية .

إلى جانب أن البلاغ فى الآيات الثلاث يضطرب ويتفكك . فهناك طرفان :  
الأول «الَّذِينَ فى قلوبهم مَرَض والقاسية قلوبهم» وهم الَّذِينَ يتداولون نسخة الشيطان ويتمسكون بها .

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير .

والثاني ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهم الَّذِينَ يخضعون نسخة الشيطان للنظر والبحث العلمى حتى يتحقق لهم بطلانها وتطمأن قلوبهم.

وعمل الطرفين يخضع لما جاء فى النبأ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

أما التمنى فهو طلب إيجاد شيء من دون توفر أشراف لوجوده. وهو ما يوقع فيه أصحاب القلوب المريضة والقاسية. وبه تتكون مفاهيمهم وأقوالهم فى الحياة.

لقد جاء فى البلاغ أن التمنى ظنى لا يتحقق ويبين ذلك السؤال الاستنكارى التالى:

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ ٢٤ النجم.

ولتوكيد دليل «نسخ» على أنه فعل تكرر للشئ ذاته من دون تغيير فيه أورد النبأ التالى:

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْنِسُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٩ الجاثية.

وفيه بيان عن فعل النسخ لأعمالنا. ومثله فى أعمال النسخ للكتب الجارية على قرطاس أو ألواح ليزرية. ومثله الآخر فى تكاثر النفس الواحدة (وحيدة الخلية). ونسخ أعمالنا يجرى بأخذ نسخة عنها فى كتاب ينطق بالحق وبه يجرى حساب كل مئتا. وسأبين لاحقاً أين يوجد هذا الكتاب.

## أَبْلَاغٌ عَنِ الْكَلِمَةِ الْكَيْنُونَةِ (الْحَقِّ)

تناولت أحد ألوان الكلمة الكينونة في بلاغات البيولوجيا الجزئية. التي كشفت عن وجود كتب عديدة تتكون من كلمات لا إحصاء لها من قبلنا. وتبين أن هذه الكلمات تبنى من أصطفاة أبجدية ثلاث. وهذا ما يتطابق مع بناء الكلمة في اللسان الشامي.

لسان محمد هو لسان قومه الشاميين. وقد تناولت هذا في كتاب «الدين خرافة أم علم؟». ووجدت أن صفة عربي جاءت لتظهر بيان لسان القرآن وليس لوسمه بسمة القوم. لأن وسم القرآن بسمة القوم يتناقض مع كونه رسالة للناس كافة. ويجعله رسالة خاصة بقوم من دون الناس.

لقد بدأ اللسان الشامي مع نفخ الروح واستمر في تطوره. كما يحدث في تطور مناهج الوندوز windows في الكمبيوتر. فمع كل نبوة ورسالة توسع الروح حتى وصل هذا اللسان بتطوره الذي يمكنه من حمل الرسالة لجميع الناس إلى النهاية. من دون أي عجز في التعريب عن مسائل الوجود. لأن قدرة هذا المنهاج تطابق تعريفات كلام الحق في الوجود وهو كلام الرب الحق. وهذا ما أجده في البلاغ عن كلمات الرب. وكفاية البلاغ عنها من دون نقص.

إن البناء الثلاثي الأبجدية للكلمة الكينونة يقابله بناء من أبجدية ثلاث للكلمة في اللسان الشامي. وفي القرآن ترميز لهذا البناء في مقدمة بعض السور. فهناك

٢٩ سورة تبدأ بأصطفاف أبجدية إما منفردة في آية مستقلة أو بداية لآية. ومن هذه السور الـ ٢٩ هناك ١٣ سورة تبدأ بأصطفاف ثلاثة من الأبجدية الساكنة. وأضرب مثلاً على ذلك من سورة «الشعراء»:

﴿طَسَمَ (١) تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)﴾ الشعراء.

عنان (عنوان) السورة «الشعراء» يشير إلى الشعور بوجود الشيء من دون وجود البلاغ عنه. أي غياب البحث العلمي المبين.

الآية الأولى «طَسَمَ» مكونة من أبجدية ثلاث (أثنان منها مضاعفان بالمد) وهي آية كاملة.

وفي الآية الثانية بلاغ عن الآية الأولى تبينه الإشارة «تلك». وأفهم من البلاغ ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أن «طَسَمَ» هي تلك الآيات التي جاء البلاغ عنها. وءايات الكتاب المبين هنا هي كلمات الرب أي آيات الوجود الحق ذاته. وهو كتاب مبين سواء علمنا بذلك أم لم نعلم.

هذه الآيات هي كلمات في الأصل ثلاثية البناء «طَسَمَ» على الرغم من مضاعفة اثنين من مكوناتها. وهي ذاتها التي جاء البلاغ البيولوجي عنها مطابقاً للبلاغ عنها بواسطة اللسان العربي المبين.

والبلاغ في سورة «الحجر» على الهيئة التالية:

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ ١ الحجر.

عنان السورة «الحجر» يشير إلى الحدود والعقل. وهو ما يجب توفره في الناظر في آيات الوجود حتى يستطيع الكشف عن الغيب في كتاب الوجود المبين بالبيانات العلمية.

تضم الآية الأولى في هذه السورة ثلاثة من الأبجدية المتصلة مع البلاغ عنها «الر تلك ءايت الكتاب» وعطف عليها «قرآن مبين».

وأستنبط هنا وفي نور ما رأيته في سورة «الشعراء» أن «ءايت الكتاب»

كلمات كينونة ذات بناء ثلاثى فى أصلها يمكن التوصل إلى العلم بدليل كل منها بالبحث العلمى الذى يمثله العطف «وقرءان مبین» .

كما يبين لنا أن كلمات الكينونة ثلاثية البناء فى الأصل . وأن كلمات البلاغ عنها هى الأخرى ثلاثية البناء .

وفى سورة «النمل» يشير البلاغ إلى كلمة ثلاثية :

﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ١ النمل .

عنان السورة «النمل» يدل على حركة من دون ثبات . والإشارة فى هذه الآية إلى كلمة ثلاثية على أنها «ءَايَتُ الْقُرْءَانِ» . فيها واحد من أبجديتها مضاعفا بالمد فوقه «طَسَّ» وقد عطف عليها «كتاب مبین» .

وأرى فى هذا البلاغ أن بلاغات البحث العلمى «ءَايَتُ الْقُرْءَانِ» لا تتوقف عن الحركة وتبقى فى حال صعود وارتقاء بسبب نسبيتها . وهى تنجم عن هذه الحركة والارتقاء فى البحث العلمى وبلاغاته . وبه يتم ترميز الكلمات ذات الأصل الثلاثى البناء .

كما أرى أن العطف «كتاب مبین» هو وصول البحث العلمى إلى البيان لتلك الرموز .

ويقوى استنباطى الخط لكلمة «كتاب» فى سورة النمل واختلاف خطها «كتب» فى سورتى الشعراء والحجر .

هذا الاختلاف فى الخط لكلمة «كتاب» يشير إلى الارتفاع والظهور والبيان الذى جاء به بلاغ بحث العلم «ءَايَتُ الْقُرْءَانِ» .

ولما كانت حركة بحث العلم لا تتوقف إلا بتوقف الناس عن الوجود . فإن التقدم والارتقاء يسبب تراكم المعلومات ويدفع حاجة البحث إلى الرموز بواحد من الأبجدية التى تدل على الكلمة . وهو ما أجده فى رموز التجريم الحسابى وفى فيزياء الجزء التى ترمز للكوارك ألفوقى بالرمز u والتحتى d والبديع c والغريب s والقامة t والقاعدة b واللكترون e . . الخ .



وقد جاء في ألبلاغ عن مثل هذا الترميز في سورة «ص»: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ١ ص.

وفي سورة «ق»:

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ١ ق.

وفي سورة القلم:

﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ١ القلم.

وأستنبط من عطف «القرآن ذي الذكر» على الرمز المضاعف «ص» أن البحث العلمي تحوّل إلى ذاكرة مرمزة برمز Codon واحد.

كما أستنبط من عطف «القرآن المجيد» على الرمز «ق» أن البحث العلمي الذي تحوّل إلى ذاكرة ورمز واحد أصبح عظيمًا ووافرًا.

أما في سورة «القلم» الذي يشير عنانها إلى التقليم والتميز. فهناك عطفان: الأول هو «القلم».

والثاني هو «وما يسطرون».

وأفهم من هذا البلاغ أن الحركة والصعود في البحث العلمي وبلاغاته وتميزه يوصل إلى مرحلة تقليم وتميز المعلومات والمخطوطات وترميز كل ذلك معًا برمز واحد. وهذا ما نجده اليوم في الأنترنت وبنوك المعلومات.

من المؤكد سيقول الكثيرون إلى أين ذهب بنا هذا؟

لا توجد غرابة في هذا السؤال. لأن ما في قلوب الناس أن رسالة الله من لون قوم الرسول. وإنها مجرد تعليمات لهم للصلاة والحج والوضوء... وهذا سببه هجر قوم الرسول للقرآن.

القرآن هو بلاغ فيه البيان والتبيان لكل شيء. وهذا الدليل لا يظهر إلا بالبحث العلمي وبلاغه. وفي ألبلاغ العربي الأمر الألهي الذي يجعل من يتبعه يكشف عن البيان والتبيان:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ ٢٠ العنكبوت.

وإنَّ الدافع إلى البحث العلمي ورآه السؤال عن آيات الوجود:

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ / ٢٠ / وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ / ٢١ /﴾ الذاريات.

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣ الجاثية.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ﴾ ٧ يوسف.

يوسف وإخوته يمثلون الكواكب في المجموعة الشمسية. <sup>(١)</sup> وهى آيات يلاحظها السائلون بجميع وسائل البصر الصنعى. والسؤال يتعلق به بلاغ ينجم عن البحث فى الشيء. والقرآن هو مواصلة البلاغ من دون توقف.

مآ أجده فى بلاغات البحث العلمى والنظر فى الوجود أنها تطويرية تصاعدية. والوصول إلى بلاغ مبين لمسألة يكون مسألة جديدة يتعلق فيها بلاغ جديد مبين. ولهذا سَمَى الوحي «قرءانا عربياً» لأنه البلاغ المبين فى جميع مراحل السؤال والبحث العلمى.

وقد جاء فى البلاغ عن كتاب الله النبأ التالى:

﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ ٢٣ الزمر.

المتشابه هو النسبى فى البلاغ. وهذا بسبب الحركة والصعود بفعل النظر والبحث فى كتاب الكلمة الكينونة. وإنَّ النظر فى كتاب الكلمة البلاغ والمطابقة بينهما يحفظنا من السقوط فى الظن والكذب كما جاء فى النبأ:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ ٣٩ يونس.

تأويل النبأ هو فى إعادته إلى أصله الحق فى الوجود بقرنه مع الكينونة التى حمل البلاغ عنها. وهذا يجرى بالنظر فى الكينونة والكشف عن كلماتها ودليل كل منها بواسطة «الترجمة الارتدادية الممكنة» وهى التى ينجم عنها بلاغ نسبى

(١) كتابنا «الاستساخ» بحث «يوسف وإخوته».

سرعان ما يتحول إلى مسألة للنظر جديدة. وهذا ما يفعله علماء كلمات الكينونة بكل الفروع العلمية.

ويفرق منهاج هؤلاء عن منهاج الأكثرية من الناس الذين جاء وصف منهاجهم في النبأ التالي:

﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾

٣٦ يونس .

وهكذا أرى أن البلاغ عن الكلمة الكينونة في القرآن الذي حمّله لسان عربي «قرءاناً عربياً» يصدّقه البلاغ العلمي لدى جميع الفروع العلمية من دون استثناء.

## الكتاب المبين

رأينا أن الكتاب المبين هو كتاب الكينونة . سواء علمنا بكلماته أم لم نعلم .  
كما رأينا أن كلمات هذا الكتاب تقوم على بناء ثلاثي يماثله البناء الثلاثي في  
اللسان الشامي .

وإذا عدنا للمتابعة مع السور المرمزة كسورة «الزخرف» وسورة «يوسف» :  
﴿حَمَّ / ١ / وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ / ٢ / إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ  
/ ٣ /﴾ الزخرف .

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ / ١ / إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ  
/ ٢ /﴾ يوسف .

نرى في سورة «الزخرف» أن «الكتاب المبين» جاء معطوفاً على الرمز الثلاثي  
«حَم» . ونجد تأكيداً على جعل «الكتاب المبين» قرأنا عربياً . أى ترجمته إلى  
لسان إنساني يبينه . وهو ما يدلنا عليه القول «جعلناه» .

وأستنبط من تلاوة الآيات الثلاثة أن «الكتاب المبين» هو الوجود الحق  
جميعه .

وأنه مبين للأفعال الجارية فيه خارج إدراكنا . وأن الجعل هو نقل ما يجرى  
في الوجود إلى لسان إنساني يبلغنا عن حق الوجود بطريقة يسيرة وقابلة للحفظ  
في ذاكرتنا .

أمّا في سورة «يوسف» فنجد أن الآية الأولى تبدأ برمز ثلاثي مضاعف أوله .

وتليه كلمة الإشارة التي تبين أن «آيت الكتب المبين» ينطلق تكوينها من كلمات ثلاثية الرموز. وهذا يشمل آيات الوجود جميعه. ووجودها يحدث بقوة أفعال وهداية منهاج موزع فيها (موزع = ذاتي الفعل). وكل ذلك يحدث خارج إدراكنا.

هذه الآيات هي التي جعلت ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ في سورة «الزخرف» ثم جرى توريدها إلى الناس للعلم بها وتذكرها والهداية بها إلى حقوق الوجود بالوسيلة التي بينها القول ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ في سورة «يوسف».

أجعل والإنزال في السورتين كان المأرب منهما واحد هو «لعلكم تعقلون»<sup>(١)</sup>.

والعقل يجرى بين بلاغ العلم الناظر في آيات الحق وبلاغ الله المنزل. وبهذا العقل نوصل إلى التصديق.

الكتاب المبين الذي كان فعله ومنهاجه يجرى خارج إدراك الناس جعله البلاغ في تناول الإدراك. وقد جاءنا بلاغ تفصيلي عن بعض حقوقه بواسطة علماء البيولوجيا الجزئية نعرضه فيما يلي على سبيل العقل:

[في نواة الخلية يختزن مخطط بناء الخلية ووظائفها بكل تفاصيله بصيغة «رموز»، أي بصيغة إشارات تعني أشياء لا تتطابق مع ذاتها. هنا في نواة الخلية حلت الطبيعة هذه المسألة التجريدية بأن خزنت المعلومات اللازمة بواسطة الاصطفاف، أي التسلسل الذي تتخذ الوحدات الأصغر. يحصل ذلك وفق نفس المبدأ الذي نستخدمه نحن في عالمنا ذي المقاييس الأكبر بأرقام فلكية، وبمساعدة وعينا القادر على التجريد، لتخزين الكلمات والمفاهيم بواسطة الكتابة. تستطيع جزيئة DNA واحدة تتكون سلسلتها من عدة ملايين من الشيفرات الثلاثية أن تحتوي مخططات بناء عدد كبير من الجسيمات الأمنية المختلفة دون أن تتداخل التعليمات المختلفة مع بعضها البعض.

(١) كتابنا «الدين خرافة أم علم؟» بحث «اللسان العربي المبين».

إن قطر الخلية المنفردة لا يزيد وسطياً عن واحد من عشرة من المليمتر. في هذا الحجم الضئيل يجب أن تحصل في كل ثانية مئات وألوف التفاعلات الكيميائية بجانب بعضها البعض دون أن يضايق أي منها الآخر. في هذا الظرف البيولوجي يتوجب على الأنزيمات تنفيذ مهمتها، وبهذا التنوع في الاختصاصات حيث لكل تفاعل بيولوجي أنزيم خاص يستطيع وحده إحداث التغير الكيميائي في مادة التفاعل.<sup>(١)</sup>

هذا ألبلاغ يكشف لنا عن أفعال بيولوجية عديدة. تجرى وفق منهاج موزع فيها. وفي مكان صغير. هو بلاغ عن كتاب مبين كانت تجرى فيه هذه الأفعال قبل النظر والبحث وألبلاغ. وكان النظر والبحث في كتاب الخلية قد مكن علماء البيولوجيا من جعل هذه أفعاليات بلاغاً بلسان يفهمه الناس.

في ألبلاغ وصف لكل ما أستطاع العلم البيولوجي إدراكه فيها من أفعال وحركة وهيئات ومنهاج.

وكان بلاغ القراءان قد حمل لنا بياناً عن منهاج مخلوق لا تبديل فيه. ليس عن كتاب الخلية وحده. بل عن جميع الكتب المنتشرة في الوجود:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٌ﴾ ١٦ الأنبياء.

فهو منهاج لا لعب فيه.

كما بين لنا أن أي شيء في الوجود كبر أم صغر له كتاب يحصى مكوناته وأفعاله وصيرورته وموته:

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ٢٩ النبأ.

لم يعقل العلم بلاغه مع بلاغ القراءان وبذلك يبقى من دون هداية. ويبقى في بيانه نقص. ويملاً هذا النقص في البيان بقول الظن والافتراق عن منهاج العلم. وهو مع كل البيان الذي جاء في عرض «ديتفورت» عن كتاب الخلية يقول

(١) تاريخ النشوء. ديتفورت. ترجمة محمد كيبو.

بالصدفة. ويستدل على أن الصدفة هي التي «تقدم لنا البرهان الملموس على القرابة القائمة بين كل من يعيش على الأرض».<sup>(١)</sup>

ويقول مفترقا عن منهاج العلم أن هذه الصدفة نشأت:

[بعد تخطيط طبيعي دام عدة مئات من ملايين السنين، . . بعد انقضاء هذه المدة، اختارت الطبيعة بكل هدوء، من بين العدد الكبير اللا حصر له من الصفحات المطبوعة، بعض الصفحات التي كان توزع الحروف ينحرف فيها بالصدفة المحضة عن الوسطي العام. استطاعت بعد ذلك استعمال هذه الصفحات لتحقيق أهدافها. لأن توزع الحروف فيها، المنحرف عن الوسطي العام، جعلها متميزة غير قابلة للإلتباس وفتح بالتالي الباب أمام إمكانية استخدامها انتقائياً لوظائف محددة].<sup>(٢)</sup>

بلاغ «ديتفورت» يظهر أنه لم ينتفع من البيان الذي قدمه البلاغ العلمي لبناء استنباط يناسب ذلك البلاغ. وقد ترك العنان للفكر الظنّي ليقول أن «الطبيعة تملك من ذاتها صفحات مطبوعة». وأنها «تختار بهدوء». وأنها تميز ولا توقع في الألتباس وتستخدم «الصفحات انتقائياً لوظائف محددة».

هذه الطبيعة التي أخرج الظنّ لها كل هذه القدرات العلمية الذاتية وضعها الظنّ تحت تأثير «الصدفة المحضة».

لم أجد السيد «ديتفورت» يسأل الطبيعة عن مأربها. ولا أن يتبرع هو ويصنع لها مأرباً. ولم يخطر له أن من له مأرب لا يقع تحت تأثير «الصدفة المحضة».

هذا الأسلوب في الاستنباط الظنّي. على الرغم من عظمة البيان بين يديه. يشبه المثل الذي سخر فيه «ديتفورت» من الذي يطرح السؤال التالي:

[كم من الوقت يحتاج قطع من ١٠٠ قرد لكي ينتج «بالصدفة» بالضرب العشوائي على ١٠٠ آلة كاتبة مقطوعاً من مسرحية شكسبير؟].<sup>(٣)</sup>

(١) تاريخ النشؤ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

هذه السخرية يحصرها «ديتفورت» بمقدار الوقت وحده. إلا أنه لا ينفى إمكانية كتابة المقطع من المسرحية!

هذا الأسلوب الذى يركض وراء ما يسمى بالصدفة ليملاً فراغات البلاغ العلمى. يشبه من يتوقف أما مسرحية شكسبير من بعد تلاوتها ويبدأ يفكر ملياً. ثم يستنبط مخرّصاً أنها «بعد تخطيط طبيعى دام عدة مئات من ملايين السنين اصطفت الحروف والكلمات وتميزت عباراتها وفصولها «بالصدفة المحضة». ولا ينتبه إلى أن المؤلف هو شكسبير!.. بل هو لا يبحث عن المؤلف! وكان من الممكن الوقوع فى شرك هذا المنطق الصدفوى لولا أن بلاغ القراءان عن تلك الكلمات وتلك الكتب فيه تحديد لهوية الصانع المتمعن.

لقد جاءنا بلاغ القراءان قبل بلاغ البيولوجيا الجزئية عن هذه الكلمات وتلك الكتب. وفيه ما يبين أننا سنعلم صدقه بوسيلة النظر والبحث العلميين:

﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧ الأنعام.

﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٨٨ ص.

وفى كتابى هذا أستند على كثير من بلاغات البحث العلمى البيولوجى التى وردت فى كتاب السيد «ديتفورت». ليس لأنها غير متوفرة فى مراجع أخرى. بل لأظهر أن المنهاج الذى يقوم على الرّيب يبقى عماده الظن ويبقى فى عجز عن مقابلة بلاغ العلم مع بلاغ الله مهما كثرت أمامه البيّنات. لأن الرّيب يقوم على الظن والشك والتهمة والحيرة والاختلاط. وهذا كله يمنع من الوصول إلى يقين.

تكون بلاغات البيولوجية الجزئية معلومات علمية نسبية تصدّق البلاغ فى القراءان. وقد جاء فيه عن نسبيتها:

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا﴾ ٢٣ الزمر.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِّهَاتٌ﴾ ٧

ءال عمران.



فكلمة «متشابه» تظهر علاقة المعلومة التي جاء بها البلاغ بالحق. ويبين أنها تشبه الحق في كلِّ طور نظرى يوصل إليه الإنسان. فالكلمة ترمز لما نريده بكلمة «نسبية». ودليل النسبية نجده في دليل الفعل «نَسَبَ» الذي يدل على الوصف والإنتماء والقربة. في حين نجد أنَّ دليل كلمة «متشابه» في دليل الفعل «شبه» الذي يدل على التماثل بين شيئين في المظهر. والشيطان هما المعلومة التي جاء بها البلاغ والحق الوجودى. والمعلومة تحكمها سنَّة الرب في الوجود:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ٨٨ القصص.

وهى القوة المولدة للتشابه في كل زمان.

لقد جاء في البلاغ عن كلمات الله على أنها لا مبدل لها:

﴿لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ ٢٧ الكهف.

وأن هذه الكلمات هى الأفعال التي بواسطتها يُحقَّق وجود الأشياء:

﴿وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ٨٢ يونس.

وأن هذا التحقق يحكمه منهاج ومأرب وأنه لا سبيل للعب والعبث فيه:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَئِيمِينَ﴾ ١٦ الأنبياء.

ويتوكَّد نفى اللعب والعبث في البلاغ التالى:

﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ / ٤٩ / وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ / ٥٠ /﴾

القمر.

فى هذا البلاغ أنَّ الخلق الإلهى للشىء يضمُّ العدد والهيئة التكوينية معاً. كما أنَّ أمر التسوية يصدر لمرة واحدة ولا يكرر. وتجرى التسوية بسرعة الضوء.

وهذا يبين العلم والتحكم والمأرب فى الخلق.

وفى البلاغ ما يوكَّد الإرادة والمأرب من الفعل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ١٤ الحج.

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ١٠٧ هود.

﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ ١٦ البروج.

﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٢٧ إبراهيم.

هذه البلاغات واحدها وجميعها تبين أنه لا مكان للصدفة واللعب والعبث أبداً.

لم أرَ فى بلاغ القرآن أى نقص فى مستلزمات علمنا بـ «كيف بدأ الخلق». وفيه البلاغ الذى يبين ذلك:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ ٥٤ الكهف.

وزيادة على ما تقدم فإن بلاغ القرآن يبين كتب لم تكتشف البيولوجيا الجزئية إلا القليل منها حتى الآن. ومن هذه الكتب ما تظهرها البلاغات التالية:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٤ النور.

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٩ الجاثية.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

٦٥ يس.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ، نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

/١٦/ ﴿إِذْ يَنْفَخُ الْمَلَفَيْنِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ /١٧/ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ

رَقِيبٌ عَقِيدٌ /١٨/﴾ ق.

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ /٢٠/

وَقَالُوا لِبُطُونِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا فَالَوْ أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ /٢١/ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا

أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ /٢٢/﴾ فُصِّلَتْ.

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْرِئًا فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا

/١٣/ أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا /١٤/﴾ الإسراء.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَتَاهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ١٢ يس.

وفى جميع هذه البلاغات بيان لكتب تتوزع فى جميع أقسام جسم الإنسان وفيها يجرى نسخ جميع أقواله وأفعاله وأعماله . وبها يجرى حسابه يوم الحساب .

وقد جاء فى البلاغ عن هذه الكتب أنها تحصى كل شىء من دون استثناء :  
﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ٢٩ النبأ .

وأعود إلى قول «ديتفورت» وأعقل بينه وبين بيان بلاغ القرآن :  
[فى هذا العالم لا يضيع أي شىء . ما من شىء حصل فى أي وقت من الأوقات إلا وترك بعد إنقضائه أثاراً ما تدل عليه . والمطلوب هو فقط كشف وإيجاد هذه الآثار وتعلم طريقة قراءتها . لقد اكتشف العلماء فى السنين الأخيرة الآثار الأولى لتطور الحياة المبكر قبل ثلاثة ونصف مليار سنة . علاوة على ذلك ، فقد نجحوا فى أن يشتقوا من هذه الآثار المعلومات الأولى التى تبين كيف سارت الأمور فى هذه الخطوة الهامة من التطور . إن الصدى الأول الذى بدأنا نسمعه بفضل هذه الدراسات الحديثة حول ذلك الماضى البعيد هو جدال عارم لا رحمة فيه . أما التكنيك الذى استخدمه العلماء لإلتقاط هذا الصدى ، فإنه مذهل ، لكن ما يبعث أكثر على الدهول هو المكان الذى اكتشف فيه هذا الأثر . إنه الإنسان ذاته . كل منا ، وكذلك جميع الكائنات الحية الموجودة اليوم ، بدون استثناء ، يحمل فى داخله آثار ما حصل على الأرض آنذاك ، قبل حوالي ٤ مليار سنة] . (١)

فما جاء فى قول «ديتفورت» كان قد بينه البلاغ من قبل :  
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَتَاهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ١٢ يس .

«إمام مبين» هو الدليل المبين المفصل القريب الأخذ .



إن كتاب الله هو الكون جميعه وقد جاء في البلاغ بيان ذلك :  
﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ  
الْبَعْثِ وَلَكِنْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٥٦ الروم .

وفي كتاب الله الكونى كتب لا تحصى :  
﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٧٥ النمل .  
وجميع هذه الكتب يتلازم فى خلقها العدد والهيئة :  
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرُهُ تَقْدِيرًا﴾ ٢ الفرقان .

ويقرن العدد والهيئة بمنهاج هداية :  
﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ٣ الأعلى .

هذه الكتب التى تمثل الكون كما تمثل أجزآءه يوجد بيان عنها جميعًا فى  
كتاب محروس حراسة لا تنقطع ولا تغفل :

﴿كِتَابُ أُنزِلَتْهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذَّبُوا عَنِتَّهُ. وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ٢٩ ص .

القرآن هو هذا الكتاب المبارك . فكلمة «مبارك» تدل على حراسة لا غفل  
ولا سهو فيها . وفيه قول باق عن آياته لا يختلط به قول بفعل تلك الحراسة .  
وقوله للتدبير والتذكّر . وفيه بلاغ متشابه عن جميع آيات الكتاب الكونى . وفى  
العقل بين بلاغه وبلاغ النظر والبحث العلميين هو التدبير الذى يجعل ذاكرة  
أصحاب القلوب تشتعل بالإيمان والتقوى والعمل الصالح .

## الكتب الأولى

تتعلق البحوث السابقة بالكلمة والكتاب. وقد عقلت فيها بلاغ القراءان مع بلاغات البحوث البيولوجية. ولما كانت الكلمة لا تبدأ عند المادة الحية كان لا بد من البحث عن بداية الكتابة.

تقول «الكوسمولوجيا» أن البداية أنطلقت من «انفجار أعظم» حدث فى مركز الكون. ومن قولها نظرية «النموذج النبضى للكون» التى تعتمد على فكرة الانطلاق من مركز والابتعاد فى جميع الاتجاهات ثم العودة مرة أخرى إلى المركز لإحداث انفجار جديد.

هذه النظرية حسب بدايتها ونهايتها لا تتناقض مع البلاغ:

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ ١٠٤ الأنبياء.

وحسب البلاغ الذى حمل البيان عن فجر أرى أن التصور المقترن بالانفجار باطلاً.<sup>(١)</sup>

وأذكر بما جاء فى كتاب «الاستنساخ»<sup>(٢)</sup> أن الجسيدات الأولية جاء فى البلاغ بيان عنها:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ٣٦ التوبة.

(١) راجع كتابنا (الدين خرافة أم علم؟) وكتابنا (الاستنساخ).

(٣) بحث (النشأة الأولى) وبحث (العدد ١٩ يستحق الاهتمام).

وقلت أن «العدة» تشير إلى المقدار والاستعداد (التهيؤ العددي). وأن المقدار هو العدد من دون الهيئة (مجرد عن الكيف) وهو أصل كل شيء:

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ٨ الرعد.

البلاغ عن «عدة الشهور» يتعلق بعدة الخلق (التصميم) للكون وقبل البدء بالتسوية (التنفيذ الدقيق من دون نقص أو زيادة). أما التسوية فيقترب فيها العدد مع الهيئة (الكيف) ومع الهداية:

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ٣ الأعلى.

وتبدأ التسوية من «الفجر» فتنبع «الصففت والزجرت» كما سميت في بلاغ القرآن. وهى فى الفيزياء «الفيرميونات والبوزونات». وبها تبدأ أفعال تسوية الكون بجميع موجوداته من عدة هى «أثنا عشر شهراً» التى قلت عنها فى كتاب «الاستنساخ» أنها الجسيدات الأساسية التى تنبع من «الفجر» وتنطلق فى صفوف متوازية «الصففت صفاً» وفيها منهاج هدايتها إلى فعل التكوين.

تنطلق الفيزياء من نظرية «الانفجار الأعظم». وتجاربها تعتمد على إحداث انفجارات أو تكسيرات لكتل الجسيدات عن طريق صدمها ببعضها فى معجلات ذات طاقة عالية. ثم تبدأ وصف هذه الجسيدات ووصف سلوكها من بعد التفسير فى المعجل. وفى تكسير الجسيدات إلى أجزاء أصغر يساعد فى وصف البنية المادية فى أصغر حدود تكتشف منها. وبهذا الاكتشاف يحدث التعرف على حركتها وعلى طاقتها ويستفاد من ذلك فى فروع علمية متعددة ومنها العلم بالنشأة الأولى.

إلا أن علماء الفيزياء يجرون هذه التجارب من دون عقل بين ما يخرج به نظرهم وبين بلاغ القرآن الذى يقدم الهداية لهم فى أعمالهم. وهذا يجعلهم من دون هداية وفى ريب. وستبقى أعمالهم على عظمتها تحت تأثير ذلك حتى يبدأوا أفعال العقل ويهتدوا بالبلاغ الذى يوجه النظر والبحث ويوفر النفقات والجهود.

التصور لا يستطيع أن يقدم فكرة عن عدد الجسيدات التى تنطلق من الفجر.

وهى على الرغم من عددها الكبير لا يعيق أحدها الآخر. تنطلق فى صفوف متوازية من دون خرق لسبيل الصّف.

فى بلاغ البيولوجيا أفعاليات الكيمائية المتعددة تجرى من دون عوق داخل نوى الخلية الحية بفعل «تخصص الأنزيمات والأصطفاف». وأرى أنّ سبيل الأصطفاف نفسه فى الجسيدات الطاقية «فيرميونات». ومثله فى مسألة التخصص للجسيدات الحفازة «البوزونات».

وبمّا أرى أجد نفسى أمام منهاج واحد فى فيزياء التكوين وفى البيولوجيا. كمّا أن سبيل الأصطفاف هو منهاج كتابتنا نحن.

وأرى فى البلاغ بيان هذا المنهاج وكيف يجرى الحدث التكوينى. سواء كان فى طور الشهور «اللبنات الأولى للتكوين الكسمولوجى» أم فى «الأحماض الأمينية» والتكوين البيولوجى:

﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَوًا / ١ / فَالْحَمِلَتِ وَقَرًا / ٢ / فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا / ٣ / فَالْمُقَسَمَتِ أَمْرًا / ٤ /﴾ الذاريات.

ذرّ الشىء: فرقه ونثره. والذرّ هو النسل المنثور ومنه الذرية التى تتكون بفعل التناسل. والذرة مجمع الذرّ المكوّن للميزونات ذات التكوين الزوجى.

وَقَرَّ: ثَقُلَ. وَالْوَقْرُ هو الحمل الثقيل.

يَسَرَ: سهل وخَفَّ.

قَسَمَ: جَزَأ. جعله نصفين.

أَمَرَ: كَثَّرَ. وَأَمَرَ: كَثُرَ ونما. وَأَمَرَ الشىء: جعل له حدودًا وعلامات. والأمرة هى العلامة.

﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَوًا﴾ فيها الواو تدل على عطف طورى على الزجر (الحفز) من وجهة وعلى تجمّع الذرّ بفعل الزجر من وجهة أخرى.

﴿فَالْحَمِلَتِ وَقَرًا﴾ الحمل يعقب الذرّ وينجم عنه زيادة فى الثقل.

﴿فَالْجَرِيَتْ يُسْرًا﴾ يجرى الحمل وأثقل من دون عوق.  
 ﴿فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا﴾ يعقب جرى الحمل ظهور جسيديات في الكوسمولوجيا أو  
 جسيمات في أليولوجيا مميزة عن بعضها بعلامة Codon.  
 وفي هذا الأمر فإن علماء الفيزياء لا يزالون يستغربون سلوك سبيل الصّف.  
 فيقول «أ.د. كريش»:

[«تتوفر للبروتونات، بشكل ما، فرصة أفضل للتصادمات العنيفة عندما تكون  
 سبيناتها»(\*) متوازية. وعلى الرغم من أننا لا نعرف بشكل جازم سبب هذا السلوك  
 الغريب(\*\*) وغير المتوقع ابداً، فإنه ليس بالخبر السار للديناميكا اللونية الكمومية».   
 «ولكن حقيقة كون اتجاهات السبين لها آثار كبيرة توحى أن فهمنا للطريقة التي تتفاعل  
 بها البروتونات بعضها مع بعض ما يزال غير مكتمل. بل إن التجارب تشكك في  
 النموذج المقبول حالياً للبنية الداخلية للبروتون»<sup>(١)</sup>.

وما قاله السيد «كريش» عن «الفهم غير المكتمل والتشكك في النموذج  
 المقبول للبروتون» هو قول متشابه. لأن هذا «النموذج» المثل هو إدراك متغير لما  
 يخرج به النظر في الحق. ولو أن هذا الفهم قابل «النموذج» مع بيان بلاغ  
 القراء لاسقط الظن وبُنيت النظرية وفق المنهاج الذي يتبع سبيل الصّف  
 (التوازي).

ويؤكد السيد «كريش» على مفهوم التشابه فيقول:  
 [من المؤكد أن نتائجنا الجديدة هذه لم تكن أول نتائج سببت فيها ظاهرة السبين،  
 الدهشة والارتباك للفيزيائيين].<sup>(٢)</sup>

ويوصل إلى القول الذي يبين مسألة التشابه. فالفهم يخضع للتطور. وفي كل  
 طور قول يشبه الحق:

(\*) السبين Spin هو الاندفاع الزاوي للجسيم.  
 (\*\*) يرى الفيزيائيون أن تضاد (لا توازي) السبينات يجب أن يوفر فرصة أكبر للتصادمات في  
 المسرعات.

(١) التصادمات بين البروتونات الدوامة (م.ع.أ. مجلد ٥ العدد ٤ - ١٩٨٨).

(٢) المصدر السابق.



[إن دراسة التصادمات المرنة عند الطاقات الهائلة وانتقالات الطاقة اللازمة من أجل إجراء فحص تام للديناميكا اللونية الكمومية، تبدو بعيدة المنال في القرن الحالي. وربما يكون من الأفضل لنا أن نبحث عن نظرية جدية أكثر فائدة لتفاعلات البروتونات الدوامة ولمكوناتها الدوامة.

إن فهمنا النظري للقوة الكهربائية والقوة الضعيفة وقوة الجاذبية أفضل من فهمنا للقوة (النوية) الشديدة التي تربط الكواركات والبروتونات والنترونات].<sup>(١)</sup>  
 المثل (النموذج) الوصفى لكل من بنية البروتون وبنية النترون يبين لنا أن كلا من البروتون والنترون ثلاثي الشهور (الكواركات). وسلوك كل منهما يبينه القول ﴿فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا﴾.

البروتون والنترون ليساً أول الجسيمات في التكوين كما ترى الفيزياء. بل إنهما يتكونان من أصطفاف ثلاثي الكواركات.

وبمتابعة النظر سيوصل قول الفيزياء إلى بيان ألبلاغ:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ الواقعة.

البداية تنطلق من أصطفاف العدة «أثنا عشر شهراً» ومنها تبني الأزواج (الميزونات). ويتابع بعدها البناء التكويني الثلاثي الشهور إلى أن يوصل البناء إلينا.

الفيزيائيون لم يتوقفوا عن النظر والبحث في المسألة ولهم قول متشابه آخر توصلوا إليه في نظرية الأوتار يبينه قول السيد «L . سسكند»:

[يعتقد كثير من الفيزيائيين أن الجسيمات الأولية مؤلفة من مكونات أصغر منها. ومع أنه لا توجد نظرية نهائية لهذا التصور فإن المرشح الأكثر قبولاً هو نظرية الأوتار string theory. ففي هذه النظرية لا يشبه الجسيم الأولي نقطة بل هو أشبه ما يكون بشريط مطاطي دقيق يمكن أن يهتز وفق منوالات modes عديدة، . . يوجد عدد لانهائي من مثل هذه المنوالات كل منها يقابل جسيماً أولياً مختلفاً].<sup>(٢)</sup>

(١) المصدر السابق.

(٢) الثقوب السوداء ومفارقة المعلومات (م.ع. أ مجلد ١٤ / العددان ٨/٩/١٩٩٨).

«لا توجد نظرية نهائية لهذا التصور» والأوتار تسلك سبيل الصّف. وأرى أن التشابه يحكم جميع النظريات.

من الكتب (الحروف) «ال م» يمكن بناء ست كلمات منها بتغيير صفها «ا ل م، ا م ل، م ا ل، م ل ا، ل م ا، ل ا م».

أما ال «أثنا عشر شهراً» فإن تكوين الكلمات الثلاثية الشهور منها فلا حصر له. ومن هنا تبدأ الكتابة الأولى في كتاب الحق (الكون).

وإذا نظرنا في كتب (حروف) الكلمات التي تبدأ بها ٢٩ سورة في القرآن نجد أنّ عددها ١٤ كتاباً «ا، ل، م، ص، ر، ك، هـ، ي، ع، ط، س، ح، ق، ن».

وكان الدكتور «محمد رشاد خليفة» قد رأى أن «١٢ حرفاً من هذه الحروف يتكرر فيما يسمى فواتح السور باستثناء ال (ك) و (ن)، حيث ورد كل منهما مرة واحدة»<sup>(١)</sup>.

كما وجد «أنهما يشكلان الفعل (كن)».

وأرى أنّ الاستثناء من التكرار يبينه البلاغ:

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٠ القمر.

كما أن الأمر الذي لا يكرّر يبينه البلاغ التالي:

﴿يَدْبِغُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضُ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ١١٧ البقرة.

وإذ نؤيد ما رآه الدكتور خليفة في الكتابين (ك ن) فإنني أقول أن الكتب (الحروف) ال ١٢ الأخرى هي التي جاء في البلاغ (٣٦ التوبة) عنها ما يبين أنها عدّة الشهور. وهي التي يبدأ التكوين انطلاقته الأولى من سلوكها سبيل الصّف. سواءً كان صفّها لتكوين الأوتار أو لتكوين ما قبل الأوتار. ويمكنني تحديد هذه الكتب على أنها الأبجدية التالية:

(١) من كتاب (تفسير مفردات القرآن الكريم) الأستاذ عاطف الزين.

«ال م ص ر ه ي ع ط س ح ق».

وهي مرتبة هنا وفق تسلسل ورودها في السور الـ ٢٩.

كما أن قيمة كل منها العددية حسب تسلسلها هو التالي:

«١ - ٣٠ - ٤٠ - ٩٠ - ٢٠٠ - ٥ - ١٠ - ٧٠ - ٩ - ٦٠ - ٨ - ١٠٠».

أما الكتابان «ك ن» المكونان للأمر التكويني البادئ «كن» فيمثلان ما رأيته في القول «عليها تسعة عشر» الذي تقابله الجسيدات الزاجرة «البوزونات» والتي يجمعها الأمر ﴿يَسِّرْ اللَّهُ الْخَيْرَ﴾<sup>(١)</sup>.

الكتب الـ ١٢ هي عدة الشهور الـ ١٢. والكتابان (ك ن) هما حاملا الأمر التكويني الذي لا يكرر. والذي يرافق عدة الشهور الـ ١٢ عبر جميع أطوار الصّف إلى نهاية التكوين والعودة إلى بداية جديدة.

كما أن وحدة البناء في كلمة التكوين (كوسمولوجيا وبيولوجيا وبلاغ) تدل على وحدة الأصل لكلمات هذه الفروع التي تعود جميعها إلى أصل النشأة الأولى. والتي تبدأ بسلوك الـ «أنا عشر شهرا» سبيل الصّف الأول. والتي تواصل هذا السبيل عبر جميع أطوار التكوين. وأسس البناء ثلاثة كتب. وهذا لا يمكن تفسيره بما يسمى «صدقة».

الدراسات المقارنة لأصول الكلمات في الألسن المختلفة تظهر تسلسل (صف) أبجديتها وتكشف عن روابط القربى فيما بينها. وقد ورد في قول «ديفورت» مثل ذلك:

[إن التفسير الوحيد لذلك يكمن في الافتراض بأن الشعوب التي استخدمت ترميزات مشابهة لنفس المفهوم يجب أن تكون قد احتكت مع بعضها تاريخياً، لا بل هناك احتمالاً بأن تكون ذات أصل مشترك].<sup>(٢)</sup>

(١) كتابنا الاستنساخ بحث العدد ١٩.

(٢) تاريخ النشؤ.

كذلك هي وحدة البناء الثلاثي وسلوك سبيل الصّف في كل من اللسان الشامي وكلام الوجود «فيزياء وبيولوجيا».

وإن ما يؤكد الدارسون عن لسان القراءن من أنه الأطول عمراً والأكثر مادة من بقية اللسان الشامية. هو تأكيد يبين حقاً غير كامل. لأن وحدة البناء الثلاثي الفيزيائي وسلوك سبيل الصّف يبدأ من الأبجدية الأولى (الشهور) والكلمات الأولى. ثم تتابع الكتابة الكونية في أطوار التكوين وفق سبيل واحد حتى وصولها إلى التكوين البيولوجي ونفخ الروح.

وهذا لا يبين أن لسان القراءن هو الأطول عمراً والأكثر مادة من بقية اللسان الشامية. بل هو لسان الحق التكويني والبلاغ عنه.

فقد بدأت كتاباتنا وفق نفس السبيل الذي سلكته الشهور الفيزيائية وتابعت تطورها حتى بلغت طور البلاغ العربي المبين الذي ورد في الكتاب المبارك (لقراءن).

هذا الأمر يظهر لنا أن لسان الشام بفروعه وأطواره. هو الذي وصل إلى طور حمل رسالة الله للناس كافة. وهو يعود إلى بداية التكوين في أصوله. وأن عمره هو عمر التكوين ذاته. وقد خضع هذا اللسان في أطوار الروح إلى مسائل النسخ للكلمات وهو تكرارها. والنسيان لكلمات أخرى وإبدالها بخير منها أو مثلها:

﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٠٦ البقرة.

ولسان القراءن هو الطور الأخير للسان الشام. وفيه الكلمات التي نسخت (صورة طبق الأصل) والكلمات الجديدة التي أخذت مكان كلمات مثلها وأخرى نسيت. وسلك في تطوره سبيل منهاج الأصل لنشوء الكلمات الأولى من بعد الفجر.

أما اللسان الشامي الذي يستخدمه اليوم سكان إسرائيل. فهو على الرغم من

أهميته في بيان لسان كتاب موسى . لا يصلح لحمل لسان الكتاب المبارك . بسبب نسيانه منذ عهد بعيد . مثل نسيان ألسن شامية أخرى كلسان بابل ولسان آشور ولسان سبأ وغيرها . وجميعها تستخدم اليوم لدراسة تاريخ ألسان الشامي بطريقة تشبه ما يفعله الفيزيائيون في المسرعات . وتعامل فروع هذا ألسان معاملة البقية الأثرية .

لقد بين لنا البلاغ سبب النسيان . ورأيته في الموقف المعادي للنبوة الذي يسوق أصحابه إلى موقف النسيان على سلم التطور :

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾  
١٠٥ الأنبياء .

وقد ظنَّ الذين قست قلوبهم من الناس أن ميراث الأرض يخصهم . فعميت قلوبهم عن رؤية الحق في البلاغ الذي قرن الميراث بالصلاح . ودفعهم ظنهم للالتفات إلى خلف فتوقفت مشاركتهم في صنع الصلاح والتنافس فيه بطرق خيرة وسلمية . وتجاوزهم المصدقون للحق الذين تابعوا الميراث والصلاح في الأرض .

وترى اليوم أن قوم الرسول هم من الذين كفروا وقست قلوبهم وهجروا القرءان . وقد جاء ظنهم بفئتين :

واحدة عادت إلى لسان منسى هو لسان سكان إسرائيل اليوم .

والأخرى اتخذت لنفسها لساناً لغواً ظنته لساناً عربياً .

وقد تجاوزهم آخرون وورثوا الأرض بعلمهم وصلاحهم .

إن البحث العلمي هو سمة الإنسان الذي يطبع أمر الله المبين في البلاغ :  
﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٠ العنكبوت .

هذه الطاعة قد تحدث عند أمرء عالم من دون أن تكون له هداية مباشرة من  
 البلاغ. وبهذه الحال لا يمكن له المتابعة من دون فساد ومن دون شرور في  
 الأرض. إلا إذا عقل بين بحوث العلم وبين البلاغ العربي المبين وأتخذ هادياً.  
 وحتى يكون العقل مجزياً والهداية كاملة على العلماء أن يجهدوا أنفسهم  
 للعلم في دليل الكلمة في اللسان الشامي الذي حمل البلاغ بلسان عربي مبين.

# الدليل

- فيزيولوجيا كلمة ألبلاغ

- تأثير الدليل

- الموقف





## فيزيولوجيا كلمة ألبلاغ

يقسم علماء الفيزيولوجيا ألفؤاد (الدماغ) إلى أقسام متعددة. ويرمزون لكل قسم بأسم يتناسب مع ما يجرى فيه من أفعال فيزيائية وكيميائية. وهذه الأقسام تسمى «المهاد الحسى، واللوزة المخية، والقشرة المخية الجدارية، والتلفيف الحزامى الأمامى، والتلفيف الحزامى الخلفى، والقشرة المخية الجبهية، والقشرة المخية الصدغية، والخُصين، وجذع الدماغ، . . الخ».

وأستطاع العلماء أن يوصفوا أفعال فيزيولوجية هامة تجرى فى هذه الأقسام. ومنها أفعال فيزيولوجيا الإدراك والذاكرة. فيقول «J . وينسون»: [إن الاضطرام فى خلايا الدماغ، وخاصة منطقة الخُصين والقشرة المخية الحديثة، يحدث عند الاستطلاع للمكان. والخلايا العصبية CA1 تضطرم لرسم خريطة الوسط المحيط وبذلك تودعها فى ذاكرة].<sup>(١)</sup>

ويقدم كل من «F . كريك» و«Ch . كوخ» مثلاً على حدوث «الاضطرام»: [قد يكون هناك تمثيل فى دماغك لتمثال الحرية، وهو تمثيل يكون فى العادة خاملاً. وعندما تفكر فعلاً بذلك التمثال يصبح هذا التمثيل نشيطاً، إذ ينتاب الاضطرام العصبونات ذات العلاقة. وقد يحدث أن يتم تمثيل شيء ما بأكثر من طريقة. فقد تمثله صورة إبصارية أو مجموعة من الكلمات وما يتعلق بها من أصوات، أو قد تمثله لمسة

---

(١) «معنى الأحلام» (مجلة العلوم الأمريكية- المجلد ١٥ العددان ٣/٢- ١٩٩٩).

أو رائحة. وهناك ظاهرة تسمى تنافس العينين يمكن أن تساعد على تحديد العصبونات التي يرمزُ اضطرابها للوعي<sup>(١)</sup>.

ويتساءل كل من «كريك» و«كوخ»:

[كيف يمكننا تفسير الأحداث العقلية على أنها نتاج اضطراب Firing مجاميع كبيرة من العصبونات؟]<sup>(٢)</sup>.

وصف فيزيولوجيا العصبونات بالاضطراب يسوقنا مباشرة للمقابلة مع الكلمة في القرآن:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٧٨ النحل.

فقد وردت في البلاغ وسائل الإدراك التي تفعل في صناعة وعينا للموجودات المحيطة بنا. وبه تنتقل إلى الموقف المرجو «لعلكم تشكرون».

لقد بيّن البلاغ أن مقرّ السمع لدى الإنسان واحد. أما الأبصار والأفئدة فمواقعها متعددة.

وما يبينه علم الفيزيولوجيا أن عدد أشعّات السمعية (خلايا الحس السمعى) في الأذن هو ٣٥٠٠ خلية في مقابل مليون مستقبلية ضوئية photoreceptor في العين.

وفى بلاغ العلم كشف عن أمرٍ يصدّق البلاغ. فقد وصف بلاغ العلم سلوك العصبونات بكلمة Firing (الاضطراب) وهو مفهوم نجده في دليل كلمة «الأفئدة» في بلاغ القرآن التي تدلّ على العصبونات وسلوكها الاضطرابي معًا.

كلمة أفئدة جمع من دليل الفعل «فأذ». وفي المعجم الوسيط دليل حسّي عليه:

(١) «لغز الحياة الواعية» (م . ع - أ المجلد ١٥ أعددان ٣/٢ - ١٩٩٩).

(٢) المصدر السابق.

«فأد الخبز أو اللحم: أنضجه في الرماد الحار. والفأذ: توقد النار. والمفأدة: أداة يشوى بها اللحم وأداة يحرك بها التور».

ونقول أضرَم النار لمن أشعلها.

فكلمة أفئدة تدلّ على مولدات حرارية في لبّ الإنسان (المنخ أو الدماغ). وهى الأقسام العصبية التى تشتعل عندما توصل إليها مؤثرات حسية (بصرية وسمعية) على وجه الخصوص. وترتبط كلمة فؤاد فى القراءان بالسمع والبصر فى جميع بلاغاته.

هذا الفعل الفؤادى هو ما وصل إليه البحث العلمى من بعد النظر فى فيزيولوجيا (الدماغ). وقد أقترَب البحث العلمى بكلمة Firing من دليل كلمة الأفئدة فى بلاغ القراءان. وهذا لأقتراب بين بلاغ البحث العلمى وبلاغ القراءان يظهر صواب توجه علماء الفيزيولوجيا وما وصلوا إليه من علم فى مسألة الإدراك.

إلى هنا عقلت ما يتعلق بفيزيولوجيا المؤثرات الحسية وسلوك العصبونات الاضطرامى فى بلاغين. بلاغ القراءان وبلاغ علم الفيزيولوجيا. وأتابع مع فيزيولوجيا الإدراك والتأويل التى يقول كل من «كريك» و«كوخ» فيها:

[إن الوظيفة الأساسية للجهاز البصري، هي ادراك الأشياء والأحداث فى العالم المحيط بنا، فإن المعلومات المتاحة لعيوننا لا تكفى بذاتها لإمداد الدماغ بتأويله المتميز للعالم المرئى. ولكي يؤول الدماغ ما يصل إلى عيوننا من معلومات يجب أن يستخدم الخبرات السابقة].<sup>(١)</sup>

وعن هذه الخبرة المطلوبة للتأويل يقول «J. D. تشالمرز»:

[الخبرة الذاتية تنبثق من سيرورة فيزيائية، ولكننا لا نمتلك أى فكرة عن كيفية ذلك وسيله].<sup>(٢)</sup>

(١) «مشكلة الوعي» (م . ع . أ المجلد ١٥ ألعدهان ٣/٢ - ١٩٩٩). خط التشديد لنا.

(٢) «لغز الحياة الواعية» (م . ع . أ المجلد ١٥ ألعدهان ٣/٢ - ١٩٩٩).

أما «S . وانبرج» فيقول:

[على الرغم من قوة النظرية الفيزيائية، فإن الوعي لا يبدو مشتق من القوانين الفيزيائية].<sup>(١)</sup>

الخبرة هي الشرط الأساس لحدوث الوعي كما يرى علماء فيزيولوجيا الدماغ. وقد ربطها «تسالمرز» بالسيرورة<sup>(\*)</sup> الفيزيائية للدماغ نفسه على الرغم من غياب تفسير ذلك عنده.

أما «وانبرج» فقد دفع بالخبرة إلى خارج النظرية الفيزيائية.

ويقوى موقف «تسالمرز» في هذه المسألة بقوله:

[وحيثما توجد خاصية أساسية، توجد كذلك قوانين أساسية. وفي هذه الحالة يجب على القوانين ربط الخبرة بعناصر النظرية الفيزيائية. وهذه القوانين ستعمل كجسر يحدد كيفية اعتماد الخبرة على السيرورات الفيزيائية التي تستند إليها].<sup>(٢)</sup>

هذا ما وصل علماء فيزيولوجيا الدماغ إليه من علم ونظر عن الإدراك. ومنهم من رأى أن الخبرة هي التي تدرب «الدماغ» على تأويل صور وأصوات الأشياء. وأن هذه الخبرة لا تحدث من «سيرورة فيزيائية».

فماذا جاء في بلاغ القراء عن هذه الفعالية؟

في البلاغ ٧٨ النحل ارتبطت «الأفئدة» ووسائلها الحسية بحكم «لعلكم تشكرون». على الرغم من أن هذه المسألة (الإدراك ومنها فعل الشكر) نجدها في بلاغ القراءان تقترن دائماً برمز آخر هو «القلب».

فلماذا ارتبط هذا الحكم بالوسائل الحسية ومواقع الاضطرام في هذا البلاغ؟ تأتي كلمة «القلب» في بلاغ القراءان دائماً متعلقة بفعاليات كالفكر والعقل

(١) المرجع السابق.

(\*) Process: سلسلة أفعال متعاقبة (في الترجمة سيرورات).

(٢) «لغز الحياة الواعية» (م . ع . أ المجلد ١٥ أعددان ٣/٢ - ١٩٩٩).

والتذكر واللفقه والإرادة والإيمان الخ. وهذه جميعها مراتب إدراك معرفى وعلمى لا يستطيع الفؤاد بذاته أن يتوصل إليها على الرغم من أن سيرورتها الفيزيائية تجرى فيه وبواسطته كما يبين بلاغ القراءان:

﴿وَلَا تَقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ٣٦ الأسراء.

وفيه أمر بالعلم الذى يحدث بالاستناد إلى الحاستين الأساسيتين مع الفؤاد. أما البلاغات التى تتعلق بفعاليات الإدراك فتبين أن «القلب» هو الذى تتعلق به هذه الفعاليات:

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ١١ الفتح.

وفيه أن القول الكاذب يحدث فى القلب.

كذلك هى الإرادة:

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَىٰ فَرِحًا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٠ القصص.

وفى هذا البلاغ كل من الفؤاد والقلب. ويظهر منه أن رد الفعل الجنى (الغريزى) على فقدان الولد يتعلق بكلمة الفؤاد ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَىٰ فَرِحًا﴾.

أما السلطة والتحكم والتوجيه الإرادى للسلوك الجنى (الغريزى) فيتعلق بكلمة القلب ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.

وعن أفعال العقل:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ٤٦ الحج.

وعن أفعال الفقه:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ ١٧٩ الأنعام.

وعن أفعال الإيمان:

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ١٤ الحجرات.

وعن مرض النفس ومكانه:

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ ١٠ البقرة.

وعن قساوة التفكير:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ٧٤ البقرة.

وعن الخوف:

﴿سَأَلْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ ١٢ الأنفال.

إن ترتيل البلاغات التي وردت فيها كلمة القلب كبير وأكتفى بما رتلته منها فهو يمكنني من الاستنباط والعلم بأن فعاليات الإدراك جميعها تتعلق بالقلب الذي يستمد مادته الفيزيائية من اضطرام الأفتدة.

وما رأيته في البلاغات يؤكد على قول «تسالمرز» الذي يرى فيه وجوب «ربط الخبرة بعناصر النظرية الفيزيائية». ويبين أن فعاليات الإدراك منشؤها في فيزيولوجيا الفؤاد (الدماغ) خصوصا ألبلاغ ٣٦ الأسراء وألبلاغ ٧٨ النحل.

وكما قال «تسالمرز» عن الخبرة فإن القلب لا يستطيع الاستفادة من المعلومات التي خزنها الفؤاد بوسائله السمعية والبصرية من دون هذه الخبرة التي ما زالت مفقودة لدى علماء النظر والبحث العلميين حتى الآن والتي يظهرها قولهم عنها.

إن مسألة الخبرة هي في تدريب القلب وتثبيت أفعال التدريب فيه على استخدام المعلومات المخزنة في الأفتدة (العصبونات) في هيئة سلسلة أفعال فيزيائية. وفي توسيع فعاليات العصبونات الفؤادية (الاضطرامية).

لقد تناولت في كتاب الاستنساخ<sup>(١)</sup> كيف تمّ كسب المعلومات بواسطة خبراء مدربين للبشر<sup>(\*)</sup>. ورأيت رمزا في بلاغ القرآن تبدأ به فعاليات التدريب لاكتساب الخبرة وهو كلمة «الروح».

(١) بحث كسب المعلومات.

(\*) الملائكة هي كائنات مبرمجة لوظيفة محددة تشبه وظيفة الروبوت.

هذه الكلمة تستمد دليلها من دليل الفعل رَوْحَ يروح . ويدلُّ على ما تدلُّ عليه الأفعال هيج وحرك ووسع . وبه نوصف الهوآء عندما يكون فى حركة وهيجان واتساع فنقول عنه أنّه ربح .

فالأفتدة (العصبونات) التى تتلقى إشارات من وسائلها الحسية تحوّل هذه الإشارات إلى فعاليات فيزيائية وكيميائية فى هيئة رموز وتخزنها كمعلومات . وعندما تتكرر هذه الإشارات يجرى التعرف عليها وتقارن بالرموز المخزّنة . وهذا يجرى وفق قوانين الفيزياء .

إلا أنّ نقل هذه المعلومات الفيزيائية إلى مرتبة الخبرة وتفعيلها فى القلب يحتاج لتدريب حسى مكرر من الخارج يتداخل مع المؤثرات الحسية ذاتها ويزيد من فآء (اضطرام) العصبونات . التى تبدأ بترميز هذه المؤثرات الجديدة ترميزاً فيزيائياً وتخزنها فى ذاكرة كما كان يجرى فى السابق قبل التدريب .

وبتكرار الفعل التدريبي ذاته مرّات ومرّات يُثبّت المؤثر الجديد كذاكرة دائمة وبذات الوسائل الفؤادية التى تفتح سجلات جديدة فيزيائية وكيميائية لهذا المؤثر الجديد وتوسع مجال الاضطرام العصبونى .

وبأتباع الأمر الإلهى المتعلق بترتيل كلمات مسألة البحث :

﴿وَرَقِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ ٤ المزمّل .

أرى الشّبه لهذه الفعالية الرئيسة للتدريب الحسى الذى يكسب الخبرة .  
وبتطبيق الأمر على «الروح» يسوقنا إلى فهم مسألة الخبرة . وأبدأ بالبلاغ التالى :

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٥٢ الشورى .

فعل «الروح» جرى فى قلب النبى وغير ما فيه من فقدان الدّراية قبل الوحي ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾ .

دليل الفعل «تدرى» فى دليل الفعل «درى» وهو فعل العلم بالجزئيات والخبرة فيها. ومنه «الدراية» وأسم «مدرأة» التى تفرق بين الحب والقس. ويبين البلاغ أنّ النبى كان قبل الوحي جاهل فى المعرفة وفى العلم وأنّ الروح جعله «يدرى».

وفى البلاغ التالى بيان لمسألة الروح:  
﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٩٧ البقرة.

كلمة «جبريل» تستمد دليلها من دليل الفعل «جَبَرَ» الذى يدل على صلح وحسن. وفى المعجم الوسيط دليل حسى: «جَبَرَ الْفَقِيرُ: أَصْلَحَ حاله وكفاه حاجته. وَجَبَرَ ما فقد: عوضه. وَجَبَرَ الأمر جبراً: أَصْلَحَهُ وقوّمه. وَتَجَبَّرَ النبتُ: أَخَذَ يَخْضُرُ بعد يُس».

ومنه قول العامة: (اللّه يجبر عليك ويجبر بخاطرك).  
وأسم الجَبَّار من أسماء اللّه الحسنى وهو القادر على إعادة ما ذهب. ومنه قدرته على بعث الموتى.

وأسم جبريل كلمة شامية أصيلة جرى نسخها فى بلاغ القرآن العربى المبين. وهى مركبة من:

جَبَرَ التى تدل على الصلاح. وإيل التى تدل على قوّة التغلب على العطالة.  
فأسم جبريل المركب فى بلاغ القرآن يدل على الصلاح لتلك القوّة المعطلة فى قلب النبى قبل الوحي إليه. والذى نزل على قلب النبى هو صلاح اللّه لقلبه الذى كان لا يدرى قبل الوحي.

وقد بينّ البلاغ أنّ هذا الصلاح الإلهى جرى وفق سنّة اللّه فى الوجود التى لا مبدل لها «بإذن اللّه». وإذن اللّه هو قوانين الفيزياء.

ويؤكد البلاغ التالى ما وجدته فى دليل أسم «جبريل»:  
﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۚ / ١٩٣ / عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۚ / ١٩٤ /﴾ الشعراء.



الرُّوح هو الذى نزل بالصلاح الإلهى على قلبه. والرُّوح هو الحركة والهبجان والتوسع الذى يأتى به التدريب لاكتساب الخبرة. وبها تتوسع مخازن الأفتدة (الدماغ) وتزيد فعاليات ألفأد (الأضطرار).

وما جاء عن الرُّوح فى البلاغ التالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ ٨٥ الأسراء.

يُعلّق «الرُّوح» بأمر الرب ويدلنا على الرابطة المباشرة بالوجود الحقّ وسننه «ربط الخبرة بعناصر النظرية الفيزيائية».

وفى البلاغ التالى زيادة فى بيان المسألة:

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ  
لِلْكَافِرِينَ﴾ ٩٨ البقرة.

وردت فيه على التوالى وسائط التدريب على اكتساب الخبرة وتفعيلها فى قلب البشر الذى يخرج الإدراك والدراية.  
وأول هذه الوسائط ومصدرها الوحيد هو الله.

وثانى هذه الوسائط هى «ملئكته». وهى وسائط تشبه الروبوت وقد تلقت الأمر للفعل وفق منهاج محدّد فيها من قبل الخالق لا تتمرد عليه. وفعلها فى التدريب يشبه تنزيل الويندوز فى كومبيوتر فيجعله الأساس لفعاليات المناهج المختلفة.

ويؤكد أنّ الملائكة هى التى باشرت بتدريب البشر على اكتساب الخبرة ما جاء على لسان قوم نوح فى بلاغ القرآن:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ ٢٤ المؤمنون.

وبه نعلم أنّ نوحًا هو أول مدرّب بشر. وبه بدأت الوسطة الثالثة «رساله».

وبسبب ما تعودّ عليه البشر من أنّ المدرّب ملك فلم يصدق قوم نوحًا.

لقد كان تدريب الملائكة للبشر يشبه ما يفعله المدربون للوحوش فى حظائر

السيرك في المرحلة الأولى من التدريب. ثم جاء التدريب على مرحلة ثانية وثالثة عبر عدة أجيال من ذات الفريق البشري المختار لهذا التدريب. وقد استغرقت فترات التدريب أزمته طويلة. فالذين اكتسبوا الخبرة تحولوا بها إلى «آدم» أسم يدل على الضد من أسم «وحش». وبه بدأ فعل الاصطفاء وهو ما يبينه البلاغ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ٣٣ ءال عمران.

أما الذي نفر من التدريب فبقى في طور البشر «بهيمًا»<sup>(١)</sup>. وثالث الوسائط هم «رُسله». وهؤلاء ليسوا من الملائكة بل هم من لون البشر الذي صار هو المدرب للناس الذين ارتقوا وفق ستة الاصطفاء عبر مراحل الكسب الأول للخبرة في الروح.

ثم يأتي الوسيط الرابع «جبريل» الذي يدل على الصلاح للقلب وجعل قدرته على إدراك المعلومات وفعاليات التفكير كاملة. وقد جرى ذلك عن طريق «الوحي» المباشر من الله كما يبين البلاغ ٥٢ الشورى.

أما الوسيط الخامس فهو «ميكيل» ودليل هذا الاسم من دليل الفعل «كَيْل» وبه يحدّد المقدار سواء كان في الوزن أم في البعد.

ومآ أمره في دليل أسم «ميكيل» أنه يمثل «الروح» بعد أن توسع اكتساب الخبرة بالوسائط الأربعة السابقة. وأصبح تطور الروح يتوقف على سعى الإنسان بنفسه لزيادة المقدار المعرفي والعلمي في قلبه. وخضوعه لأسس جدلية التنافس والمعارضة والتقويم والتشابه التي تتولد من اتباع «ملة إبراهيم حنيفًا». وهذا الأمر يبين سبب الختم للنبوّة.

بعد هذا التفصيل في وسائط الخبرة. وبعد النظر في دليل كل منها في تسلسل ورودها في البلاغ ٩٨ البقرة. يتكون دليل القول لدى في ذلك البلاغ.

(١) راجع كتابنا الاستنساخ بحث كسب المعلومات.

وبين لى أن الذين يتخذون موقف العداء لله يرتبطون بمواقف العداء لسلسلة أطوار الروح التى بدأت مع الملائكة. ويتابعون موقف العداء إلى يومنا هذا. فالذين غطوا قلوبهم ومنعوا الروح من الحركة والتوسع فى اكتساب الخبرة وحاربوه لمنع توسعه وحركته مصيرهم التخلف والتراجع إلى خلف فى سلم التطور. لأن الله وكّد فى البلاغ على عداوته لهم «فإن الله عدو للكافرين».

الكفر هو فى تغطية القلب وحجبه عن اكتساب الخبرة بدءاً من أول طور تدريبي وإلى رسالة الله «القرءان» التى نزلت وحياً على قلب الرسول محمد.

ومن بعدها ومن دون وحى يبدأ الروح مسيرته فى طور أخير هو طور «ميكمل». وبهذا الطور يأتى بلاغ العلم الناظر والباحث بالعلم المقارن مع بلاغ الله فى القرءان. فيوصل العالم الذى يعقل بين البلاغين إلى الإيمان والتصديق والهداية.

لقد جاء فى البلاغ عن الكافرين وفيه وصف لقلوبهم:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ ٧٤ البقرة.

وهم أنفسهم يصفون قلوبهم:

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ ٩٨ البقرة.

لقد بينت لنا البلاغات التى رتلنا كيف تم «ربط الخبرة بعناصر النظرية الفيزيائية». وكيف تولت أفعال التدريب وأطواره فى تكوين الخبرة المتحركة والمتوسعة «الروح» فى الفؤاد (الدماغ). وجعلها معلومات فيزيائية مخزونة وبها يجرى فعل تأويل الأشياء المبصرة. وكلمة «الخبرة» التى جاء بها بلاغ علماء فيزيولوجيا الدماغ لا تكفى لبيان دليل كلمة «الروح» التى وردت فى بلاغ القرءان. فكلمة «الروح» فى دليلها دليل الخبرة والحركة والتوسع فى فعاليات الفؤاد (الدماغ) المسؤولة عن إحداث الإدراك واكتساب المعلومات.

يوجد لدينا اليوم. وكما كان منذ أزمنة طويلة. وفى كل بيت من بيوتنا.

بيان عن «نفخ الروح» في قلوب أطفالنا. والمدربون هنا هما «الوالدان». وتساعد مؤسسات المجتمع الوالدين في إكمال أفعال التدريب إلى أن يأتي دور المدرب ليكون هو المدرب لنفسه.

أما التدريب الجارى في مجتمعات اليوم فهو لا يقترن بهداية بلاغ القراء. مما يجعل «أرواحنا» قاصرة عن الحركة والتوسع بهداية تخفف وتمنع من الضياع في اكتساب المعلومات في طور «ميكال» التي توصلنا إلى طور «يوسف» الذي يجعل ويستخرج السقاية من رحل أخيه.<sup>(١)</sup>

ما وجده العلماء من أن العصبونات الدماغية توجد «بأعداد كبيرة وهي مصطفة على التوازي».<sup>(٢)</sup> وقد تبين لهم كثرة عددها وكذلك أصطفافها. يشبه ما وجدناه في جسيمات التكوين الكسمولوجي وجزئيات البيولوجيا.

كما أن ما وجدوه من اضطراب في العصبونات يحدث بهيئة مجاميع (كما في انتقال الشحنة الكهربائية في مجموعة مصابيح كهربائية على التسلسل وبمؤقت تسلسلي) يدل على وحدة الهندسة ووحدة الفعل في الوجود بكل ألوانه وهيئاته. وفيه برهان فيزيائي وبيولوجي على وحدة الخالق في الخلق والتسوية.

وبالعودة إلى البلاغ ٣٠ البقرة الذي يبين الإرادة الإلهية الموجهة لجعل البشر «خليفة» يظهر أن البشر الذي ارتقى بسنة الاصطفاء واكتسب «الروح» وتابع اكتسابها بنفسه «ميكال» مخول بالخلافة في فعل الروح مع نفسه ومع كائنات أخرى<sup>(٣)</sup> من غير البشر. وهو الذي يختارها لهذه الغاية. ويحدث هذا بتدريب هذه الكائنات على توجيه سمعها وبصرها إلى أشياء محددة مقترنة بالفعل

(١) كتابنا الاستسناخ بحث يوسف وأخوته وبحث النشأة الأولى.

(٢) «مشكلة الوعي» (م . ع . أ المجلد ١٥ العددان ٣/٢ - ١٩٩٩).

(٣) كتابنا الاستسناخ بحث كسب لمعلومات.

الإنسانى المدرب مرات متعددة. ثم يصطفى الأفراد الذين كان توجيه سمعهم وبصرهم جيداً للانتقال بهم إلى مرحلة ثانية من التدريب. على أن يتابع التدريب مع الأجيال المتعاقبة لهؤلاء الأفراد وفق سنة الاصطفاء. وإعادة الأفراد الذين قصر سمعهم وبصرهم واكتسابهم إلى فضيلهم الوحش.

## تأثير الدليل

رأينا بتناولنا فيزيولوجيا كلمة البلاغ الجارية في الفؤاد (الدماغ) كيف وصف علماء هذا الفرع أفعال العصبونات الفيزيائية داخله. ورأينا كيف ربطوا هذه الأفعال بمؤثرات خارجية. وقد توصلوا إلى الحد الذي يبدأ فيه فعل الروح. خصوصاً (تسالمرز وكريك وكوخ). وبما رأينا ننتقل إلى البحث المتعلق بتأثير كلمة البلاغ على الإنسان بفعل زوجية منهاج النفس (فجور/ تقوى - خير/ شر).

يرى علماء هذا الفرع أن الخوف والكبت والكذب والاستبداد واليتم وفقدان الرعاية الحسنة والقهر والتهر جميعها تولد الكرب النفسى الذى يسبب خللاً فى منهاج الاستتباب العصبى لدى الانسان. ويصبح عرضة للأمراض على ألوانها.

عن هذه المسألة وجدت فى أقوال العلماء الباحثين فيها ما يساعد على النظر فيها ومتابعة العقل مع بلاغ القراءن. وأبدأ مع ما يقوله «H. N. كالين»:

[الأطفال الذين يعانون الخوف بصورة غير طبيعية، قد يصابون بإعتلالات بدنية. فكثير من الصغار الذين يتعرضون للكبت الشديد تحت ظروف غير مألوفة لفترات طويلة، يزيد إفرازهم لهرمونات الكرب Stress بصورة مزمنة، بما فيها الكورتيزول الذى تفرزه الغدتان الكظرية (الكظران). هذه الهرمونات مهمة في أوقات الشدائد، فهي التي تضمن للعضلات توافر الطاقة المطلوبة، سواء «للقاتال أو الفرار» Fight or Flight. ولكن بعض الدلائل تشير إلى أن ارتفاع هرمونات الكرب على المدى الطويل

قد يسهم في تكوين قروح المعدة وأمراض القلب والأوعية الدموية. وأكثر من هذا، فالخوف سبباً للإضطرابات التحسسية (الأرجية). وإن ارتفاع الكورتيزول الدائم يتلف الخلايا العصبية في منطقة الحُصَيْن (قرن آمون) [hippo campus].<sup>(١)</sup>

هذا القول هو عن أثر الخوف والكبت الشديد عند الأطفال. وقد تبين للدارس أن الاعتلالات البدنية لدى هؤلاء الأطفال منشؤها في «زيادة افرازهم لهرمونات الكرب» تحت وطأة الخوف والكبت الشديد.

وقد توصل البحث العلمي إلى التأكيد أن الأمراض التي تصيب أجسامنا على اختلاف ألوانها سببها مناهجنا المعرفية ذاتها وتأثيراتها السلوكية في أفعالنا وفي حياتنا. ورأوا أن المنهاج المعرفي هو الذي يؤثر في السيرورات الفيزيولوجية داخل الجملة العصبية ويوقعها في اضطراب الاستتباب.

وحتى تكون الصورة بينة أعرض لأوصاف وأفعال جهاز الاستتباب لدينا بعرض لأقوال بعض الباحثين في هذه الأفعال المدهشة.

فيقول «M. E. سترنبرج» و«W. PH. جولد»:

[لقد أتاحت لنا الوسائل الجزيئية والدوائية تعرف شبكة معقدة توجد بين الجهاز المناعي والدماغ، وتتيح لهما تبادل الإشارات على نحو مستمر وسريع. فكيمائيات معينة ينتجها الجهاز المناعي تعمل كإشارات في الدماغ، فيقوم هذا بدوره بإرسال إشارات تقيد الجهاز المناعي. كما أن هذه الإشارات الكيميائية نفسها تؤثر في السلوك تجاه الكرب Stress وفي الاستجابة له. ويعمل تعطيل شبكة الاتصال هذه (سواء كان هذا التعطل موروثاً أو بواسطة العقاقير أو المواد السامة أو الجراحة) على تفاقم الأمراض التي يصون الدماغ والجهاز المناعي الجسم من الإصابة بها. إن كلا من الدماغ والمناعة يعتمدان للاتصال فيما بينهما على الوسائط الكيميائية. فالإشارات الكهربائية مثلاً على طول المسالك العصبية تحوّل في المشابك بين العصبونات إلى إشارات كيميائية. ولا تقوم المراسيل التي تنتجها الخلايا المناعية، بالاتصال بأجزاء الجهاز المناعي الأخرى فحسب، بل أيضاً بالدماغ والأعصاب. كما أن بوسع الكيمائيات التي تحررها الخلايا

(١) «البيولوجيا العصبية والخوف» (م . ع . أ المجلد ١٥ أالعددان ٣/٢ - ١٩٩٩).

العصبية أن تعمل كإشارات تستثير الخلايا المناعية. وتنتقل هرمونات الجسم عبر الدم إلى الدماغ، كما أن الدماغ يصنع هو الآخر هرمونات معينة. وقد يكون الدماغ أكثر الأعضاء الضم في الجسم إنتاجاً للهرمونات فينتج عدداً كبيراً منها تؤثر في الدماغ نفسه وفي نسيج الجسم المختلفة. ويعد الهرمون المحرر للموجه القشرية (CRH) Cortico tropin-releasing hormone أحد الهرمونات الأساسية التي تشارك فيها الجملة العصبية المركزية والجهاز المناعي، وينتج الوطاء hypo thalamus ومناطق أخرى من الدماغ، ويؤخذ استجابات الكرب والاستجابات المناعية. ويحرر الوطاء الهرمون (CRH) في دارات دموية متخصصة، توصل هذا الهرمون إلى النخامة لتحرر الهرمون الموجة لقشرة الكظر adrenocorticotropin hormone (ACTH) في الدم، فيعمل هذا الأخير على تنبيه الغدة الكظرية لتنتج الكورتيزول Cortisol، وهو الهرمون المعروف أكثر فيما يتعلق بالاستجابة للكرب.

وباعتباره هرموناً ستيرويدياً، فإن الكورتيزول يزيد معدل تقلص القلب وقوته، ويحسس الأوعية الدموية لتأثير النور إبينفرين norepinephrine (هرمون شبيه بالأدرينالين)، الذي يؤثر في العديد من الوظائف الاستقلابية، أي الأفعال التي تساعد على تحضير الجسم لمواجهة حالة كرب.

أضف إلى ذلك، أن الكورتيزول منظم مناعي قوي وعامل مضاد للإلتهاب. فهو يؤدي دوراً حاسماً في منع الجهاز المناعي من أن يستجيب استجابة مفرطة ضد النسيج المصابة والمتأذية. ويعمل الجهاز المناعي كسلسلة لعدد من الأحداث الخلوية المحكمة الدقة، هدفها تخليص الجسم من المواد الغريبة والبكتريا والفيروسات.<sup>(١)</sup>

في هذا القول عرضاً لأرقى ما يمكن تصويره من منهاج أتوماتيكي تتبادل فيه الأدوار والتعاون بين الدماغ والجهاز المناعي من أجل حماية الجسم من «حالة كرب» أو من «المواد الغريبة والبكتريا والفيروسات».

وفي هذا الوصف أن تعطل «شبكة الاتصال» بين الفؤاد (الدماغ) والجهاز المناعي سببها «العقاقير والمواد السامة» وتزيد عليها الجراحة والوراثة.

(١) «التأثر في المرض بين العقل والجسد» (م. ع. أ. المجلد ١٥ أعددان ١٩٩٩/٣/٢).



وأرى أن الجراحة والوراثة ليست أساسية في ذلك ألتعطل . لأن أسبابها تعود بالدرجة الأولى إلى المواد السامة التي تأتي إلى أجسامنا من بيئة ملوثة . والعقاقير ذاتها هي من عوامل هذه البيئة الملوثة . التي يسبب في تلوثها منهاجنا المعرفي ذاته الذي يولد الخوف والكبت عند الأطفال . ويزيد فيه عمل الكبار الذين يزرعون خوفهم هم في قلوب أطفالهم . كالخوف من الفقر والبطالة والتشرد وتوقف التعليم . الخ . وكما قال «كالين» : «أن ارتفاع هرمونات الكرب على المدى الطويل قد يسهم في تكوين قروح المعدة وأمراض القلب والأوعية الدموية» .

وأمراض خطيرة أخرى تحدث عنها كل من «سترنبرج» و«جولد» :  
[وتقدم الدراسات التي تجرى على الحيوانات دليلاً إضافياً على أن الكرب يؤثر في سيرورة وشدة الاعتلال الفيروسي والمرض البكتيري والصدمة الانتانية .  
وتشير الدراسات إلى أن آليات هرمونية (غدية صماوية) عصبية تؤدي دوراً مماثلاً في أخماج فيروسية أخرى، بما في ذلك فيروس العوز المناعي البشري (HIV)] .<sup>(١)</sup>  
وفي هذا القول أن الكرب هو المسئول الأول عن حدوث هذه الأمراض حتى أخطرها (الأيذز) .

ويؤكد ما نشير إليه من أن المنهاج المعرفي هو المسئول الأول والأخير عن هذا الإختلال في الاستتباب ما قاله «سترنبرج» و«جولد» :

[الكرب ليس شخصياً فحسب، بل انه يُدرك عبر التأثيرات مع الآخرين . فالتأثرات الاجتماعية قد تزيد، أو تنقص الكرب النفسي وتؤثر على نحو مماثل في الاستجابة الهرمونية تجاه الكرب، الأمر الذي يؤدي إلى تغيير الاستجابة المناعية . وهكذا فإن الكرب الاجتماعي النفسي الذي يعانيه الفرد، يؤثر في استعدادة للإصابة بالأمراض الإلتهابية والخمجية، كما يؤثر في سيرورة المرض . وعلى النقيض من ذلك، فإن البيئة الإيجابية المشجعة لعلاقات اجتماعية واسعة أو لمعالجات نفسية جماعية، تعزز الاستجابة المناعية ومقاومة الأمراض، بما في ذلك السرطان] .<sup>(٢)</sup>

(١) أَلْمَرْجَعُ أَلْسَابِقُ .

(٢) أَلْمَرْجَعُ أَلْسَابِقُ .

إن الجمود المعرفى والعقائد فى المجتمع وأستبداد الأفكار والسلطان. بما فى ذلك المنزل ومنهاج التعليم والمجتمع. كله يدفع أفراد المجتمع. الكبير والصغير. الغنى والفقير. للسقوط تحت وطأة كبت الأفكار والمشاعر التى تتعارض مع هذا الجمود والاستبداد. وهذا الكبت يولده الخوف من العقاب. ويسوق صاحبه إلى الضغط على نفسه ليصرح بالقول المخالف للحق الذى فى نفسه. ويرى فى قوله الكاذب المخرج له من العقاب. والذى فعل كل هذا هو كلمة البلاغ. التى تخالف الحق. وتكون أساس البنية الفكرية لدى هذا الفرد من وجهة. ولدى مجتمعه الاستبدادى من وجهة أخرى.

فى البلاغات ٥٣ / ٥٤ الحج أن الذين يتمسكون بكلمة «التمنى» هم الذين ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم الذين يتبعون «الظن» كما فى البلاغ ٣٦ يونس.

فكلمة البلاغ التى تحتل وجهتين «صدق/ كذب» هى المسئولة عما يحدث فى القلب من قول كاذب أو صادق وفى الجسم من سلامة أو مرض. وإن وجهة كلمة البلاغ إلى الظن والكذب يزيد من الضغط النفسى ويقوى ويفاقم الاستجابة الهرمونية للمرضية.

وفى بلاغ القرآن ما يؤكد هذا الربط بين المرض النفسى والمرض الجسمى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ / ٨ / يُخٰدِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخٰدِعُونَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ / ٩ / فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ بِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ / ١٠ /﴾ البقرة.

فهؤلاء يخدعون أنفسهم بقولهم المخالف للحق الذى هم عليه. وقد جاء وصف قلوبهم فى البلاغ بالقول «فى قلوبهم مرض». أى أن المرض فى أفكارهم التى ساقطتهم إلى هذا الخداع للنفس وقول الكذب من دون أن يشعروا أنهم يخدعون أنفسهم.

ويتن البلاغ أن الكذب عند هؤلاء هو منهاج مستمر وفعله يسبب مرض فى

«قلوبهم». وأن تطور المرض فى قلوبهم يتحول إلى مرض جسمى يترافق مع «عذاب أليم». أى أن المرض النفسى ينتقل إلى الجسم تلقائياً من بعد اضطراب جهاز الاستتباب.

ونجد أنفسنا أمام الوصية الإلهية «لا تكذب» التى جاءت فى الوصايا العشر فى كتاب موسى والتى جاءت فى القرآن فى الأمر التالى:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ١٥٢ الأنعام.

وكذلك فى الأمر التالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَالِدِينَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ٣ النساء.

لقد جاء ذلك للإنسان لكى يتمسك بمنهاج الحق ويبتعد عن الظن والتمنى الذى يسوق إلى الكذب بكل ألوانه. ثم إلى المرض الجسمى وألامه.

وبسبب خطورة الكذب أرى فى الوصايا أن الله يطلب من الإنسان قول الحق مهما كانت درجة القربى. بل يطلب منه ذلك على نفسه مهما كانت العقوبة الاجتماعية المقابلة لقوله الحق.

والغاية من هذه الوصية قد بينها بحث العلم فى سيرورات المرض كما رأينا.

وكان بلاغ القرآن قد بين ذلك من دون أن نوجه سمعنا وبصرنا إليه. ولذلك أوجدنا لأنفسنا مخرجاً لقول الكذب تحت اسم «كذبة بيضاء». فكبر فعل الكذب فى حياتنا وكثرت الأمراض الإلتهابية والخمجية والسكرى وتصلب الشرايين وأنسدادهما والسرطانات. . إلخ.

أما الأمراض التى يولدها نقص الرعاية والعناية الحسنة فهى تشترك مع الكذب فى جميع الأمراض التى تنجم عنه. ويزيد عليها الانحرافات فى النمو والزيادة فى الوزن والتنعكس العصبى. وأستدل على هذا الرأى من مقال «K . لوتو ايلر»:

[اكتشف M . ميني أن امهات الجرذان حينما تكثر من لعق صغارها يقل انتاج الهرمون CRH . ويقول ميني: «أن مقدار لعق الأم لصغارها . خلال الأيام العشرة الأولى من الحياة . له ارتباط وثيق بانتاج الهرمون CRH في وطاء hypo thalmus دماغ الذرية البالغة». إضافة لذلك، إكتشف ميني مقارنة بالصغار التي تُركت مفردة . أن الجرذان التي لُعت، أنتجت كمية أكبر من المستقبلات القشرية السكرية (GCS) glucocorticoid في الحُصين hippo campus . وحينما تنشط هذه المستقبلات، فإنها تثبط إنتاج الهرمون CRH في الحُصين، وبذا توهن الاستجابة للكرب . كما أن الجرذان التي لُعت أنتجت قدراً أكبر من مستقبلات الناقل العصبي GABA (حمض الجاما أمينو بوتيريك) المثبط للهرمون CRH في كل من اللوزة amygdala والموضع الأزرق locus ceruleus وهما منطقتان في الدماغ مرتبطتان بالخوف . إن اليتم يسبب توليد مقدار أقل من القشرانيات السكرية GCS ومن مستقبلات الناقل العصبي GABA ، بل إن لها في الواقع عصبونات أقل في بعض مناطق الدماغ أيضاً.

لقد وجد M سميث (من مختبرات بحوث دوبونت ميرك) وباحثون آخرون (من المعهد القومي للصحة العقلية) بدراسة أنماط من الموت الخلوي المبرمج (الاستموات) Programmed cell death الذي هو سيرورة تشذبية طبيعية تحصل أثناء النمو . وقد تبين لهم أن نسبة موت الخلايا بين الحيوانات الصغيرة اليتيمة بلغت ضعف ما يحدث لدى غيرها في العديد من باحات (مناطق) الدماغ، ولا سيما في الحُصين الذي يُعدُّ بنية أساسية في التعلم والذاكرة.<sup>(١)</sup>

ما في هذا القول عن فقدان العناية والرعاية لصغار الجرذان . يبين تأثير هذا النقص على سيرورة الأمراض من وجهة . وعلى التخلّف النفسى من وجهة أخرى . خصوصاً ما يتعلق بزيادة الاستموات في خلايا دماغ اليتيم الذى لم يلقَ رعاية بعد فقدانه لوالديه أو لأحدهما .

وهذا ما وجده الباحثون على كائنات ليس لها «كلمة بلاغ» ويقتصر التأثير على جهاز الاستتباب لديها على «الكلمة البيولوجية» .

(١) «لا تستسلم للكرب» (م . ع . أ المجلد ١٥ ألعُدان ٣/٢/١٩٩٩).

فكيف بالإنسان الذى يشاركها فى كلمة «البيولوجيا» ويزيد عليها «بكلمة البلاغ» الأشد وطأ وتأثيرًا؟!

الأمراض الانسانية مقصورة على الإنسان ولا تشاركه بقية الكائنات فى أى منها باستثناء ما يجلبه فعل الإنسان المفسد فى الأرض (البيئة) من سموم تكون السبب فى أمراض له وللبيئة التى يحيا فيها بمشاركة كائنات حية أخرى يلحق بها هذا المرض.

وكما رأيت فى بلاغ القراءان عن تأثير الكذب فى سيرورة المرض وعذابه الأليم. كذلك أرى فيه مسألة الرعاية والمأوى والإحسان والقسط التى تعرف عليها البحث العلمى اليوم وبين أسباب التوجيه فى مسألة الرعاية. وفى القراءان بلاغات كثيرة عنه تبين أهمية الأصغاء إلى هذا التوجيه. ومنها ما يتعلق برعاية اليتيم:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ٦ الضحى.

والامتناع عن القهر وعن النهر:

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ / ٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ / ١٠﴾ الضحى.

وفى تقرير الذين لا يكرمون اليتيم:

﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ ١٧ الفجر.

وعن تقديم الطعام فى جو من المحبة:

﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشَكَّاتٍ وَبَيْمَاتٍ وَنَحِيقاتٍ﴾ ٨ الإنسان.

وعن التبرع وتقديم العون المالى:

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ / ٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ / ٢٥﴾ المعارج.

وعن حماية ورعاية أموال اليتيم الموروثة من والده الميت وأتى بسبب ذهابها إثارة نفسية شديدة لدى اليتيم القاصر:

﴿وَأَنذَرُوا آلَ نِسْأَيْكُمْ أَنُمُوهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ ٢ النساء .

وفى هذا الأمر التوجيهى طلب لإعطاء أيتيم ماله الذى ورثه عن والده أو وألديه . وفى التوجيه نهى عن الاعتداء على هذا المال . لأن صاحبه قاصر لا يستطيع أن يرد أو يدفع العدوان عن نفسه ولا عن ماله . كما أنه ليس عليه أن يفعل ذلك .

وبين البلاغ أن وقوع هذا العدوان يولد مرضاً كبيراً ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ . والحبوب هو العدوان الذى يرافقه الحرج والهم والحسرة والحاجة والضيم . وهذا المرض يصيب المعتدى والمعتدى عليه . فهو يبدأ بالشعور بالذنب وتأنيب الضمير والحرج الاجتماعى والهم عند المعتدى بسبب ما ينتظره من رد فعل القاصر بعد أن يكبر ويطالب بماله . ويبدأ عند المعتدى عليه بالحسرة والضيم والحاجة والانتقام . عن هذا جاء الوصف «حوباً كبيراً» .

فى كتاب الله الكثير من الأوامر التى توجه إلى أحسان فى معاملة أوالالدين وأيتامى والمساكين والسائلين والمحرومين والأسرى والناس جميعاً . وهذه التوجيهات يكشف عن غايتها البحث العلمى تصديقاً للتبلي التالى :

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٨٨ ص .

وفى بلاغ القراءان ما هو أوسع مما وجده الباحثون فى اختباراتهم على كائنات ليس لديها «كلمة بلاغ» .

كما أن بيانات الباحثين ما زالت ضيقة وأن بلاغها لم يدفع بالمجتمعات الإنسانية إلى الانتباه إليه . وسبب ذلك هو فقدان أعمال المقارنة بين بلاغات البحوث العلمية وبين بلاغات القراءان .

إن الامتناع عن الاستجابة للأوامر الإلهية الواردة فى بلاغات القراءان يوقع فى الكرب الذى يتظاهر بالحزن والغم الشديد . فيقلب النفس ويشيرها محدثاً

الاضطراب في الاستتباب homeostasis. وإذا استمرّ الفسق عن أوامر الله يستمرّ الكُرب وتنتشر الأمراض التي يرافقها «العذاب الأليم». وينتشر معها «الْحُبُوبُ الْكَبِيرُ» الذي يدفع إلى زيادة الجهل والفقر والضميم والحسرة والانتقام. وهذا سلوك متخلف يدفع بالإنسان من بعد مسيرة الروح الطويلة إلى ألوان مسوخية ودونية للنفس البشرية التي ميزها الله عن بقية الدوابّ بالروح.

لقد رأيت أن البشر لا يستطيع أن يتحول إلى إنسان من دون عون خارجي. وإلا لوجدنا دوابّ أخرى وصلت إلى هذه المرتبة (إنسان ضد وحش). وقد بين لنا بلاغ القراء أن هذا التحول جرى بإرادة وأمر من الله. وقد فعل ذلك خبراء مهديون (ملائكة ورسول وأنبياء). ويتابع الفعل من بعدهم المجتمع الإنساني من دون تدخل خارجي من بعد النبوة الخاتم ورسالة الله (القراء).

فقد أراد الله بنفخ الروح أن يكون الإنسان خليفة. وصار على الإنسان العمل على إخراج كائنات أخرى من طور الوحش. لا أن يعود هو مسخاً ويرتد إلى وراء وحشاً.

ورأيت أنّ البحث العلمي يكشف عمّا يصدّق بلاغ القراء ويؤوّل بعض أنبائه. وهو يقصر عن جوانب كثيرة جاء عنها في بلاغ القراء وما يزال البلاغ العلمي يغفل عنها. وسبب ذلك في أمرين:

الأول هو الامتناع عن المقابلة بين البلاغين.

والثاني هو في الحاجة لمزيد من البحث العلمي وصولاً إلى العلم بالتشاة الأولى.

توجّهت في هذا الكتاب إلى القول أنّ الكلمة هي فعل معلومات ينطلق بالأمر الأول «كُن». وبه يبدأ التكوين بمعلومات الكلمة الكوسمولوجية ومنها ينتقل إلى الكلمة البيولوجية.

ثم يجرى تنزيل وتحميل منهاج معلومات كامل ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ من الخارج. ويبدأ بعدها التدريب لاكتساب كلمة البلاغ والخبرة فيها. ورأيت أن وحدة البناء في الكلمات الثلاثة واحدة. وأن سلوك فعل الكتابة فيها واحد هو «الأصطفاء».

ووصلت إلى القول أن الله واحد. وأن الدين عند الله واحد. وأن الروح وكتب الله جاءت وفق سنته في الوجود التي يظهر منها سنة الأصطفاء ببرز بين. أى وفق ما نسماه قوانين التطور.

فدين الله هو المنهاج الموافق والمطابق لسلسلة أفعال كلمة الحق (الكينونة) منذ البداية بالأمر «كن» وقت «الفجر» وإلى نهاية الحدث «الطارق». والدين هو موسوعة علمية تكوينية كمل البلاغ عنها فى رسالة الله القراءان التي تحمل صفة التشابه المطلق.

وقبل نهاية بحث الدليل أذكر بالبلاغ التالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ١٠٥ الأنبياء.

وهم الذين تحرروا من الظن والجمود الفكرى وتوجهوا إلى بلاغ الدين وبلاغ البحث العلمى والتزموا أوامر الله ففازوا فى الجهر بحرياتهم وأخذوا من التبا التالى:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ٨٨ القصص.

حجر الأساس فى بناء مفاهيمهم وأقوالهم وأفعالهم وأعمالهم المتوجهة وجهة الصلاح والتطور. فلا يتركون أنفسهم تسقط فى وثنية مفاهيم جامدة لا تقبل بهلاك لها ولا بتطور.



## الموقف

رأينا في بحث «تأثير الدليل» كيف تفعل كلمة البلاغ في أجسامنا. وتناولت في «مدخل إلى البحث» من هذا الكتاب فعل كلمة البلاغ في تنمية أفكارنا وتوجيه أفعالنا سندًا للبلاغ ه الكهف. وهذا أوصلني إلى الموقف الذي يكون عليه كل منّا في حياته الخاصة والعامة على السواء.

على اختلاف تواجد الإنسان في الأرض وفي جميع مراحل التاريخ الإنساني توجد مواقف للناس جماعات وأفراد تتقاتل حينًا وتتصالح في آخر. يصعد أحدها فترة من الزمان ثم يتراجع أمام موقف آخر لفترة من التاريخ أخرى. فهل جاء في بلاغ القراءان عن هذه المواقف؟  
لقد ورد في البلاغ ما يلي:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ٨٩ النحل.

التيبان هو لكل شيء. وبذلك فهو تبيان لمسألة البحث. وهناك ثلاثة بلاغات نرتلها فيما يلي:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰنِئِينَ وَالصَّٰبِغِينَ مَن ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٢ البقرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّارِعُونَ مِنَ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٩ المائدة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالصَّارِعِينَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ١٧ الحج.

تمائل البلاغان ٦٢ البقرة و ٦٩ المائدة بما يلي:

«الَّذِينَ ءَامَنُوا. الَّذِينَ هَادُوا. الصَّابِقِينَ وَالصَّابِقُونَ».

وكان التماثل بالشرط ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾. وبما ينجم عن تحقق الشرط ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وأنفرد ألبلاغ ٦٢ البقرة ببيان أجر من يلتزم الشرط من المعدودين ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

ومن سقط عنه الخوف والحزن فقد نال أجره.

هذا الأجر لا تأخذه الأطراف الأربعة المعددون مجتمعين بدليل الشرط ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾. وأن الذي يأخذه هو كل فرد منهم يحقق هذا الشرط من دون استثناء أى طرف.

أما ألبلاغ ١٧ الحج فقد عدد الأطراف الأربعة وأورد معهم طرفين آخرين «المجوس والذين أشركوا». ولم يرد فيه الشرط ولا الأجر. إلا أنه بين أن الفصل بينهم يحدث يوم القيامة.

وأفهم من ذلك أن الأطراف الستة ستبقى مع بعضها فى الحياة الدنيا عبر جميع مراحل التاريخ الإنسانى. وأن تداخل وتصارع مواقفها تحكمه ستة الاصطفاء. وفيه بيان لحركة صعود وارتقاء بعض هذه الأطراف وهبوط وتخلف الأطراف الأخرى.

فما هو موقف كل من هذه الأطراف الستة؟

### الموقف الأول:

«الذين ءامنوا» وهم علماء النظر والبحث<sup>(١)</sup> الذين يربوا علمهم عن طريق السؤال والنظر والبحث فى أشياء الوجود وظواهره. وبه تتكون أفكارهم التى تؤول التكوين وتبنى بلاغاتها فيما يعرف بـ «فلسفة العلم» و«المنطق الرياضى». وهؤلاء يرجعون مفاهيمهم وأحكامهم العلمية والنظرية إلى حدث الاختبار الذى يمكن من تأكيد صواب القول فى مسألة منظورة.

ودليل كلمة «إيمان» هو فى الثقة والتصديق والأطمئنان والأمن. وهذا لا يحقق عند الناس إلا بالبيئة الحسية الاختبارية. فالذين ءامنوا وصف لطائفة من الناس الذين يلتصقون بالعلم وبحوثه ولا يدل على إيمان بالله واليوم الآخر قبل بلوغه بذات الوسائل العلمية.

### الموقف الثانى:

«الذين هادوا» وهم الذين اتخذوا من «يهودا» نسبا يهودون حاضريهم إليه. وقد جعلوه أساسا لنظرية ظنية تزعم عصبية قومية (النظريات القومية). وهى تستخر كل شىء فى حاضرها بما فى ذلك الدين لخدمة مفهوم «الشعب المختار». وسبب موقفهم هذا هو الفهم الخاطئ لفعل ستة الأصطفاء. فقد فهموا من القول «أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِ الصَّالِحِينَ» على أنه وعد يخص قوم من دون غيرهم. وأن «عبادى الصالحون» وصف مقطوع عليهم. فقد ظنوا أَنَّ الصفة السلبية لستة الأصطفاء (التخلف) تخص الشعوب الأخرى.

وإن وصف «الذين هادوا» يصلح لإطلاقه على كل شعب يشد حاضره إلى ماضٍ ونسبٍ وهو يتوهم علواً بسبب النسب.

### الموقف الثالث:

«النَصْرَى» هو اسم جمع لـ «نصير» ودليله من دليل الفعل «نَصَرَ» وفيه دليل

(١) راجع بحث «الإيمان والمؤمن» (كتابنا الدين خرافة أم علم؟).

التأييد والعون طلباً للخلاص من أمر خطير. وهناك تطبيقات تاريخية لهذا الموقف في ثورة العبيد في الامبراطورية الرومانية والثورة الفرنسية والثورة الروسية. والاسم يدل على الفئات الاجتماعية الدنيا وهم في بلاغ القرآن «الأراذل». كالعبيد والفلاحين الذين يوحدتهم البؤس والشقاء وكرهية الفئات العليا «الملا». وتدفع وحدة هؤلاء في الشقاء لينصروا بعضهم من أجل الخلاص. سواء كان ذلك داخل بلد واحد أم في بلاد مختلفة. وهؤلاء هم أصحاب المواقف الأُممية.

#### الموقف الرابع:

«الصَّبْبِينِ وَالصَّبْبُونِ» اسم جمع لـ «صابئ» دليله من دليل الفعل «صبا». وفيه دليل الاحتجاج والخروج والانشقاق عن الجماعة أو القوم. وهو اسم لجميع أصحاب مواقف الاحتجاج والانشقاق (المعارضة) في أي مجتمع تسود فيه سلطة تستبدّ كسلطة «الذين هادوا» أو سلطة «النَّصْرِي». وهذا الاسم ظهر في مكة وأطلق على محمد وأتباعه<sup>(١)</sup> الذين فعل ألّوحي في حدوث موقفهم. وهو ما تبينه أليد «ي» في الكلمة «الصَّبْبِينِ» تمسك بيد الصديق «ص» وتوصلها بمنهاج الاحتجاج والانشقاق «ن».

ثم عاد الموقف والاسم يفعل بذاته «الصَّبْبُونِ». وهو ما يبينه ألّوتد «و» في الكلمة وبه تُوتد يد الصديق «ص» على منهاج الاحتجاج والانشقاق. ويظهر هذا الموقف في قارة أوروبا محتجاً على سلطة استبدادية ومنشقاً عنها. وعرف أصحاب هذا الاسم هناك باسم «البروتستانت».

#### الموقف الخامس:

«المَجْجُوس» جاء في المعجم الوسيط: «مَجَّسَهُ، أي صَيَّرَهُ مَجْجُوساً». وقد جاء هذا القول في باب مستقل عن الفعل «جاس يجوس» الذي يدل على نظر

(١) أنظر في كتب التفسير.

وتأمل في الظاهرة للوصول إلى معرفة من دون اختبار حسيّ. وهذا هو أسلوب فلسفة التأمل التي تفترق عن فلسفة العلم البحثي. وبالتالي هي فلسفة ظنيّة.

### الموقف السادس:

«الذين أشركوا» وهم السفهاء كما يبين بلاغ القرآن. وهم الذين يشركون غيرهم فيما يتكوّن لديهم من مفاهيم يظنون أنّ لهذا الغير علم نهائيّ فيها. كما يشركون الله فيما يقولون ويعملون. فتنشأ لديهم مفاهيم ظن وتخريص (تخمين).<sup>(١)</sup> وبذلك يخلطون بين الحقّ والباطل وبين الباقي وأهالك. وهؤلاء لا تُغفر لهم موافقهم. وقد جاء في البلاغ ما يبين ذلك:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ٤٨ النساء.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ١١٦ النساء.

لقد اقترن الشرك بالله بمسألتين:

الأولى بينها القول ﴿فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾. فالذي يقول لولا الله ما فعلت هذا ولا قلت. فهو يختلق لنفسه ضرّاً بالغاً في الكيف والكم باتهامه الله أنّه هو من جعله يفعل ويقول.

والثانية بينها القول ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. أي ضاع ضياعاً مهلكاً.

وأفهم من البلاغ ١٧ الحج أنّ هذه المواقف الستة تبقى متداخلة حتى يوم القيامة. وفيه يفصل الله بين أصحابها فينال ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ من الأطراف الأربعة الأولى الأجر الجزئيّ «أجرهم» والأجر الكلّي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أمّا المجوس والذين أشركوا فلا يغفر لهم.

(١) راجع بحث «الإيمان والمؤمن» في كتابنا «الدين خرافة أم علم؟».

إِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ الْمَطْلُوبَ لِتَصَدِيقِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ مِنْ كُلِّ  
فَرْدٍ مِنَ الْأَطْرَافِ الْأَرْبَعَةِ الْأُولَى وَلَيْسَ مِنْهُمْ كُطُوفٌ . وَيتحقق التصديق بطاعة  
أوامر الله ومنها الإمتناع الطوعى عن الفساد فى الأرض وفى الحرث وفى النسل  
كما جاء فى الأمر:

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ / ١٥١ / الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ / ١٥٢ /﴾  
الشعراء .

ويبين الأمر أَنَّ الإسراف فى استهلاك المواد . سواء كان للصناعة أم للبناء أم  
فى الطعام والأمتعة هو سبب الفساد فى الأرض (البيئة) بكل ألوانه .  
وفى الأمر طلب للإمتناع عن طاعة المفسرين الذين يصدر عن أوامر الإسراف  
من مواقع السلطة . وقد جاء فى البلاغ عنهم:  
﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ  
الْفُسَادَ﴾ ٢٠٥ البقرة .

فإنسان الفرد الذى يتمنى إلى طائفة من أصحاب المواقف الأربعة المعدودة  
فى البلاغ ٦٢ البقرة إذا وصل بعلمه إلى موقف الذى ﴿ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ينال الأجرين (الجزئى والكلئى) .

أما الصراع الفكرى بين أصحاب المواقف ومحاولة كل منهم اتهام الآخر  
ببطلان ادعائه . فقد جاء فى البلاغ عن ادعاء القومية المتعالية «اليهود» وعن  
الأممية «النصرى» ما يلى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ  
وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ  
الْفَيْكَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١١٣ البقرة .

ويبين البلاغ أن قول كل طائفة من أصحاب الموقفين هو قول الأخرى على  
الرغم من افتراقهم:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ﴾ ١٨ المائدة .

وهو قول تدعى به كل طائفة منهما ظناً بتقوية موقفها في مواجهة الأخرى . وهو ادعاء يغذى مواقف التابعين ويسبغ سلطة الطائفة . ولم تترك كل طائفة لمن يدعى مثل ادعائها فرصة المضي إلى أبعد منها بعد أن ربطت تبعيتها في ادعائها بالله مباشرة «أبناء» وقرنت هذه الرابطة بالرضى والمحبة «أحباء» .

لقد ابتعدت الطائفتان في ادعائهما بعد أن غطتا على قلوب أتباعهما . فأبن الله يطيع الله وحده . وهو ما يدل عليه اسم «أبن» . فالأبن يتبع الأب ولا يخالف أوامره وتوجيهاته . وأن الزعم لا يجدى نفعا .

وعلى الرغم من وحدة الادعاء في موقف الطائفتين نجد الاختلاف بينهم في الموقف من الذين ءامنوا :

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ﴾ ٨٢ البقرة .

اليهود والذين أشركوا في هذا البلاغ متحدون في موقف العداء «للذين ءامنوا» . وسبب هذه الوحدة في الموقف هو العمى الناجم عن التعصب القومي المتعالى والانشداد إلى السلف عند «اليهود» . وعن الجهل ومعادة العلم عند «الذين أشركوا» .

أما أصحاب الموقف الأسمى «النصري» فيميلون إلى قبول البلاغات التي يصدرها أصحاب الموقف العلمى ويسمحون بتداولها في مكان سلطتهم .

اسم «يهود» لا يدلنا على أتباع موسى والتوراة . كما أن اسم «نصرى» هو الآخر لا يدلنا على أتباع عيسى والتوراة والإنجيل . لأن أتباع أى من الرسولين يغطيه القول ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ .

ورد في بلاغ القرءان اسم «أهل الكتب» . وهو يشير إلى أن الكتاب له أهل يسكن معهم في مكان واحد . وهذا الاسم يبين أن كل من في بيته الكتاب هو أهل له . سواء كان من اليهود أم من النصري أم من الذين ءامنوا أم من الصّيبين أم من المشركين أم من المجوس .

فإن سكن الكتاب مع أهله من دون النظر فيه والعمل بموجبه لا يمنع هؤلاء الأهل من الكفر والشرك والمجوسية. وترتيل بعض البلاغات يبين الأمر:

﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ١٠٤ البقرة.

﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ٦٤ آل عمران.

﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ٦٨ المائدة.

﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ٩٨ آل عمران.

﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ٩٩ آل عمران.

كما أن هذا السكن الذي يقترن بالنظر في الكتاب والعمل بموجبه يظهر موقفاً مؤمناً:

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ / ١١٣ /﴾ ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ / ١١٤ /﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفْعِلِينَ / ١١٥ /﴾ آل عمران.

جاء في تفسير ابن كثير أنَّ المفسرين قالوا عن اليهود: «أنهم أتباع موسى والتوراة»<sup>(١)</sup>.

وعن النَّصارى: «أنهم أتباع عيسى وأهل دينه، وسموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، وقد يقال لهم أنصار أيضاً، ويقال أيضاً أنهم سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا

(١) تفسير القرآن العظيم.



أرضاً يقال لها ناصرة والنصارى جمع نصران، كنشأوى جمع نشوان وسكارى جمع سكران<sup>(١)</sup>.

وبمقارنة هذا القول مع ما سبق من بلاغات يبين قولاً واحداً عن التناصر  
«وسمّوا بذلك لتناصرهم فيما بينهم».

أما الأقوال الأخرى فهى ظنية وبرز فيها التخريص (التخمين).  
وجاءت أقوالهم عن الصّابئين وكأنها رجم بالغيب. يقول ابن كثير:  
«أما الصابئون فقد اختلف فيهم»<sup>(٢)</sup>.

وأورد مجموعة من أقوال متخالفة ومشوشة منها:

«لا بأس بذبائهم ومناكحتهم، .. إنهم كالمجوس، .. إنهم يعبدون الملائكة، ..  
إنهم يصلون إلى القبلة يصلون الخمس، .. إنهم يقرأون الزبور ويصلون للقبلة، ..  
إنهم قوم مما يلي العراق يؤمنون بالنبیین ويصومون ثلاثين يوماً. .. إنهم يعرفون  
اللّه وحده وليست لهم شريعة يعملون بها، .. هم أهل دين من الأديان، .. وهم قوم  
يشبهون النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، .. إن دينهم مركب بين اليهود  
والمجوس ولا تؤكل ذبائهم ولا تنكح نساؤهم»<sup>(٣)</sup>.

ويقول ابن كثير رآيه فى المسألة:

«وأظهر الأقوال والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه: أنهم قوم ليسوا  
على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم باقون على  
فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتنونه، ولهذا كان المشركون ينزّون من أسلم  
بالصابئ، أي أنه خرج عن سائر أديان الأرض إذ ذلك. وقال بعض العلماء: الصابئون  
الذين لم تبلغهم دعوة نبي، والله أعلم»<sup>(٤)</sup>.

ومن يتأمل هذه الأقوال المتعلقة بالصّابئين. ويقارن ما قاله السادة المفسرون

(١) المرحع السابق.

(٢) المرحع السابق.

(٣) المرحع السابق.

(٤) المرحع السابق.

والمحدثون وبعض من وصفوا بأسم العلماء. ومعهم السيد المفسر ابن كثير. يصيبه الذهول وهو يرى أن الذي أصاب في القول من بين جميع القائلين هم الجهلة المشركون الذين كانوا «ينبزون من أسلم بالصابي، أي خرج عن سائر أديان الأرض إذ ذلك».

وأجد في البلاغ وصفاً لقول جميع المفسرين والمحدثين ومعهم ابن كثير:

﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ٢٠ الزخرف.

وأرى في البلاغ:

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ٢٤ فاطر.

ما يبين الجهل بكتاب الله وبتفسيره لكل من يقول «الصائبون الذين لم تبلغهم دعوة نبي».

لقد توهم بعض الدارسين أن ما قاله هؤلاء في كتاب الله «القرءان» هو الحق. فتناولوا أقوالهم وأستندوا إليها في دراساتهم ليوصلوا إلى القول عن هذا الكتاب أنه من صنع رجل ومن حوله.

وما زالت هذه الأقوال تستعمل مادة للمتصدين حتى يومنا هذا. وأمامي وأنا أكتب هذا البحث أحد هذه الأعمال وهو كتاب كان قد صدر باللغة الفصحى عن الفرنسية<sup>(١)</sup> حديثاً. وقد رأيت أدخل مادته في بحثي هذا.

يقول السيد «ميشيل تارديو»:

[فمن الفرق الدينية الأربع التي عرفها الرسول وأورد أسماءها، يظل الصابئة الفرقة الوحيدة التي لا نعلم عنها شيئاً. لقد اختفى، أو مُحى، كل أثر لهم. وفي زمن الهجرة، كانوا غير معروفين بصفاتهم الصابئة خارج حدود شبه الجزيرة العربية وحتى داخلها بالذات كان وجودهم في «المدينة» موضع شك كبيراً<sup>(٢)</sup>.

(١) «صابئة القرءان وصابئة حران» تأليف ميشيل تارديو ترجمة سلمان حروفش.

(٢) المرجع السابق ص ٤٠.

ما قاله المفسرون عن الصَّابِئِينَ يتحول عند «تارديو» إلى مادة للتصديد والتشكيك بكتاب الله. وقد زاد من عنده ما هو مستنبط من أفكارهم فيقول عن الصَّابِئِينَ أنهم: «من الفرق الدينية الأربعة التي عرفها الرسول وأورد أسماءها». فيرى أن محمداً هو الذي كتب القرآن. وأنه ليس رسولاً لله. ولكنه ينتظر في قول ذلك إلى أن تحين له الفرصة لاحقاً في كتابه.

أما عن المحدثين والمفسرين الذين أخذ عنهم التخريص فيقول: [ولم يكن علماء الحديث والتفسير يعلمون عنهم أكثر مما نعلم]<sup>(١)</sup>. وهو قول صواب بالنسبة للطرفين على السواء. خصوصاً أن السيد «تارديو» يغفل عن قول المشركين في الصَّابِئِينَ.

ويتابع السيد «تارديو» تصيده فيخلق قولاً يزعم فيه أن القرآن قد قاله: [ما يقوله القرآن يشمل أمرين اثنين: فالصابئة بحوزتهم «كتابات مقدسة» ولهم اسم يعرفون به. وتصفهم سورة «المائدة» صراحة بين «أهل الكتاب»]<sup>(٢)</sup>. لقد ورد اسم «الصابئون» في سورة المائدة مع أسماء ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّهَابِ﴾ ولم يرد بينهم اسم «أهل الكتاب» في البلاغ ٦٩ المائدة. كما أنه لم يصنف أيّاً من أصحاب الأسماء الأربعة بين «أهل الكتاب» صراحة كما يزعم السيد «تارديو». ولم ترد أي صراحة عن «كتابات مقدسة» لأي من أصحاب الأسماء الأربعة.

أما السيد «تارديو» فيواصل تصيده الذي يستند على قول السادة العلماء ويتابع القول:

[ويقتضي هذا أنه كان لديهم آنذاك، مثل اليهود والمسيحيين، كتبهم الخاصة بهم، التي يتسبون إليها، وهم من حفظتها ومستخدميها]<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق ص ٤٠.

(٣) المرجع السابق ص ٤١.

ويتابع «تارديو» أقوال المفسرين وقد ذكر بعضهم «الزبور» من باب الظن والتخريص . فوجد في ذلك ألفرة ليقول مثل قولهم :

[تلك «الكتب» كانت متميزة كل التمايز عن تلك التي لـ «الذين هادوا» من أتباع موسى ، وعن تلك التي لـ «النصارى» من أتباع الناصري]<sup>(١)</sup>.

«كل التمايز» قول يجعل من «تارديو» متفوقاً في التخريص على من بدأ به .  
إلا أنه كرر ما قاله المفسرون «أن الذين هادوا أتباع موسى ، وأن النصارى من أتباع الناصري» .

«الناصري» أسم نسبة إلى الناصرة . ولو كان أسم الاتباع في القرآن من هذا الباب فحق الأسم أن يكون «الناصريون والناصريين» وليس «النَّصْرِي» . ولكن المفسرون قالوا بذلك و«تارديو» ينقل عنهم بأمانة .

ويتابع السيد «تارديو» سفاهته فيقول :

[ونظراً للموقع المتوسط الذي يشغله الصابئة بين اليهود والمسيحيين في سورتي البقرة» و«المائدة» فلا بد أن تلك «الكتب» كانت ذات عناصر مشتركة مع هؤلاء وأولئك . ولا يمكن أن يكون أصحاب مثل تلك «الكتب» آنذاك غير غنوصيين بالمعنى الضيق للكلمة]<sup>(٢)</sup>.

استبدل السيد «تارديو» في هذا القول أسم «الذين هادوا» (الذي يدلنا على موقف القوميين والسلفيين وعصبيتهم) بأسم «اليهود» الذي يدل لديه ولدى السادة المفسرين على دين موسى .

وهذا ما فعله مع أسم «النَّصْرِي» الذي يدلنا على موقف التناصر الأسمى . وقد استبدله بأسم «المسيحيين» الذين يتبعون المسيح .

أما «توسط الموقع» و«تلك الكتب» ومشاركة اليهود والمسيحيين في «عناصر» فقد أوصلته إلى ما يرغب فيه . أما مقدماتها فلا وجود لها إلا في رأسه . وهي أن

(١) المرجع السابق ص ٤١ .

(٢) المرجع السابق ص ٤١ .

«أصحاب مثل تلك «الكتب» آنذاك غير غنوصيين»<sup>(\*)</sup> بالمعنى الضيق للكلمة».

فأن يكون هناك كتب غنوصية وكتاب أو قرآء فهذا ليس بالأمر الذى يختلف فيه أحد مع السيد «تارديو». لكن أن يستخرج هذه الكتب وعناصرها المشتركة مع اليهود والمسيحيين من ألبلاغ ٦٩ ألمائدة و٦٢ البقرة وأن يتوصل لتحديد هوية أصحاب هذه الكتب الفكرية فهذا أمر لن يقبله جاهل غير «تارديو» بعد أن ينظر فى كلمات ألبلاغ.

ويزداد تخريص «تارديو» تصعيداً فى المسألة:

[وهم فرع عربي مكّي لتيار النسخ المقدس الذي دَوّن باللغات اليونانية والسريانية، والقبطية، مجموعات النصوص التي شهدت عليها الدراسات المسيحية القديمة للملّ والنحل، أو التي تمّ اكتشافها في تاريخ حديث مؤخراً. وقد أطلق القراءان على هذه الجماعة اسم «أهل الكتاب» فهل يسمح لنا هذا أن نمضي شوطاً أبعد في تحديدنا لهم؟]<sup>(١)</sup>.

لقد ظنّ «تارديو» أنه توصل إلى معرفة الصابئين. وهو بذلك يتفوق على تخريص المفسرين الذين لم يفهموا قول «الجهلة المشركين» عن أسم الصابئين. فقال إنهم «فرع عربي مكّي لتيار النسخ المقدس،.. وقد اطلق القراءان على هذه الجماعة اسم «أهل الكتاب»!

لآ أدري كيف توصل السيد «تارديو» إلى هذا التحديد. فهو فى كتابه لم يبيّن كيف أستنبط ذلك. خصوصاً أنه يؤكد الفشل فى ذلك التحديد.

ويتابع فيمضى شوطاً أبعد ويقول فى ذلك:

[بكل تأكيد لا بد لنا من التحفظ بعد فشل جميع محاولات التحديد انطلاقاً من اشتقاق الاسم]<sup>(٢)</sup>.

(\*) gnoseology غنوصولوجيا (نظرية المعرفة) النظرية التى تبحث فى جوهر عملية المعرفة وأسسها وألوانها.

(١) المرجع السابق ص ٤١.

(٢) المرجع السابق ص ٤١.

ثم يترك قول المفسرين ويتوجه إلى المستشرق الأنكليزي «إدوار بوكوك» ليتبنى مسألة لسانية عن «الاشتقاق» كما جاءت عند «بوكوك» فيقول: («أن «صابئ» مشتقة من العبرية «صبا» بمعنى: جيش أو فرقة، وأن الجمع باللغة العربية «صابئة» و«صابئون» لا تدل على «عسكريين» أو «جنود» وإنما على عبدة «صبا» هسمايم أي «جيش السماوات»).

ويصدر «تارديو» حكمه على ما رآه «بوكوك» فيقول: [إن الاشتقاق الذي اقترحه بوكوك لا غبار عليه فهو صحيح]<sup>(١)</sup>. وهكذا يظهر السيد «تارديو» عالم في أصول الألسن الشامية! ونتابع مع «تارديو» إلى ما يريده من هذا الخلط الغريب على أي دراسة شبه جدية فيقول:

[وها هنا تتوضح ثلاثة أمور جوهرية تشرح ظهور القرآن كتاباً وعقيدة. فالطابع الإلهي للنص الموحى به في حالة تجلٍ، وفكرة تعالي الله علواً مطلقاً، ثم فكرة دمج يسوع بالروح القدس، هي المقولات الثلاث لنضال الغنوصية التاريخية، وهي التي تؤلف الإرث الغنوصي المباشر في القرآن]<sup>(٢)</sup>.

لقد تمكن «تارديو» من خلط خبرة «بوكوك» في مسألة الاشتقاق مع ما رآه في ألبلاغ ٦٩ المائدة و٦٢ البقرة إلى تحديد لهوية «الصابئين». وكان قد لجأ إلى «بوكوك» لأن المفسرين لم يبينوا له هوية الصابئين على الرغم من عرضهم لقول الجهلة المشركين «ولهذا كان المشركون ينزون من أسلم بالصابئ».

وقد أشتكى «تارديو» منذ البداية من أن المصادر لم تذكر عنهم شيئاً. وانتظرت منه أن يتوقف عن الركض وراء السراب الذي صنعه ظن المفسرين والمحدثين له. إلا أنه فجأة كشف كل شيء عنهم بكلمة «صبا» العبرية كما فهمها السيد «بوكوك». ووجد فيها كل هذا الخلط الذي عرضنا له.

(١) المرجع السابق ص ٤٢.

(٢) المرجع السابق ص ٤٣.

وفي مختصر كتابه عيّب على كل من «مرغليوت» و«بدرسان» و«هيارب» مواقفهم النقدية بخصوص مقولات «كولسن» وقال عن هذه المواقف النقدية: [لا يمكن أن تؤدي إلى توضيح اللغز الصابئي توضيحاً متبصراً في النص القرآني وفي حرّان]<sup>(١)</sup>.

لقد وجد «تارديو» هذا «اللغز» فيما يسمّيه «الإرث الغنوصي». والغنوصية حركة فلسفية بين مدارس شرقية وغربية منها الأفلاطونية وفروعها والزرادشتية والدهرية وغيرها. وقد خلط بين نشاط الناس الفكري والوحي الإلهي.

وحتى إذا قلنا بما يقوله «تارديو» من أن الغنوصيين يمثلون الصابئين في ذلك الوقت فإن ما قاله عن «التبصّر في النص القرآني» وأبحاث النقدي فلا ينجم عنهما أن القرآن صدى لأعمال هؤلاء الغنوصيين.

لقد رأيت في بحوث سابقة أن بلاغ القرآن يهدي النظر وأبحاث العلميين. وهذا لا يتوفر في أيّ نظرية معرفية إنسانية بالمطلق. وقد قدّمت بما أملكه من خبرة الدليل عليه في تلك الأبحاث.

أما السيد «تارديو» فقد خلط بين الأسماء من دون علم في دليل كل منها وأختلق أخرى. وبمقارنة منهاجه مع ما جاء عند المفسرين والمحدثين الذين قدّموا له مادة بحثه المتبصر. فلم أجد فرقاً بينه وبينهم إلا فيما قاله عن القرآن من أنه وارث للغنوصية التاريخية.

كتاب «تارديو» صغير بالمقارنة مع ما قاله المفسرون والمحدثون. وفي أقوالهم الكثير من المواد لبحوث متبصرة كبحت «تارديو». وعلى الخصوص قولهم في البلاغ ٦٢ البقرة والذي جاء فيه:

(نزلت في أصحاب سلمان الفارسي بينا هو يحدث النبي «صلى الله عليه وسلم» إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم، فقال كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون لك ويشهدون أنك ستبعث نبياً، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله «صلى الله عليه

(١) المرجع السابق ص ٤٥.

وسلم» «يا سلمان هم من أهل النار»، فاشتد ذلك على سلمان فأنزل الله هذه الآية. وكان إيمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى فلما جاء كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكاً وإيمان النصارى أن من تمسك بالانجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه حتى جاء محمد «صلى الله عليه وسلم»، فمن لم يتبع محمد «صلى الله عليه وسلم» منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والانجيل كان هالكاً. قال ابن أبي حاتم، وروي عن سعيد بن جبير نحو هذا، قلت وهذا لا ينافي ما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس «إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر» الآية - قال - فأنزل الله «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» فإن هذا الذي قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً إلا ما كان موافقاً لشريعة محمد «صلى الله عليه وسلم» بعد أن بعثه بما بعثه به، فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة، ..» (١).

فقال «تارديو» مثل قولهم أن الذين هادوا هم اليهود وهم أتباع موسى وأن النصارى هم المسيحيين وهم أتباع عيسى. وبني رأيه على هذا ألفهم فيما يتعلق بالصابئين.

وكل من «تارديو» والمفسرين لم يلجأ إلى دليل الاسم صابئ ودليل الفعل صَبَّئ. ولا لما ورد في قول المفسرين عن قول المشركين في مكة عن محمد وأتباعه «ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ». فالصابئون في مكة هم المحتجون على ما هو قائم فيها من سلطة تستبد وتحتكر القول في الدين وفي الأفكار. والاحتجاج إلى جانب الانشقاق هو ما يدل عليه اسم صابئ. والصابئون في مكة (محمد وأتباعه) كانوا محتجين ومنشقين على استبداد قومهم قريش حتى هاجروا بفعل ظلم قومهم لهم. وقد تغير أسمهم من بعد الهجرة إلى يثرب وصار أسمهم المهاجرون. وهذا هو السبب الذي جعل «تارديو» يقول أن أسمهم لم يكن له وجود في المدينة (يثرب).

(١) تفسير القرآن العظيم.



أما ما جاء في أقوال المفسرين في تفسير البلاغ ٦٢ البقرة فهو مرفوض للأسباب التالية:

أولاً ما جاء في هذه الأقوال من أن حكم البلاغ ٦٢ البقرة يتعلق بالفترة التي سبقت بعث النبي محمد ولا يمتد إلى ما بعدها. وهذا القول يخالف البلاغ ذاته والبلاغات ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ ءال عمران ٦٨ و ٦٩ المائدة التي تؤكد على استمرار الحكم لصالح من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحاً من أي طائفة كان ولمن يقيم التوراة والإنجيل.

ويلاحظ على ما قاله السادة المفسرون أن البلاغ ٦٢ البقرة الذي أورد جزءاً منه ابن كثير في تفسيره فلم يورد شرط «عمل صالحاً» لما له من أهمية في تكوين الحكم واستمراره.

ثانياً ما جاء على لسان ابن عباس عن البلاغ ٨٥ ءال عمران ينسب إلى التحريف. فقد استبدل الفعل «يَتَّبِعْ» بالفعل «يتبع» ثم بنى قوله المناسب لهذا التبديل فجاء القول مخالفاً للبلاغ. كما أنه ساق قوله إلى إلغاء البلاغ ٦٢ البقرة. وينسحب هذا الإلغاء على بقية البلاغات ٦٨ و ٦٩ المائدة ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ ءال عمران. ويخالف البلاغ ٤٨ المائدة:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

وأرى في البلاغ ٨٥ ءال عمران بدليل الفعل «يتبع» الذي يدل على تجاوز الحد. أنه يحذر من توجه الإنسان مستنداً إلى الظن الذي يجعله يتجاوز حدود الحق ويسوقه إلى الخسارة الكاملة التي يمتد أثرها إلى الآخرة. وبين أن هذا التجاوز لن يقبله الله.

ولقد بين بلاغ القرآن أن التجاوز الواقع هو على دين الحق وهو الذي يحمل اسم «الإسلام»:



المصطفى الذي لا حرج فيه . والذي اختار له إبراهيم أسم «الإسلم» وهو أسم يدل على الاستسلام والخضوع بعلم وإرادة لرب السموات والأرض . والامتناع بعلم ومعرفة عن مخالفة الحق الوجودي ودين الفطرة .

في البلاغ ٦٢ البقرة وكذلك البلاغ ٦٩ المائدة شرط الحد الأدنى للإسلام ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ . وجاء في البلاغ ٨٥ ءال عمران أن من يتجاوز هذا الحد الأدنى «فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين» . لأنه يخرج من دائرة الحق إلى دائرة الظن والتخريف .

أما الحد الأعلى للإسلام فهو مؤسس على الحد الأدنى ويرتفع الإنسان فيه بتذكر أوامر الله التي جاءت في بلاغات القرآن والزام طاعتها من دون غيرها من الأوامر التي تتعارض معها أي كان مصدرها .

وأرى في الموقف المتعصب لقول المفسرين والمحدثين موقف الذين هادوا وهو موقف يخالف البلاغ «حنيفاً وما أنا من المشركين» سواء كان هذا الموقف في الماضي أم اليوم أم في الغد . لأن الموقف المتعصب فيه إحتكار للقول في دليل البلاغ على الرغم من وجود التحريف والظن والتخريف الذي يحذر منه البلاغ ٨٥ ءال عمران «فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين» .

كما أن موقف التعصب هذا (الذي يوقف في وجه أي بحث جديد ويقابله بالعداء) قد جاء عنه في البلاغ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ وهو يشمل كل الذين يوقفون في وجه النظر والبحث العلميين وبلاغاتهما . ويمنعون انتشارها بين الناس ويعتصمون فلسفة «المجوس والذين أشركوا» فتقسي القلوب وتجب منابع العلم والتقدم في حياة الناس بسبب منع النظر والبحث العلميين وطغيان الجهل والتخلف .

وإن أشد المواقف عداء للعلم كما يبين البلاغ هم «اليهود» السلفيون أصحاب التوجه القومي المتعصب و«الذين أشركوا» . أما «النصري» فهم «أقرب مودة» بسماحهم لبلاغات العلم بالانتشار بين الناس وتحريضهم على البحث العلمي .

إن الموقف المتعصب لقول المفسرين والمحدثين يجعل هذا القول في مرتبة «المطلق». في الوقت الذي نجد فيه أن بلاغ القرآن يوصف بالمتشابه ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا﴾.

وهذا الوصف لقول المفسرين والمحدثين والتعصب له يمثل قمة التجاوز لـ «الإسلام لله رب العالمين» من قبل المتعصبين. وفيه دعوة الناس للتوجه إلى الإسلام لما أدركه المفسرون والمحدثون. وهو عين الشرك.

إن منع النظر والبحث في بلاغ القرآن هو منع للدعوة إلى الله أنسجامًا مع سنة الأصطفاء الفطرية في أطوار الروح. وخصوصًا طور «جبريل» وطور «ميكائيل».

كما أن التعصب ومواقف العداء للنظر والبحث هو محاولة لتعطيل البلاغ ﴿وَلَعَلَّكُمْ نَبَأٌ بَعْدَ حِينٍ﴾ واعتبار أن هذا الحين هو حين المفسرين والمحدثين. وخلاصة القول في البلاغ ٦٢ البقرة. أن الإيمان بالله واليوم الآخر لا يُحقق بالقول وحده. بل يلزمه الدليل الحسى الذى يمثله عمل الإنسان الفرد الذى يلتزم بصفة العمل «صالحًا» سواء كان هذا الإنسان من علماء النظر والبحث «الذين آمنوا». أم من المتعصبين لقومهم و«آبائهم» «الذين هادوا» أم من الأمميين «النصري» أم كان من المحتجين المنشقين «الصائبين أو الصَّبِثُون». وهم الأطراف الأربعة الذين يستطيع الفرد منهم تحقيق أحد الأدنى للإسلام ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.

أما «المجوس والذين أشركوا» فلم يعددهم البلاغ ٦٢ البقرة و٦٩ المائدة. فى حين عدّهم البلاغ ١٧ الحج لإرادة عدّ المواقف وتحديد زمن الفصل بينها.

إن بعض أطراف الموقف المتعصب للمفسرين والمحدثين يدعو اليوم لإقامة دولة إسلامية شبه الدولة الإسلامية التاريخية التى سقطت وتفككت مع الحرب الكونية الأولى فى القرن العشرين. وهذا يدعونى لأن أبتين الرأى فى الاثنين معًا.

جاء في البلاغ:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَإِذَا قُتِلَ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ١٤ الحجرات.

«قولوا أسلمنا» يبين إسلامًا وخضوعًا لسلطة النبي الذي ظهرت قوته العسكرية والسياسية. وإسلام هؤلاء هو في إلقاء سلاحهم وخضوعهم لهذه السلطة من دون إيمان بدليل القول ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

وما جاء من بعد النبي هو زيادة المساحة التي تخضع للسلطة السياسية التي أتبعها من بعده خلفاء سياسيون. والدولة التي تأسست وأستمر وجودها حتى نهاية الحرب الكونية الأولى لا تدخل في مفهوم ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾. إلا أن أفرادا عاشوا فيها لا يعلمهم إلا الله يدخلون في مفهوم الأيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح كأفراد.

وإن دراسة تاريخ هذه الدولة وأساليبها في الحكم تجعلني أعدها مع الدول الاستبدادية. وهي صفة ليست من الإسلام في شيء. بل هي تعاديه وتوقف في وجهه. وقد أوجدت هذه السلطة الاستبدادية ما يسيغ استمرارها واستبدادها. فأختلقت دينًا بديلا لدين الإسلام لله. وقدم لها ذلك من يندرج تحت دليل أسم «اليهود» وأسم «المجوس» وأسم «الذين أشركوا».

وإن أطلب المتزايد على الإسراف في الموارد المالية والاقتصادية وطاعة هذا أطلب يخالف الأمر «ولا تطيعوا أمر المسرفين» هو الذي سيغ استمرار الإسلام للسلطة وأعاق طريق الإسلام لله. وما يزال يعيقه ويحاربه حتى اليوم في كل مكان.

لقد كان الأيمان أليقيني بالله واليوم الآخر وتصديقه بالعمل الصالح فرديًا في كل وقت. وهو أمر يصب عليه التعصب الجماعي غضبه وكراهيته. وقد قتل اليهود الأنبياء. وقتل إسلام السلطة أصحاب النبي والصهر والأحفاد. وأتهموا

الناظرين والباحثين في البلاغ بالزندقة . وقتلوا الكثير منهم . وجاء إسلام السلطة بالمفسر والمحدث ليسيع جرائمه . فالغى العمل بالبلاغ الإلهي وقطع سبيل الإسلام لله . فعم الفساد وانتشر الجهل والتخلف والمرض في جميع أرجاء الدولة .

فماذا نقول في الذين يدعون لإقامة مثل هذه الدولة؟

أقول هذه دعوة لإقامة ميت .

وأختم عملي في هذا الكتاب بالبلاغ التالي :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ / ٦٨ / وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ / ٦٩ /﴾ العنكبوت .

اللاذقية في ٧ / ٧ / ١٩٩٩

يشير المؤلف في هذا الكتاب العلاقة بين القرآن والعلوم الطبيعية معتبراً أن العلم بحاجة إلى هداية، وهذه الهداية موجودة في كتاب الله الذي يتسع فهمنا له باتساع علمنا ومعرفتنا.

ويفجّر المؤلف مسألة لغوية حول لسان القرآن وعلاقته باللغة العربية الفصحى التي يرى أنها عمل شعراء وكهنة ويعتبرها لغواً أريد به تحريف كلام الله. فاللسان العربي ليس نسبة لقوم وإلا كان كلام الله عاجزاً عن بيان آياته في الوجود وقاصراً عن هداية العلم.

في هذا الكتاب مواضيع علمية كثيرة بيولوجية وفيزيائية وفلكية ربطها المؤلف بالقرآن، وكذلك فيه مفاهيم جديدة ومثيرة عن الدين غير مألوفة للناس.

سمير إبراهيم خليل حسن باحث وكاتب سوري. بدأ بدراسة الفكر الديني منذ عام ١٩٩٢ من أجل نقده، ولكنه تحوّل من نقد الدين إلى الدعوة إلى كتاب الله والنظر فيه بأسلوب علمي يرى أنه الطريق نحو المدنية. وهو يجتهد اليوم ليكتب بخط القرآن ويستعيض عن المفردات الدارجة بمفردات القرآن. له مدونة فرعية على موقع الحوار المتمدن: <http://www.ahewar.org/m.asp?i=879>

12.00 \$

ISBN 978-1-85516-717-9



9 781855 167179 >

DAR  
AL SAQI



دار  
الساقى

